الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
شعبة الأدب المغربي القديم

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب المغربي القديم

تحت عنوان:

﴿ أثر القرآن في الشعر الجزائري ﴾

(ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين)

إعداد الطالب: عبد الصمد عزوزي

إشراف الأستاذ: أ.د. محمد زمري

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ محمد مرتاض- أستاذ التعليم العالي- جامعة تلمسان- رئيسا.
أ.د/ محمد زمري- أستاذ التعليم العالي- جامعة تلمسان- مشرفا.
أ.د/ محمد عباس- أستاذ التعليم العالي- جامعة تلمسان- عضوا.
أ.د/ عبد الجليل منقور-أستاذ التعليم العالي- جامعة بلعباس-عضوا.
د/ لحسن كرومي-أستاذ محاضر- جامعة بشار-عضوا.
د/ محمد باقي- أستاذ محاضر- جامعة بلعباس- عضوا.

جامعة تلمسان: 1430هـ / 2009م.

- ❖ إلى كل من سهر على خدمة اللغة العربية والحفاظ عليها.
- ❖ إلى كل من بذل جهدا في سبيل إحياء تراثنا الأدبي الجزائري.

إلى كل هؤلاء
أهدي هذا العمل المتواضع.

عبد الصمد

عزوزي

شكر وثناء

بعد حمد الله والثناء عليه أن وفّقني لإتمام هذا البحث على أحسن وجه.
أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى فضيلة الأستاذ الدكتور: ﴿محمد زمري﴾، الذي أشرف على هذا البحث، وأثراه بإرشاداته ونصائحه، فجازاه الله كلّ خير.
كما أشكر كل من مدّ لي يد المساعدة في إنجاز هذا البحث.
وأتقدّم بجزيل الشّكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم المبذولة في مناقشة بحثي، وعلى ملاحظاتهم القيّمة، وآرائهم السّديدة.

ولله الحمد أوّلا
وأخيرا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة:

إنّ للقرآن الكريم تأثيرا عظيما في حياة الإنسان المسلم؛ في أخلاقه، وعاداته، وثقافته، وفِكره، وأدبه. وبما أنّ الشّاعر الجزائري كان يتعامل مع القرآن يوميّا، فقد تعلّقت به نفسه وأصبح جزءا هامّا من حياته. فأصبح قرآنيا في سلوكه وأخلاقه، قرآنيّا في ثقافته وتفكيره، قرآنيا في أدبه وشعره، حيث اتّخذ منه مصدرا ثريًّا يعتمد عليه في إثراء شعره، لغة، وأسلوبا، وتصويرا.

فما مدى تأثير القرآن في الشّعر الجزائري؟ وكيف تعامل الشاعر الجزائري مع ألفاظ القرآن الكريم، وأسلوبه، وصُوَره؟ وهل نجح في توظيف اقتباساته من القرآن في شعره؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا بعنوان:(أثر القرآن في الشعر الجزائري، ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين).

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى أمرين؛ ذاتي وموضوعي. أمّا السبب الذّاتي فهو رغبتنا الملحّة في إنجاز عمل يكون له علاقة بالقرآن الكريم، كتاب الله ودستور المسلمين.

أمّا السبب الموضوعي، فهو أنّ الدّراسات التي تناولت أثر القرآن في الشّعر الجزائري، اهتمّت بالشّعر الحديث دون القديم، فأردنا أن يكون عملنا هذا تتمّة لما سبق. على أنّ هناك دراسات سبقت هذا العمل في نفس المنحى، منها رسالة الدكتور: محمد شهاب العاني بعنوان (أثر القرآن في الشّعر الأندلسي)، ورسالة الدكتورة: ابتسام مرهون الصفّار بعنوان أثر القرآن في الأدب العربي)، ورسالة الدكتور:شلتاغ عبود شرّاد بعنوان(أثر القرآن في الشّعر العربي الحديث)، ورسالة الدكتور:ناصر بوحجام بعنوان(أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث).

وقد اتّبعنا في رسالتنا المنهج الاستقرائي الوصفي، وأحيانا التّحليلي، مُعتمدين على النّصوص والدّواوين الشّعرية الجزائرية التي تخصّ الفترة المذكورة (7-12هـ)، مُحاولين استنباط الأثر القرآني فيها، كالألفاظ، والمعاني، والأسلوب، وغيرها.

ولم يكن هذا العمل سهلا، فقد تطلّب جهدا كبيرا، وبحثا شاقا في المصادر والمراجع، وقراءة متأنّية لكلّ مقطوعة أو بين، لأنّ معظم الشعراء الجزائريّين لم تُجمع أشعارهم في دواوين مستقلّة، إنّما توزّعتها الكتب والمؤلفات التي أرّخت للأدب الجزائري القديم.

وقد استعنّا بعد القرآن الكريم، بكتب الدّراسات القرآنية، والمصادر التي جمعت في ثناياها الشّعر الجزائري، وبعض الدّواوين، ومصادر تاريخيّة وأدبيّة أخرى. ولم نُحص هنا مصادر بحثنا، فقد أعددنا لذلك قائمة في آخر البحث.

وقد قسّمنا الرّسالة إلى مدخل وثلاثة فصول، بدأناها بمقدمة، وأنهيناها بخاتمة.

تناولنا في المدخل الحياة العلمية والأدبية في الجزائر ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين.

وتحدّثنا في الفصل الأول عن الشّعر الجزائري لهذه الفترة، من حيث أغراضه وخصائصه.

وخصّصنا الفصل الثاني للحديث عن أثر القرآن في البنية الشّكلية للشعر الجزائري، من حيث أثر الألفاظ والفواصل القرآنية، على أنّنا وطّأنا لهذا الفصل بالحديث عن القرآن الكريم، وإعجازه، وعن سبب الاقتباس من القرآن في الشّعر الجزائري، بما أنّ الاقتباس أهمّ ظاهرة من ظواهر التأثّر بالقرآن الكريم.

أمّا الفصل الثالث فتحدّثنا فيه عن أثر القرآن في البنية المعنوية للشعر الجزائري، من حيث المعاني، والأسلوب، والتّصوير، والقصص القرآني.

وقد سجّلنا في الخاتمة بعض النتائج التي وقفنا عليها بعد دراستنا لموضوع أثر القرآن في الشّعر الجزائري.

وأتبعنا الخاتمة بمجموعة من الفهارس الفنيّة، كفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأشعار، وفهرس الموضوعات.

ولم يكن باستطاعتنا في هذه الدراسة المتواضعة الإلمام بكل تفاصيل الموضوع، لشساعته وجِدّته، ولصعوبة العثور على النّصوص الشّعرية، واستخراجها من مصادرها.

ولا بأس هنا أن نوضّح أمرا هامّاً، فيما يخصّ ماهية الشّاعر الجزائري في الفترة المعتمد في هذه الدراسة، لأنّ الأديب الجزائري عموما، والشّاعر على الخصوص، لم يكن يتقيّد بمكان معيّن، لعدم وجود الحدود السياسيّة المعروفة اليوم، فهو كثير التنقّل من بلد إلى بلد، ومن موطن إلى موطن، هذا ما جعلنا نتقيّد في معرفة الشاعر الجزائري بالمعايير التالية:

* يجب أن يكون الشّاعر جزائريّ المولد والنّشأة، سواء توفّي بالجزائر كابن قنفذ القسنطيني، أو توفّي بالغربة كأحمد المقّري التّلمساني.

* أن يكون الشّاعر قد عاش في الجزائر ومات فيها، ولو كان أجنبيّا عنها، كالشّاعر محمد بن أبي زيد الخزرجي.

أن يكون الشاعر قد أقام بالجزائر فترة من الزّمن كان لها أثرها في إنتاجه الأدبي، وكان له أثر في الحياة العلمية فيها، كالعلاّمة عبد الرحمن بن خلدون.

* أمّا من لم تطأ قدمه أرض الجزائر، فلا نعتبره جزائري ولو كان منسوبا إلى أحد أقطارها، كمحمد بن عفيف الدين التّلمساني (الشّاب الظّريف)، والذي وُلد بمصر وتوفّي بالشّام.

ولا يسعنا في نهاية هذه المقدمة، إلاّ أن نتقدّم بخالص الشّكر والامتنان، إلى كلّ من ساعدنا في إنجاز هذا البحث، ونخصّ بالذّكر الأستاذ الفاضل، الدكتور: محمد زمري، الذي أشرف على إنجاز هذه الرسالة، وأثراها بنصائحه وإرشاداته التي بفضلها خرج بحثنا على هذا الشّكل.

كما نتقدّم بأسمى معاني الشّكر والوفاء للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث، فجازاهم الله كلّ خير.

وأخيرا، نتمنّى أن يكون عملنا هذا مفيدا لنا ولغيرنا، وإن كنّا قد قصّرنا فنرجو أن تُتاح لنا الفرصة لتلافي ما أمكن من هذا التّقصير.

وما التّوفيق إلاّ بالله وعليه قصد السّبيل.

مدخل

مـدخـل:

الحياة العلميّة و الأدبيّة في الجزائر ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين.

إنّ الحديث عن الشّعر الجزائري وتأثّره بالقرآن، يؤدّي بنا إلى الحديث عن الحياة العلميّة والأدبيّة التي عرفتها الجزائر ما بين القرنين السابع والثّاني عشر الهجريين لمعرفة الظروف التي نشأ وتطوّر فيها هذا الشعر، ومعرفة المؤثّرات التي أثّرت فيه من ناحية الأغراض والخصائص والمميّزات.

وبما أنّه يصعب الإلمام بجميع مناحي الحياة العلميّة والأدبيّة في الجزائر ما بين القرنين السابع والثّاني عشر الهجريين-لأنّ هذه الفترة تتجاوز الخمسة قرون- رأينا تقسيم هذه الفترة إلى عصرين مُتمايزين من حيث مظاهر الحياة العلميّة وخصائصها.

وقد اشتملت هذه الفترة (7-12هـ) في الجزائر على عصرين:

- عصر الحكم الزيّاني: ما بين القرنين السابع و التّاسع الهجريين.
- عصر الحكم التُّركي: ما بين القرنين التّاسع والثّاني عشر الهجريين.

وسنحاول الحديث عن الحياة العلميّة والأدبيّة في كلّ عصر بإيجاز غير مُخِلّ، و الإطّلاع على العلوم والفنون الأدبيّة التي عُرفت في كلِّ عصرٍ على حِدة، وإعطاء نماذج عن بعض العلماء والأدباء الذين نبغوا في شتّى ميادين العلم والأدب والشّعر.

وسنترك الحديث عن الشعر الجزائري بالتّفصيل إلى الفصل الأول من هذا البحث لأنّه يُمثّل صلب الموضوع فيه ويحتاج إلى فصل مستقلّ لدراسته.

I) عصـر الحكــم الزيانـــي (7 -9 هـ).

1) لمحة تاريخيّة:

في بداية القرن السابع الهجري، ظهرت دولة الموحّدين التي وحّدت أقطار المغرب العربي، وقد تطوّر العلم والأدب في هذا العصر تطوّرا كبيرا، فالخلفاء الموحّدون كان لهم تأثير واسع في نهضة العلم والأدب، حيث كانوا يُشجّعون الأدباء والعلماء، وطلب العلم وتدريسه، إضافة إلى أنّ كثيرا من هؤلاء الخلفاء كان أديبا أو شاعرا.

وقد كانت معركة العُقاب (609هـ) بين الموحّدين والإسبان من أهمّ العوامل التي أدّت إلى بداية سقوط دولة الموحّدين التي استطاعت ولقرون عديدة أن تُسيطر على المغرب الكبير وجزء من الأندلس، بالإضافة إلى الخِلاف الذي نشب بين أمراء هذه الدّولة وشيوخها، فبدأ كلّ والٍ يستقلُّ بما تحت يديه من أراضٍ وإقطاعات، ويعلن استقلاله عن العاصمة. ففي القطر الجزائري[1] استقلّت مغراوة بناحية شلف، واستقلّ بنوعبد الواد بناحية تلمسان وما جاورها، واستقلّ الحفصيّون بالناحية الشرقيّة للجزائر.

وفي سنة (633هـ) أعلن يغمراسن بن زيّان [2] استقلاله بالحكم على منطقة تلمسان، وأسّس الدولة الزيّانيّة في المغرب الأوسط والتي حكمت ما يُقارب الثلاثة قرون،[3] ولم تكن هذه الدولة مُستقرّة وثابتة، بل كانت سيطرتها على أراضي القطر الجزائري تتّسِع حينا وتتقلّص أحيانا أخرى، وقد حاول الزيّانيّون أن يجعلوا من الحدود الغربيّة المُتاخمة للدّولة المرينيّة حدودا ثابتة، بينما جعلوا من الحدود الشرقيّة مع الدولة الحفصيّة مجالا للتّوسّع، فقد توغّلت الجيوش الزيانيّة في عهد السلطان أبي تاشفين الأول[4] حتى عاصمة الحفصيّين،

---

[1] لجأنا أحيانا للتّعبير عن الجزائر بالقطر الجزائري لأسباب عديدة منها: أنّ الحدود السياسية للجزائر ما بين القرنين (7-9هـ) لم تكن مضبوطة وثابتة، فكلمة الجزائر في ذلك الوقت لم تكن تعني سوى مدينة ساحليّة صغيرة، ولم تكن تعني الدولة الجزائريّة بالمفهوم الذي نعرفه اليوم، والذي لم يصبح معروفا إلاّ بعد دخول العثمانيّين إلى الجزائر. أمّا المغرب الأوسط الذي يتحدّث عنه المؤرّخون قبل القرن 10 الهجري، فلم يكن يعني الجزائر اليوم بالمعنى الصحيح، بل كان يُطلق تجوّزا لا على سبيل التّحديد، لأنّ المغرب الأوسط آنذاك كان محصورا بين الجزائر العاصمة شرقا وتلمسان غربا، أمّا الجزء الشرقي من الجزائر اليوم (قسنطينة، عنابة، بجاية) فكان تابعا للدولة الحفصيّة، أمّا الحدود الغربية فقد استطاع بنو زيّان أن يُحافظوا عليها منذ عهد السلطان يغمراسن بن زيّان. **عن الموضوع ينظر**: (تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، ج1، ص 49، دار الغرب الإسلامي، بيروت) و (العِبر، عبد الرحمن بن خلدون، ج7، ص 223-228،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1957م) و (نظم الدرّ والعقيان في شرف بني زيان، الحافظ التنسي، ت: بوطالب محيي الدين، ص118، منشورات دحلب ، الجزائر) و (صبح الأعشى في صناعة الإنشا،علي القلقشندي، ت:يوسف طويل ،ج2، ص 149، دار الفكر، دمشق، 1987م.

[2]) يغمراسن بن زيّان، هو مؤسّس الدولة الزيانيّة وُلد سنة (605هـ)، تولّى حكم مملكة تلمسان سنة (633هـ)، توفّي مقتولا سنة (681هـ). **ينظر**: (تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، محمد التّنسي، ت: محمود بوعياد، ص 115، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م) و (بغية الروّاد في ذكر ملوك بني عبد الواد، يحي ابن خلدون، ت: عبد الحميد حاجيات، ج1، ص 205، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م).

[3]) **عن تاريخ الدولة الزيانية، يُنظر**: (تلمسان في العهد الزياني، عبد العزيز فيلالي، ج1، ص40 وبعدها، موفم للنشر، الجزائر، 2002م)و(نظم الدرّ والعقيان، ص 137) و (تاريخ بني زيان، ص 115).

[4]) هو السلطان أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول وُلد سنة (692هـ) وتولى سنة(718هـ) وتوفي سنة(737هـ).**ينظر**: بغية الرواد، ج1، ص 219).

وهو أقصى اتّساع لها في المنطقة الشرقيّة. وقد انتصبت الدولة الزيانية بعاصمتها تلمسان في المغرب الأوسط بين دولتين؛ الحفصيّة في تونس، والمرينيّة في المغرب الأقصى، وظلّت طِوال قرون تتجاذبها تيّارات المرينيين من الغرب، والحفصيّين من الشرق، ورغم ذلك كان هذا العصر عصر أمنٍ واستقرار، بغضِّ النظر عمّا عرفته الدولة الزيّانيّة من مُناوشات داخليّة وخارجيّة، حيث لم يُؤثّر هذا كثيرا على عجلة التطوّر الاجتماعي والثقافي والعلمي.

وقد عَرَفَ القطر الجزائري (المغرب الأوسط) في عهد الدولة الزيّانية تقدُّما حضاريّا وفكريّا وعلميّا كبيراً، وعرف الأدب أوْجَ ازدهاره وعصره الذهبي، فقد سارت هذه الدولة سيرة جارتيْها من تشجيعٍ للعلم والعلماء، فكان هذا العصر امتداداً للعصر السابق من حيث تطوّر العلم والأدب. كما كان للدّولة المرينيّة أثناء حكم سلاطينها لتلمسان وأجزاء أخرى من القطر الجزائري فضلٌ كبير على تطوّر الحركة العلميّة في المغرب الأوسط ما بين القرنين(732-748هـ) ثمّ (753-758هـ).

2) الحياة العلميّة:

لقد عمِلَ الملوك الزيّانيّون على بناء المدارس وجلب العلماء للتّدريس فيها، وتزويدها بالكتب القيّمة، وقد شجّعوا الشعراء على نظم الشّعر في مناسبات عديدة كالاحتــفال بالمولد النبويّ وليلة القدر، وقرّبوا الفقهاء والعلماء، ورحّبوا برجال العلم والأدب. وهذا ينطبق على الدّولة الحفصيّة التي كانت تُسيْطر على الأجزاء الشرقيّة من القطر الجزائري. هذا بالإضافة إلى الدّور الذي لعبه مُهاجروا الأندلس إلى تلمسان، وقد كان فيهم عدد كبير من العلماء والأدباء.

وقد تمثّلت الحياة العلميّة في الجزائر في العصر الزيّاني في عدّة مظاهر من بينها:

أ) المدارس:

لقد تمَّ بناء عدّة مدارس لتدريس العلم من بينها المدرسة التي أمر ببنائها السلطان "أبو حمو الأول"،[1] وعيّن فيها الأخوين ابني الإمام للتّدريس فيها، [1] ثمّ المدرسة التي قام ببنائها

[1]) هو أبو حمو موسى الأول بن أبي سعيد يحي بن يغمراسن الزيّاني، أحد سلاطين الدولة الزيانيّة. **ينظر**: (بغية الرواد، ج1، ص 212).

السلطان "أبو تاشفين الأول".[2] ثمّ قام السلطان "أبو الحسن المريني"، [3] ببناء مدرسة أخرى بقرية العُبَّاد حين حُكْمِه لتلمسان سنة (737هـ).

وقد كان أمراء بني زيان يعتنون بهذه المدارس اهتماما كبيرا، حيث خصّصوا لها أساتذة وشيوخ للتّدريس فيها، كما أنشؤوا بيوتا للطلبة وأجْرُوا عليهم النّفقات.[4]

ب) التّعليم:

انتشر التّعليم في القطر الجزائري في العصر الزيّاني انتشاراً واسعا بفضل اهتمام الملوك الزيّانيّين بالعلم والتّدريس، وكان التّعليم ينحصر في مراحله الأولى في تعلّم الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن الكريم في الكتاتيب،ثمّ كان الطلبة ينتقلون إلى تعلّم الأدب والنّحو والفقه، ومن تفوَّقَ منهم في هذه العلوم كان يدرُسُ التّفسير والقراءات وعلوم القرآن.[5]

وكان بعض طلبة العلم ممّن آنسوا من أنفسهم قُدرة علميّة، يخرجون من مدنهم ويرتحلون في سبيل طلب العلم، يطوفون البلدان ويجوبون الأقطار أخذا عن الشيوخ والعلماء المشهورين في الأندلس والمشرق.[6]

أمّا عن مناهج التّعليم، فكانت تُتَّبع الطّرق التّقليدية، حيث يكون الطالب مُجرّد مُتلقّي يأخذ من أستاذه ما يشاء من العلوم. ثمّ تطوّرت مناهج التّعليم حيث يُسْمح للطلبة بالتّدخل في سير الدروس، وطرح الأسئلة عن طريق المناقشة، فيكون الأستاذ بمثابة مُشرف ومُوجّه لمسار الدّرس. هذه الطريقة حبّبت للطلبة عمليّة البحث، وساعدتهم على شحذ أذهانهم بالاستنتاج والتّحليل، فكان هذا الاتّجاه سببا في بروز علماء كِبار وتآليف رائعة.[7]

---

[1]) هما الأخوين أبو زيد عبد الرحمن (ت:743هـ)، وأبو موسى عيسى (ت:749هـ).**ينظر**:(التّعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، عبد الرحمن بن خلدون، ص29-30، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م) و (شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، عبد الحي العِماد الحنبلي، ج6، ص 235، مصر ، 1949م).

[2]) هو أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو موسى الأول، وُلد سنة (692هـ)، وتولى الحكم سنة (718هـ)، وتوفّي سنة (737هـ).**ينظر**: بغية الرواد، ج1، ص 219.

[3]) هو أبو الحسن علي بن عثمان المريني وُلد سنة (675هـ)، تولى الحكم على المغرب الأقصى سنة (710هـ)، وهو أحد سلاطين المغرب المشهورين. **ينظر**: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، محمد بن مرزوق التلمساني، ت: محمد بوعياد،ص 117، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

[4]) **عن المدارس وبنائها في العصر الزيّاني.ينظر**: (بغية الرواد، ج1، ص130) و (نظم الدرّ والعقيان، ص 125).

[5]) **عن طرق التّعليم في هذا العصر.ينظر**(المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ص 1132، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م) .

[6]) **عن الرحلة في طلب العلم.ينظر**: (مقدمة ابن خلدون، ص773) و (دور المسلمين في تقدّم الجغرافيا الوصفيّة، إسماعيل العربي، ص63، ديوان المطبوعات الجامعيّة،الجزائر،1994م) و(أدب الرحالة الجزائريين ،رسالة ماجستير،إعداد: الطالب عزوزي ، ص 12-13، جامعة تلمسان، 2004م).

[7]) **عن مناهج التّعليم.ينظر**: (البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم المديوني، مراجعة:ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م).

ومن بين الكتب التي كانت تُدرّس في ذلك العصر وما تلاه نذكر:[1]

* **كتب الحديث:** موطّأ الإمام مالك. ومسانيد الأئمّة: أبو حنيفة، والشافعي، وابن حنبل. صحيح: البخاري ومُسلم. وسُنن: أبي داوود، والتّرمذي، والنّسائي، وابن ماجّة، والدّارمي، والبيهقي.

* **كتب التّفسير:** معالم التّنزيل لابن مسعود البغوي. والكشّاف للزمخشري. والوسيط لأبي الحسن علي الواجدي. وتفسير فخر الدين الرازي. وتفسير الجلالين. و أنوار التّنزيل للبيضاوي.

* **كتب التّصوّف:** البردة للبوصيري.وشرح البردة لابن مرزوق التلمساني.والمنفرجة لابن النّحوي. ورسالة الإمام عبد الكريم القشيري.وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي. وقوت القلوب لأبي طالب محمد المكّي.

* **كتب أخرى:** حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني. والسيرة النبوية لابن إسحاق. والأربعين النوويّة.و كتاب الشفاء، للقاضي عيّاض.

ج) العلوم المُدَرّسة:

* **العلوم الدينية:** كانت العلوم الدينيّة في عصر الموحّدين مُنحصرة في الأصول كالقرآن والسنّة، حيث كانوا يدعون إلى ترك الفروع وما أُلّفَ فيها. لكن عند اندثار دولة الموحّدين عاد أهل المغرب –عموما– إلى الاشتغال بالفروع، وبقوا متمسّكين بالمذهب المالكي.

ومن أهمّ الكتب التي كانت تُدرّس في العلوم الدينيّة، نذكر:لامية الشاطبي، والكشّاف للزمخشري، في التّفسير. والصّحاح الستّ، في الحديث. والمستصفى لأبي حامد لغزالي، ومختصر ابن الحاجب، في الأصول. والموطّأ، والمدوّنة، في الفقه.

وقد نبغ في العلوم الدينيّة كثير من الجزائريّين، نذكر منهم:

–أبو عبد الله محمد بن سلمان التّجيبي(540– 610هـ).[2]

–أبو عبد الله محمد بن عبد الحقّ اليعفري التّلمساني(536– 625هـ).[1]

---

[1]) **عن كتب التدريس ينظر**: رحلة ابن حمادوش، ت: أبو القاسم سعد الله، ص 270 وما بعدها، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

[2]) فهرس الفهارس، عبد الحي الكتّاني، ت: إحسان عباس، ج1، ص 191، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

-أبو العيش محمد بن أبي زيد الخزرجي التّلمساني، له مؤلّفات في الأصول والعقائد.[2]

-أبو عبد الله محمد بن أحمد الشّريف الحسني التّلمساني (710-771هـ).[3]

-أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (جدّ الجدّ)(ت:681هـ).[4]

-أبو علي منصور بن أحمد المشدَّالي (631- 731هـ).[5]

*** التصوّف:** [6] بدأ انتشار التصوّف في القطر الجزائري بعد وفاة الوليّ الصالح أبي مدين شعيب (ت:594هـ)،[7] وممّن اشتهر من الصّوفيّين في الجزائر في هذا العصر:[8]

-أبو علي عمرو بن العباس (الحبّاك)(ت:613هـ).[9]

-أبو إسحاق الطيّار (ت:700هـ).[10]

-أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجّاصي (البكّاء).[11]

ويمكن القول بأنّ التصوّف كان الطّابع العام للحياة الثقافيّة والأدبيّة في هذا العصر، فقد ظهر متصوّفة في الجزائر ألّفوا في التصوّف شعرا ونثرا، وتركوا تراثا ضخما من الأدب الصوفي، نذكر من بينهم الشاعر عفيف الدين سليمان التّلمساني (ت: 690).[12] والعلامة عبد الرحمن الثعالبي.[13]

وقد ازداد انتشار الصوفيّة في الجزائر في القرون اللاحقة، خصوصا في عصر الأتراك.

---

[1])الوفيات، ابن قنفذ القسنطيني، ت: عادل نويهض، ص 310، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، 1971م.

[2]) موسوعة طبقات الفقهاء، جعفر السبحاني، ج1، ص 252، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، 1314هـ.

[3]) نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التنبكتي، ص150-154، مطبعة الصادي، مصر، 1329هـ.

[4]) بغية الرواد، ج1، ص 48.

[5]) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ج5، ص 131، مصر، 1966م.

[6]) **عن التصوّف الإسلامي،ينظر**: تربيّتنا الروحيّة، سعيد حوّى، ص 184-200-315، دار الكتب العربيّة، بيروت،دت.

[7]) هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي، المعروف بأبي مدين الغوث التّلمساني، كان وليا من أولياء الله الصالحين، توفّي ستة (594هـ)، ودُفِن بقرية العباد من تلمسان. **ينظر**: بغية الروّاد، ج1، 124.

[8]) **عن التصوّف في المغرب الأوسط ، ينظر**(الشعر الديني الجزائري الحديث، عبد الله الركيبي، ص 238-239، الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م) و (الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 6 و 7هـ، رسالة ماجستير، بونابي طاهر، ص 20 وما بعدها، جامعة الجزائر، 2000م).

[9]) بغية الرواد، ج1، ص 37.

[10]) المصدر نفسه، ج1، ص 35.

[11]) المصدر نفسه، ج1، ص35.

[12]) **ينظر**:(البداية والنهاية، ابن كثير، ج13، ص95 و105، مكتبة المعارف، بيروت).و(مرآة الجنان، اليافعي، ج4، ص 216، الهند، 1339هـ).

[13]) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، ولد سنة (785هـ) بالجزائر، له عدّة رحلات، عمل مدرّسا في الجزائر حتى وفاته سنة (875هـ)، له مؤلّفات عديدة منها:(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)،(العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة) في التصوّف. **عن حياة الثعالبي وآثاره ينظر**: (صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، نور الدين عبد القادر، ص68، مطبعة البعث، الجزائر، 1965م) و (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، ج1، ص 99 و 225، دار إحياء التراث العربي، بيروت) و(العلوم الفاخرة في النظر في علوم الآخرة، عبد الرحمن الثعالبي، ج1، ص 1و2، المطبعة الحاميديّة، القاهرة، 1317هـ).

* **العلوم الطبيعية:** لقد اشتهر عدّة علماء جزائريّين في هذه العلوم كالطبّ والكيمياء والرياضيات، نذكر من بينهم:

– أبو عبد الله محمد بن علي بن النجّار التّلمساني (ت:749هـ).[1]

– أبو عبد الله محمد ن إبراهيم الآبلي التّلمساني (ت: 757هـ)، كان أستاذ العلوم العقليّة في المغرب بلا منازع، تخرّج على يديه كثير من العلماء المشهورين، كعبد الرحمن بن خلدون، والمقّري الكبير، وابن مرزوق الجدّ وغيرهم.[2]

– أبو الحسن علي بن أحمد (ابن الفحّام)، كان عالم رياضيات وهو من صنع ساعة المنجانة للسلطان أبي حمو الثاني.[3]

3) الحياة الأدبيّة:

كانت الحياة الأدبيّة في القطر الجزائري في عصر الحكم الزيّاني مزدهرة ازدهارا كبيرا، لاهتمام الحكّام الزيّانيّين بإنشاء المدارس وتدريس العلم وإنشاء المكتبات العامّة التي كانت تحتوي نفائس الكتب في شتّى فنون الأدب العربي. ومن التّآليف التي كانت تُدرَّسُ في ميدان الأدب نذكر: كتاب العمدة لابن رشيق، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وزهر الآداب للحصري القيرواني، والكتاب لسيبويه، والأغاني للأصفهاني، وشعر المعلّقات والمعرّي والمتنبّي.

وقد بلغ الأدب في هذا العصر ذروته القصوى وعصره الذهبي، فقد نبغ في الأدب واللغة كثير من الأدباء والشّعراء الجزائريّين نذكر منهم:

–أبو عبد الله محمد بن خميس التّلمساني (650–708هـ)، كان شاعرا مُجيدا، برع في أغراض عديدة كالغزل والمدح والتصوّف.وكان شأوه لا يُلحق في الشّعر.[4]

---

[1]) التّعريف بابن خلدون، ص 48.

[2]) بغية الرواد، ج1، ص 120 وما بعدها.

[3]) نفح الطيب، أحمد المقّري، ت: إحسان عباس،ج2، ص 41- 43، دار صادر، بيروت، 1968م.

[4]) **عن ترجمته ينظر**:(الرحلة المغربية، محمد العبدري، ت:محمد الفاسي، ص11، الرباط، 1968م)./ (العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلاميّة ما بين القرنين (3- 14هـ)، عمار هلال، ص24، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م).

-أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (710-781هـ)، كان خطيبا بارعا، مُتّسع الرواية، مُشاركا في فنون من أصول وفروع وتفسير، له مؤلّفات عديدة منها: المسند الصحيح الحسن في التّراجم، و بُرح الخفاء في شرح الشّفاء، وله ديوان شعر في مدح الرسول صلى عليه آله وسلم أسماه "جنى الجنّتين في مدح الليلتين".[1]

-أبو عبد الله محمد بن يوسف الثّغري، وُلد بتلمسان ودرس بها، كان شاعر البلاط الزيّاني، له قصائد في المولديّات، وله مدائح في السلطان (أبي حمو الثاني) و(أبي تاشفين الثاني) و(أبي زيان ت:801هـ)، توفي الثغري حوالي سنة(805هـ).[2]

-أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التّلاليسي، وُلد بتلمسان ودرس بها، كان شاعر السلطان أبي حمو موسى الثاني وكاتبه، له قصائد في مدح الرسول (ص)، وله قصائد في مدح أبي حمو الثاني.[3]

وقد اهتمّ الأدباء الجزائريّون بنظم الشّعر مدحا للرسول (ص)، ومدحا للملوك، ووصفا للمدن، وشرحا للقصائد المشهورة كالبردة. وتنافس الكُتّاب في إنشاء الرسائل البليغة، وتأليف الكتب القيّمة، ومن أشهرهم:

-أبو زكريا يحي بن خلدون (734- 780هـ)، التحق بخدمة السلطان أبي حمو الثاني وعمل كاتبا للبلاط، وله شعر في المدح وأغراض أخرى، له مؤلّف " بغية الرواد".[4]

-أبو علي حسن بن عمر بن الفكّون القسنطيني أحد أشياخ العبدري، له شعر جميل، وله رحلة إلى المغرب الأقصى، كان حيّا حوالي سنة (688هـ).[5]

-أبو العباس أحمد بن حسن بن قنفذ القسنطيني (740-810هـ)، كان عالما بارزا، له عدّة مؤلّفات تدلّ على مشاركته في كثير من العلوم والفنون، منه ا: " شرف

---

[1]) معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 125، بيروت، ط2، 1980م. / التعريف بابن خلدون، ص94.

[2]) **ينظر**: (زهر البستان في دولة بني زيان، مؤلف مجهول، السفر الثاني، ورقة 53 وجه، مخطوط خاص) و (بغية الرواد، ج1، ص 60) و (تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمّار، ج1، ص 177، الجزائر، 1969م).

[3]) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد المقّري، ت: مصطفى السقا، ج1، ص 247، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1943م.

[4]) هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، ج2، ص 528، اسطنبول، 1951م.

[5]) **عن ترجمته ينظر**:(تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج1، ص 388، موفم للنشر، الجزائر، 1991م) و (درة الحجال في معرفة أسماء الرّجال،أحمد بن القاضي،ت:محمد أبو النور، ج1، ص237-238، دار التراث، القاهرة، 1970م).

الطالب في أسمى المطالب" في الحديث، "كتاب الوفيات" في التراجم، "الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصيّة" في التّاريخ، "أنس الفقير وعزّ الحقير" في التراجم.[1]

أمّا عن الدّراسات اللّغويّة فلم يكن اهتمام الجزائريّين واضحا في هذه الفترة بالدّراسات النّحوية والبلاغيّة، إلاّ ما نجده عند العالم "يحي بن مُعطي الزواوي (ت: 628هـ)، والذي ألّف كتابا في اللغة أسماه " الدرّة الألفيّة في علم العربيّة"، والعالم " زيّان بن فائد الزواوي (ت:857هـ)، والذي ألّف منظومة في النّحو.[2]

أمّا عن حركة التّأليف فقد كانت متطوّرة جدّا بما ألّفه الجزائريّون من كتب في التراجم والتاريخ والأدب، نذكر منها: " بغية الرواد ليحي بن خلدون"، و"نظم الدرّ والعقيان للحافظ التّنسي"، و"عنوان الدراية للغبريني"، و"أنس الفقير وعزّ الحقير لابن قنفذ القسنطيني"، و"العلوم الفاخرة للثعالبي"، و"المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق الخطيب"، و"دوحة النّاشر لابن عسكر"، وغيرها من المؤلّفات الكثيرة في شتّى الفنون.

أمّا الإنتاج الأدبي فتمثّل في الشّعر بكلّ أغراضه من مدح ورثاء ومولديّات وشعر صوفي، وسنمثّل لهذه الأغراض الشعرية في الفصل الأول من هذا البحث. على أنّ الشّعر الجزائري – عموما – يتناول نفس الموضوعات التي تناولها الشّعراء في المشرق والأندلس. أمّا النّثر فتمثّل في بعض الخُطب والرّسائل والوصف المُسجّع والرّحلات.[3]

و المُلاحظ أنّ الأدب الجزائري وفي جميع عصوره غلبت عليه الصّبغة الدينيّة، إذ أكثر مواضيعه تتناول المدائح النبويّة، والتصوّف، والوعظ، والحكمة.

وهكذا، فقد كان العصر الزيّاني عصر نموٍّ وازدهار بالنّسبة للحياة العلميّة والأدبيّة بالقطر الجزائري، حيث برز فيه كثير من العلماء والأدباء في شتّى العلوم والفنون، ومنهم من اشتغل بالتّدريس في مختلف أقطار العالم الإسلامي. وقد كان اهتمام سلاطين وملوك الدولة الزيّانيّة سببا رئيسا في تطوّر العلم والأدب. كما ساهم العلماء الذين هاجروا من

---

[1]) **عن ترجمته ومؤلفاته، ينظر**: (أنس الفقير وعز الحقير، ابن قنفذ القسنطيني، ت: أحمد الفاسي و أدولف فور، ص :ر(مقدمة المحقق)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1963م) و (تعريف الخلف، ج1، ص33-34) و (نيل الابتهاج، ص 75 وبعدها).

[2]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 87.

[3])**عن نماذج من نثر هذه الفترة، ينظر**: (واسطة السلوك في سياسة الملوك، أبو حمو الثاني، ص 12 وبعدها، تونس، 1279هـ) و (رسالتنا أدب الرحالة الجزائريّين، ص 89 وبعدها).

الأندلس إلى تلمسان ومختلف أنحاء القطر الجزائري إسهاما كبيرا في تطوّر حركة العلم والأدب وأثّروا فيه تأثيرا حقيقيّا.

II) عصر حكم الأتـراك (9-12هـ)

1) لمحة تاريخيّة:

في سنة(897هـ)، وبعد سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس، أصبحت شواطئ المغرب الإسلامي عُرضة لتهديد الجيوش الإسبانيّة وهجماتهم المُتكرِّرة، حتّى استطاع االإسبان أن يستولوا على المرسى الكبير لوهران سنة(911هـ)، وأن يُلقوا بنفوذهم على الأمراء الزيّانيين ويُثيروا الفتن فيما بينهم، هذا ما جعل الجزائريّين يستنجدون بالأتراك الذي كانوا يُسيْطرون على البحر المتوسط بأساطيلهم، فسار القائد "عرّوج" إليهم وحرّر مدينتي "تنس" و"تلمسان".

وفي سنة (962هـ)، سقطت الدولة الزيّانيّة، وخُلع آخر أمرائها، وأُلْحِقت عاصمتها تلمسان بالجزائر التي اتّخذها الأتراك عاصمة الدّولة الجزائريّة.[1]

2) الحياة العلميّة:

امتدّ العهد العثماني في الجزائر أزْيَد من ثلاثة قرون، ولم يكن الحكّام الأتراك يُحسنون اللغة العربيّة، ولا يهتمّون بالعلم والتّدريس، بل كانوا مُنْشغلين بالأمور الحربيّة والصّراعات الدّاخليّة مع بعضهم البعض، كمّا عمَّ الفساد والظلم. وكان هذا الجوّ المشحون بالاضطرابات غير صالحٍ لازدهار العلم والأدب، ممّا أدّى إلى هجرة العلماء بسبب الأذى الذي لَحِقَ ببعضهم، كما أدّى إلى ظهور التصوّف والزوايا والاعتقاد بالخرافات.[2]

وكان من بين العلماء الجزائريّين الذين هاجروا إبّان حكم الأتراك:

-أبو الفضل محمد المشدّالي البجائي(822-865هـ) إلى المشرق.[3]

---

[1]) نهاية الأندلس والعرب، عبد الله عنان، ص 172 إلى ص 205، القاهرة، 1949م.

[2]) إ رشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد شاوش رمضان، ج3، ص 406، الجزائر، 2001م.

[3]) **ينظر**:(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عبد الرحمن السخاوي، ج4، ص 265 إلى ص 271، منشورات مكتبة الحياة، بيروت).و(شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، محمد مخلوف، ص 263، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1949م).

-أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، ولد سنة (834هـ) بتلمسان، ثمّ هاجر إلى فاس وذاع صيته هناك، وقد ألّف كتاب "المعيار المُعرب" في الفقه والأصول، توفي سنة (914هـ).[1]

-أبو زيّان ناصر بن مزني البسكري (ت: 822هـ).[2]

-أبو القاسم بن سالم الوشتاتي القسنطيني (ت: 846هـ).[3]

بينما اختار من بقِيَ من العلماء في الجزائر حياة العُزلة والانقطاع، كالعلاّمة: عبد الرحمن الثعالبي. ممّا أدّى إلى ضُعف العلم والأدب، لا سيّما الشعر، " وضَعُفَت اللغة العربيّة، وعمَّ الأدب العامّي. ولقد تأثّر الإنتاج الأدبي بالحالة السيّئة من انتشار الفساد والفِتن، فضَعُفَ الشّعر وابتعد عن كلّ خَلْقٍ وإبداع، فقد أكثر الأدباء من التّأليف في النّحو واللغة والتّاريخ، وجَمْعِ الأمثال والأخبار، وعَمَّ الشّعر ظاهرة التّشطير والتّخميس، ولجأ الشّعراء إلى مدح الرسول (ص)، وعمّ الشّعر الصّوفي".[4]

لكن هذا لا يعني أنّ الجهل كان ينتشر انتشارا كاملا، بل كانت بعض المساجد والزوايا تقوم بدور التّعليم، لكنّه لم يرْقَ إلى درجة التّعليم العالي الذي كان موجودا في العصر الزيّاني[5]. كما عرف هذا العصر في بدايته نبوغ بعض العلماء والأدباء، ظلّ إنتاجهم محلّ عناية و اهتمام علماء القرون اللاحقة بالدّراسة والشّرح، كما ظهرت بعض المراكز الثّقافيّة الجديدة في كلّ من تلمسان، وقسنطينة، وبجاية، و عنابة. وقد اشتهر في كلّ مدينة من هذه المدن عائلات عُرفت بالعلم والصّلاح، منها: عائلة المقّري بتلمسان، وعائلة ابن قنفذ بقسنطينة، وعائلة المشدّالي ببجاية، وعائلة البوني بعنابة.[6]

كما لا يُمكننا إغفال التّأثير الثقافي للأندلسيّين المهاجرين على المجتمع الجزائري، فلقد " احتكر الأندلسيّون ميدان التّعليم في المغرب العربي، ولا سيّما في الحواضر، ونقلوا طريقتهم الخاصّة بهم إلينا، من ذلك عدم الاقتصار في تعليم الأطفال على حفظ

---

[1]) درة الحجال، ابن القاضي، ج1، ص 91.

[2]) الضوء اللامع، ج4، ص 480.

[3] المصدر نفسه، ج4، 670.

[4]) الشّعر المغربي، العربي دحّو، ص 107، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1994م.

[5]) **عن الحياة العلمية ،ينظر ما كتبه الرحالة المغاربة في**، (نشر أزاهير البستان، ابن زاكور الفاسي، ص3-4، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1902م) و(ماء الموائد، عبد الله العياشي، ج1، ص 46، المطبعة الحجريّة، فاس)و(رحلة الورتلاني، ت: ابن أبي شنب،ص 93، مطبعة فونتانا، الجزائر).

[6]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 44-45.

القرآن...بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامّة لمُختلف العلوم...كما علّموا روايات القرآن وأنواع قراءاته...وقد شمِل التّأثير الأندلسي أيضا ميادين النّحو والأدب والعلوم..."[1].

وقد تمثّلت الحياة العلميّة في الجزائر في عهد الأتراك بالمظاهر الآتية:

أ) المدارس: لقد اصطبغ التّدريس في هذا العصر بالصّبغة الدينيّة، واقتصر التّدريس على بعض الأماكن منها:

* **كتاتيب القرآن:** حيث كان يتعلّم فيها الأطفال حروف الهجاء ويحفظون القرآن.

* **الزوايا:** كانت من أهمّ المركز الثقافيّة في هذا العصر، تقوم بتحفيظ القرآن، وتدريس الفقه والعقائد وعلوم اللغة.

* **المدارس:** لم تكن متوفّرة بالقدر الذي كانت عليه في العصر الزيّاني، واقتصر وجودها على المدن الرئيسيّة، كتلمسان، والجزائر، وبجاية، وقسنطينة، حيث حافظ أهل هذه المدن على المدارس التي ورثوها عن العهد الزيّاني والحفصي، واعتنوا بها عناية كبيرة من حيث التّدريس وجلب الكتب. على أنّ الحكّام الأتراك لم يكن لهم اهتمام بهذه المدارس إلاّ ما نجده عند بعض البايات الذين كان لهم اهتمام بالعلم والعلماء، كالدّاي بكداش[2] مثلا.

ب) التّعليم: كان التّعليم يركّز على تحفيظ القرآن بعد تعلّم القراءة والكتابة، ثمّ تعليم بعض العلوم كالحساب، بالإضافة إلى تعلّم الخطّ. ثمّ ينتقل بعض الطّلبة إلى المدرسة لإكمال تعلّمهم، ومنهم من يرتحل إلى زوايا بعيدة ويقوم بدراسة بعض الكتب في البلاغة والنّحو والفقه. ومن أهمّ وسائل التّعليم، الكتب وبعض المكتبات التي كانت تحتوي على بعض التّقاييد والحواشي والشّروح.[3]

ج) التصوّف: لقد انتشر التصوّف في الجزائر إبّان العهد التّركي انتشارا واسعا بسبب ضُعف الدّولة داخليّا وخارجيّا، وانزواء النّاس وانطواء العلماء، وظهور الزوايا كمكان

---

[1]) المرجع نفسه، ج1، ص 45.

[2]) هو الداي محمد بن علي الكدالي، أصبح دايا على الجزائر في(1118هـ)، وفتح وهران في(1119هـ)، توفي مقتولا سنة(1122هـ).**ينظر**:تحفة الزائر، محمد بن عبد القادر، ت: ممدوح حقي، ج1، ص 106، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964م.

[3]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 274.

للتّعليم بدل المساجد والمدارس، فانحطّ مستوى التّعليم، وكَثُرَ الاعتقاد في كرامات الأولياء والصّالحين والخُرافات، وطغى التصوّف الزّائف على العامّة. بينما عُرف التصوّف الحقيقي (العملي) لدى قِلّة من العلماء كعبد الرحمن الثعالبي،و"يحي الشّاوي"[1].

ولقد كان ظهور التصوّف في هذا العصر، امتدادا للحركة التي بدأت قبلها بعدّة قرون، ولعلّ ما شجّع التصوّف في العهد التّركي، " أنّ التّرك كانوا في تكوينهم الدّيني والنّفسي والحربي من أتباع الطّريقة الصّوفيّة، فالطّريقة البكداشيّة كانت منذ ظهورهم تقودهم وتُؤثّر فيهم..."[2]. ولقد ظهرت في الجزائر عدّة طُرُق صوفيّة بعد القرن الثامن الهجري، وصل عددها إلى ثلاثة عشر طريقة.[3]

3) الحياة الأدبيّة:

كانت الحياة الأدبيّة في هذا العصر دينيّة محضة، فقد كان الشّعراء والأدباء فقهاء بالدّرجة الأولى، ولقد كان للجزائريّين في العهد العثماني إنتاج أدبيّ لا بأس به من نثر وشعر، وقد تناول الشّعراء في أشعارهم شتّى الأغراض التي كانت مُتداولة، كالمديح، الرّثاء، والشّعر الدّيني، والشّعر الملحون.[4] وقد غلب على هذه الأغراض الشعر السياسي أو ما يُسمّى بشعر الجهاد، نظرا للحروب التي كانت ناشبة بين المسلمين والإسبان الذين كانوا يحتلّون آنذاك العديد من الشواطئ الجزائريّة.

أمّا النّثر فتمثّل في تدبيج الرّسائل، [5] وإنشاء الخُطب،[6] وتسجيل الرّحلات،[7] والمقامات، والإجازات العلميّة.[8]

---

[1])هو أبو زكريا يحي بن محمد الشاوي الجزائري وُلد سنة (1030هـ) بالجزائر، ثمّ ارتحل إلى المشرق، توفي سنة (1096هـ). **ينظر**: التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة، محمد بن ميمون الجزائري ،ت: محمد بن عبد الكريم، ص75، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.

[2]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 459.

[3]) الحركة الصوفية في المغرب الأوسط (6-7هـ)، ص 20 وبعدها.

[4]) **عن الشعر الجزائري في هذه الفترة، ينظر**: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 78 وبعدها.

[5]) **عن الترسّل في هذه الفترة، ينظر**: (تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 188)و (التحفة المرضيّة، ص 170- 185).

[6]) **عن الخطابة في هذه الفترة، ينظر**: (تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 202 وبعدها) و (التحفة المرضيّة، ص 197-198).

[7]) **عن الرحلات في هذه الفترة، ينظر:** (رسالتنا: أدب الرحّالة الجزائريين، ص 23 وبعدها) و (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، محمد أبو راس الجزائري، ج1، ص 9، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1633) و (الجزائر من خلال رحلات المغاربة، مولاي بالحميسي، ص 20-21، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م).

[8]) **عن الإجازات العلمية، ينظر**: نفح الطيب، ج3، ص 48 وبعدها.

فلقد أكثر العلماء الجزائريّون من كتابة الرسائل، لطبيعة علاقاتهم الاجتماعيّة، ولقد تميّز كثير منهم بكتابة الرّسائل الجيّدة، نذكر منهم:عبد الكريم الفكّون القسنطيني، [1] وأحمد المقّري التلمساني،[2] وسعيد قدّورة.[3]

وقد كان هؤلاء العلماء يتبادلون الرّسائل في أغراض شتّى، كالتّعزية، والتّهنئة، والعتاب، أو الإخبار بتأليف كتاب. أمّا الخطابة فلقد تعدّدت أغراضها في الجزائر فاشتملت على الأغراض الدينيّة والاجتماعية والسياسيّة. وقد عُرف من الخطباء الجزائريّين في هذا العصر كثير منهم: "عبد الكريم الفكّون"، و "سعيد المقّري".[4]

أمّا الرّحلة فقد اهتمّ بها الجزائريّون اهتماما كبيرا، وقد كَثُرَ الرحّالة الجزائريّون في العصر التّركي، نذكر منهم على سبيل المثال: أحمد المقّري، وأحمد بن عمّار الجزائري (ت:1204هـ)،[5] والورتلاني(ت:1193هـ)،[6] وأبو راس النّاصري،[7] وغيرهم.

أمّا الدّراسات اللغويّة، فقد اشتهر فيها بعض الجزائريّين نذكر منهم: "يحي الشّاوي"، و"عبد الكريم الفكّون القسنطيني".

أمّا في البلاغة فقد قام العالم "عبد الرحمن الأخضري"، [8] بتأليفٍ في علم البيان أسماه "الجوهر المكنون"، قام الفكّون من بعده بإتمامه.[9]

---

[1]) هو أبو محمد عبد الكريم بن محمد الفكّون القسنطيني(ت:1073)،كان إمام ركب الحجّ الجزائري، له ديوان شعر في المدائح النبويّة، وله مؤلّف "منشور الهداية".**ينظر**:التحفة المرضيّة، ص 74.

[2]) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقّري التلمساني(ت:1041هـ)، من أبرز علماء الجزائر العثمانية، له تآليف عديدة منها: نفح الطيب، وأزهار الرياض، وروضة الآس، وغيرها.**عن حياته وآثاره، ينظر** : (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبّي ، ج1، ص 311، دار صادر ، بيروت) و (تراجم إسلامية شرقية وأندلسيّة، عبد الله عنان، ص 245، دار المعارف، القاهرة، 1947م) و (سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، علي ابن معصوم، ص 589، مصر، 1324هـ).

[3]) هو أبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدّورة الجزائري (ت: 1066هـ)، أخذ عن سعيد المقّري. **ينظر**: التحفة المرضيّة، ص 74.

[4]) هو أبو عثمان سعيد بن أحمد المقّري التلمساني (ت: بعد 1011هـ)، هو عمّ أحمد المقّري المشهور، كان مفتيا ،وخطيبا بتلمسان مدّة أربعين سنة بجامعها الأعظم. **ينظر**:(التحفة المرضيّة ، ص 71) و (شجرة النور الزكيّة ، ص 295).

[5]) هو أحمد بن عمار الجزائري، علاّمة الجزائر ومُحدّثها، عاش في القرن 12هـ، قام بعدّة رحلات إلى الحجاز، وسجّلها في كتاب أسماه "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"، وله ديوان شعر ورسائل. **ينظر**: فهرس الفهارس، ج1، ص 121.

[6]) هو الشيخ الحسين بن محمد السعيد الورتلاني، ولد سنة (1125هـ)، من أبرز العلماء الجزائريين، نبغ في الفقه والتوحيد والنّحو، قام بعدّة رحلات إلى الحجاز، وسجّلها في كتاب أسماه " نُزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار". **ينظر**: تعريف الخلف برجال السلف،ج1، ص 397-407.

[7]) هو محمد بن أحمد بن النّاصر، المعروف بأبي راس الناصري المعسكري، ولد حوالي سنة (1146هـ)، قام بعدّة رحلات شرقا وغربا، سجّلها في كتاب أسماه " فتح الإله ومنّته"، له مؤلّفات عديدة بلغت الخمسين. **ينظر**: فتح الإله ومنّته ، أبو راس الجزائري،ت: محمد بن عبد الكريم، ص 27 وبعدها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

[8]) هو أبو زيد عبد الرحمن الأخضري (ت:953هـ)، له مؤلّفات عديدة منها: (الجوهر المكنون في البلاغة)، (السّراج المنير في الفلك)، (السّلم المُرَوْنَق في المنطق). **ينظر**: التحفة المرضيّة، ص 69.

[9]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 158-167.

4) أعلام الفكر والأدب في الجزائر ما بين القرنين (9 – 12 هـ):

بالإضافة إلى العلماء الذين ذكرناهم سابقا، كالمقّري، والفكّون، والثّعالبي، وابن عمّار، وأبو راس الجزائري، والوتلاني، والبوني، نبغ في الجزائر أعلام كثيرون في شتّى العلوم والفنون نذكر منهم:

* أبو عبد الله محمد بن شقرون الوجديجي التّلمساني(ت:982هـ)،[1] أخذ عن سعيد قدّورة، قدّورة، له شرح على التّلمسانيّة.[2]

* أبو العباس أحمد بن أبي جماعة المغراوي الوهراني(ت: 930هـ)،[3] له كتاب"جامع جوامع الاختصار والتّبيان،فيما يفرّق بين المتعلّمين والصّبيان"، في مناهج التّعليم.

* أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مريم المديوني التّلمساني(ت: 1018هـ)، [4] صاحب كتاب"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان".

* أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري(ت:بعد 1122هـ)،[5] صاحب كتاب "التُّحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة".

* محمد بن علي القوجيلي الجزائري(ت:1078هـ)،[6] شاعر مجيد، له قصائد رائعة في الغزل والوصف، وله كتاب "عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع" في الحديث.

* محمد بن عبد الرحمن الحوضي(ت:900هـ)،[7] شاعر البلاط الزيّاني، له مدائح في عدد من الأمراء الزيّانيّين، وله مدائح في الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).

* أبو عبد الله محمد بن علي الجزائري(ت:حوالي 1171هـ)،[8] من أشعر الجزائريين بعد بعد ابن خميس التّلمساني، وأفضلهم على الإطلاق، له قصائد رائعة في الغزل ووصف الصّيد، تفوّق فيها على بعض الشّعراء المشهورين في المشرق.

---

[1]) التحفة المرضيّة، ص 71.

[2]) هي نظم في الفرائض، لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري، نزيل سبتة، نظم التلمسانيّة وعمره 20سنة، توفي سنة(685هـ). **ينظر**: تعريف الخلف، ج1، ص 9-10.

[3]) دوحة النّاشر في ذكر علماء المغرب بالقرن العاشر، محمد بن عسكر الحسني، ص 60 ، فاس، 1309هـ.

[4]) التحفة المرضية، ص 72.

[5]) المصدر نفسه، ص 74.

[6]) إيضاح المكنون، ج2، ص 392.

[7]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 78.

[8]) أشعار جزائرية، أبو القاسم سعد الله، ص 21، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

* أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني(ت:منتصف القرن 12هـ)، [1] شاعر بارع، وله قصائد في شعر الملحون، وهو صاحب منظومة " العقيقة في مدح خير الخليقة"، مدح فيها الرسول(ص) على طريقة البوصيري، وقد قام كثير من العلماء من بعده بشرحها.

أمّا إذا اتّجهنا جنوب الجزائر– خصوصا إلى منطقة توات [2]– فقد نبغ فيها علماء في فنون شتّى، كالنّحو، والبلاغة، والعروض. كما نبغ فيها شعراء وخطباء كثيرون. والسّبب في ظهور عدد كبير من العلماء والأدباء في منطقة توات، أنّها لم تخضع للدولة العثمانية كما خضعت مناطق الشمال الجزائري.[3]

ولعلّ من أشهر علماء هذه المنطقة نذكر:[4]

- محمد بن عبد الكريم المغيلي: وُلد بتلمسان، ودرس بالجزائر، ثم ارتحل إلى توات، وله رحلة في السودان، عاد إلى توات وتوفي فيها سنة (909هـ)، له عدّة مؤلّفات وفتاوى وأشعار.[5]
- سالم العصموني: هو سالم بن أبي بكر بن محمد العصموني، ولد بتلمسان سنة (882هـ)، رحل إلى توات وتولّى قضاءها سنة (914هـ)، وتوفي بها سنة (968هـ).[6]
- عبد الكريم التواتي: هو عبد الكريم بن محمد التواتي، ولد سنة (994هـ)، أخذ العلم على سعيد قدورة وأحمد المقّري، له رحلات كثيرة وأشعار، تولّى الإمامة والقضاء بتوات، توفي سنة (1042هـ).[7]

---

[1]) الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، أحمد بن سحنون الراشدي، ت:المهدي بو عبدلي، ص 65-57، منشورات التعليم الأصلي، الجزائر.

[2]) **عن منطقة توات تاريخيا وجغرافيا واجتماعيا، ينظر**: (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية و الحضارية، عبد العزيز بن عبد الله، ص 62، وبعدها، المغرب، 1976م). (معجم مشاهير المغاربة، أبو عمران الشيخ، ص 365، جامعة الجزائر، 1995م). (أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن بالجزائر، أحمد بو سماحة، ص 77، مطبعة هومة، الجزائر، 2002م). (إقليم توات خلال القرنين 18-19م، فرج محمد فرج، ص 75، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م).

[3]) **عن تدريس العلم في منطقة توات، ينظر:** زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، ص 30 وما بعدها، دار الفكر الجزائر.

[4]) **عن علماء توات، ينظر**: الحركة الأدبية في منطقة توات،رسالة دكتوراه من إعداد الطالب: أحمد جعفري، ص 302 وما بعدها، جامعة تلمسان،2007م.

[5]) مصباح الأرواح في أصول الفلاح، للإمام عبد الكريم المغيلي، ت: رابح بونار، ص3، الشركة الجزائرية للنشر، الجزائر، 1968م.و (المعيار المعرب، أحمد الونشريسي، ج2، ص 219، دار الغرب الإسلامي، بيروت) .و (تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ق(16- 20م)، يحي بوعزيز، ص 69، دار هومة، الجزائر، 2001م).

[6]) النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبد الحميد بكري، ص 76، دار الهدى، الجزائر، 2005م.

[7]) المصدر السابق، ص 114.

- ابن الونّان: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الونّان الحميري نسبا، التواتي أصلا، له عدّة رحلات، وله أشعار كثيرة أشهرها أرجوزته المعروفة بالشمقمقية، توفي سنة (1178هـ).[1]

هكذا، ورغم الإضطرابات السياسية والفتن التي عرفتها الجزائر في العصر التّركي، لم يندثر العلم تماما، فقد كانت مناطق كثيرة من الجزائر لا تزال تشِعُّ بنور العلم على أيدي العلماء. كما نبغ كثير من الأدباء والشعراء، الذين تركوا لنا نتاجا علميّا وأدبيّا هامّا مازال الجزء الأكبر منه ضائعا حتّى الآن.

[1]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 120.

الفصل الأول

الشعر الجزائري ما بين القرنين (7- 12هـ). أغراضه و خصائصه.

* المبحث الأول: أغراض الشعر الجزائري.

- المبحث الثاني: خصائص الشعر الجزائري.

إنّ الشعر الجزائري أصيل بأغراضه وخصائصه، ولغته وأسلوبه، وموسيقاه وقوافيه، وعريق ينبع من تراثنا العربي الأصيل. فقد كان الشعر الجزائري في الفترة الممتدّة بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين، مُلَخِّصا لمراحل القصيدة العربية في أطوارها المختلفة وامتدادا لها، فازدهر ازدهارا كبيرا، وتعدّدت أغراضه ومواضيعه.

وقد برز في الجزائر في هذه الفترة شعراء كثيرون برعوا في شتّى أغراض الشعر، وترك لنا بعضهم دواوين تدلّ على طول باعهم في الشعر وقدرتهم فيه.

كما ظهر في القرن التاسع الهجري ما يُعرف بالشعر الملحون، لكنّني في دراستي هذه سأهتمّ بالشعر الفصيح فقط. والسبب في ذلك أنّ الشّعر الملحون يحتاج إلى دراسة خاصّة ومفصّلة، ونحن لا نستطيع أن نوفيه حقّه في هذا البحث.

المبحث الأول: أغراض الشعر الجزائري.

الشّعر كما عرّفه النقّاد القُدامى "قول موزون مقفّى يدلّ على معنى". [1] ونجد هذا المفهوم نفسه عند معظم النقّاد، فأبـو هلال العسكري (ت: 395هـ) يقول:" إذا أردت أن تعمل شعرا، فأحْضر المعاني التي تريد نظْمها فِكْرَك، وأخْطِرْها على قلبك، واطلب لها وزنا يتأتَّى فيه إيرادها وقافية يحتملها".[2]

وذهب المظفّر العلوي (ت:656هـ) إلى قريب من ذلك فقال:" إنّ الشّعر عبارة عن ألفاظ منظومة تدلّ على معاني مفهومة، وإن شئت قلت: الشّعر عبارة عن ألفاظ منضودة تدلّ على معاني مقصودة ".[3]

أمّا العلاّمة عبد الرحمن بن خلدون فقد فصّل القول في مفهوم الشّعر فقال: " هو كلام مُفَصَّل قِطعًا قِطعًا متساوية في الوزن مُتّحِدة في الحرف الأخير من كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا و يُسَمّى الحرف الأخير الذي تتّفق فيه رَوِيًّا و قافية و يُسمّى جملة الكلام إلى آخره قصيدة و كلمة و ينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام

---

[1]) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ت: كمال مصطفى، ص17، مطبعة الخانجي، ط3، القاهرة، 1979م.
[2]) الصّناعتين،أبو هلال العسكري، ت: مفيد قميحة، ص 157، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1989م.
[3]) نضرة الإغريض في نصرة القريض، ت: نهى الحسن، ص10، مطبعة طربين، دمشق، 1976م.

وحده مُسْتقِلّ عمّا قبله و ما بعده و إذا أُفْرِدَ كان تامّا في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاما آخر كذلك... و يُراعِي فيه اتِّفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد ... و لهذه الموازين شروط و أحكام تضمنها علم العروض و ليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن و إنما هي أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور و قد حصروها في خمسة عشرا بحرا بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظما".[1]

و لقد حاول بعض العلماء و النقاد القدامى أن يصنّفوا الشّعر إلى أصناف وأغراض، فوضعــوا كلّ صنف في منزلة خاصّة حسب محاسنه ومساوئه، فعبد الكــريم النّــهشلي(ت:405هــ) – مثلا– يرى أنّ أصنافه أربعة هي:"...شعرٌ خيرٌ كلُّهُ، وذلك ما كان في باب الزّهد والمواعظ الحسنة والمثَلِ العائد على من تمثّلَ به الخيرَ وما شابه ذلك.وشعر ظُرْفٌ كلّه وذلك القول في الأوصاف والنّعوت والتّشبيه. وشعر شرٌّ كلّه وذلك في الهجاء وما تسرَّعَ به الشّاعر إلى أعراض النّاس. وشعرٌ يُتَكَسَّبُ به وذلك أن يَحْمِلَ إلى كلّ سوقٍ ما يُنْفَقُ فيها، ويُخاطب كلّ إنسان من حيث هو، و يأتي إليه من جهة فهمِه"[2]

وصنّف ابن رشيق الشعر حسب جودة ألفاظه وصدق معانيه، وقد ذهب إلى ما ذهب إليه النّهشلي فقال نظما:

..فإذا ما مَدَحْتَ بالشّعر حُرّاً رُمْتَ فيه مذاهب المُشْتهينا
فجعَلْتَ النّسيب سهلاً قريبــا وجعلْتَ المديح صِدقاً مبينا
وتعلَّيْتَ ما يهْجُنُ في السّــمع وإنْ كان لفظُهُ موزُنــــــا.[3]

و يرى المقّري أنّ الغرض الوحيد الذي يَحْسُنُ بالشاعر أن ينظُم فيه هو المديح النبوي، فقال:

ليس كلُّ القريض يقبَلُــهُ السّمع و تُصْغي لذكْرِهِ الأفهـــام

---

[1]) المقدمة، ج1، ص 568، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.
[2]) العمدة،.ابن رشيق القيرواني، ، ج1، ص 98، دار المعرفة، بيروت، 1988م.
[3]) المصدر نفسه، ج1، ص 101.

إنّ بعض القريض ما كان هُزاءً ليس شيئاً و بعضُهُ أحكـــام
وأجَـــلُّ الكلام ما كان في مَـــدْ ح شفيع الورى عليه السلام.[1]

أمّا الشّاعر ابن الونّان التواتي (أبو الشمقمق)،[2] فيرى أنّ للشّعر فوائد جمّة لخّصها في أبيات من قصيدته الشّمقمقيّة، وفيها عن فوائد الشّعر قال:

واعْنَ بقول الشّعر فالشّعر كما *** لٌ للفتى إن بـــه لم يَـــرْتـــزق
والشّعر للمجد نجـــادُ سَـــيْـــفِه *** وللعُـــلا كالعِـــقْد فوق العنُـــق
فقُـــلْـــه غير مُـــكْثِرٍ منْـــه ولا *** تعبأ بقول جـــاهلٍ أو أحْمـــق
ما عابـــهُ إلاّ عيـــيٌّ مُـــفحَـــمٌ *** لعَرْفِـــه الذكيّ لـــم يسْتَـــنْـــشق
كما حاجة يسَّرَها وكم قَـــضى *** بفَـــكِّ عـــانٍ وأسِـــيرٍ مُـــوثَـــق[3]

وقد كان الباعث الديني الدّافع الأساس لنظم الشّعر عند الجزائريّين، خصوصا في موسم الحجّ حيث كان هؤلاء الشّعراء ينظمون قصائد طويلة يتشَوّقون فيها إلى البقاع المقدّسة وزيارة قبر الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وكذلك بمناسبة المولد النبويّ، حيث كانوا ينظمون قصائد كاملة في مدح الرســـول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)عُرِفَتْ في تاريخ الأدب بشعر المولديّات.

كما كانت الحروب التي خاضها الجزائريّون لاسترجاع الأراضي التي استعمرها الإسبان دافعا لبعض الشّعراء لنظم قصائد في الحثّ على الجهاد ومحاربة أعداء الإسلام.

و كانت هجرة بعض الجزائريّين إلى البلدان العربيّة والإسلاميّة حافزا آخر على نظم قصائد طويلة في الحنين إلى الوطن، والشكوى من جوْرِ النّاس والزّمان. إضافة إلى البواعث الاجتماعيّة كالرّثاء والتّهنئة والموعظة.

ولم تكن المرأة دافعا مرغوبا فيه لنظم قصائد الغزل، لأنّ التربيّة الدينيّة للمجتمع الجزائري آنذاك لم تكُنْ تسمحُ بهذا النّوع من الشّعر، إلاّ ما كان منه عفيفا كوصف حال

---

[1]) نفح الطيب، ج1، ص 55.
[2]) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الونان المعروف بأبي الشمقمق، وهو لقب عُرف به أبوه تشبيها له بالشاعر العباسي أبو الشمقمق، ولد بتوات، وارتحل إلى فاس طلبا للعلم، ثم عاد إلى توات وتوفي بها سنة (1187هـ). **ينظر**: المعجم المفصّل في الأدب، محمد التونجي، ج1، ص 27، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
[3]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 122.

المحبّ مِنْ وُجْدٍ وشوق وما يترتّب عن ذلك من ألم نفسي. وقد ذهب بعض العلماء الجزائريّين إلى النّهي عن النّظم في هذا النّوع من الشّعر إجمالا، كقول العلاّمة الحسين الورتلاني في أشعار الغزل:"...فيها ذكر الخدود والقدود، وتسميّة المحبُوب من النّساء المرغوب فيها الفساد" [1].

فإضافة إلى الأغراض المعهودة في الشّعر العربي كالمدح، والفخر، والرثاء، كان الشّعر الدّيني من أهمّ الموضوعات التي تطرّق لها شعراؤنا الجزائريّون متمثّلا في شعر المولديّات، وشعر الزّهد، وشعر التصوّف.

وقد جاءت أغراض الشّعر الجزائري عموما على النّحو التّالي:

1) المديح النبويّ:

لقد تناول الشّعراء هذا الغرض منذ فجر الإسلام، من ذلك ما نجده عند حسّان بن ثابت(ت:54هـ) في صدر الإسلام، والذي يقول في إحدى قصائده مادحا:

شَقَّ لَهُ مِن اسمه كَـي يُـجِلَّهُ *** فَـذو العَرش مَحمودٌ وَهَذا مُحَمَّـدُ
نبيٌّ أتانا بعد يـأس و فترة *** من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً *** يـلُوح كما لاح الصّـقيلُ المهنّـد
وأنذرنـا ناراً وبشّـر جنّـة *** وعلّمَنا الإسـلام فـالله نَحْمَـد.[2]

ومن ذلك ما نجده في القرن السابع للهجرة عند البوصيري، [3] في قصيدة البردة التي نظمها خصّيصا في مدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، يقول في مطلعها:

أمِنْ تَذَكُّرِ جِيـران بِذِي سَلَـمٍ مَزَجْتَ دَمْعاً جَـرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أمْ هَبَّتْ الريحُ مِنْ تِـلْـقاءِ كاظِمَةٍ و أوْمَضَ البَرْقُ فِي الظلْماءِ مِنْ إضَمِ.[4]

---

[1]) رحلة الورتلاني، ص 196.
[2]) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، ج1، ص 425، مطبعة بولاق، 1299ه-.
[3]) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الصّنهاجي البوصيري (608- 696هـ)، أصله من قلعة بني حماد ببجاية، ونُسِب إلى بوصير مسقط رأس أمّه، كان شاعرا مجيدا، من أشهر شعره قصيدته المسمّاة بالبردة.**ينظر**:(فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، ت: إحسان عباس، ج2، ص 1015، مطبعة الحياة، بيروت، 1972م).
[4]) الزبدة في شرح البردة، محمد الغزّي، ت: عمر باشا، ص 43-52، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.

ولعلّ البوصيري هو أوّل من وضع الإطار العام لقصيدة المديح النبوي ببردته التي ظلّت مرجعا لمن تلاه، فجاء من بعده كثير من الشّعراء يُحاكون قصيدته في المديح النبوي موضوعا وليس صياغة. فكان موضوع المديح عند شعرائنا جاهزا في مادّته، التزموا فيه ما التزم به مَنْ سبقَهُم من الشّعراء في هذا الغرض، إذْ طافوا حول المعاني والأفكار التي نشأت مع الدّعوة الإسلاميّة وتطوّرت بعد ذلك. فلو استنطقْنا أغلب قصائد المديح النبويّ في الشّعر الجزائري، لوجدنا الموضوعات ذاتها التي طرقها البوصيري في بردته.

وقد كَثُرَتْ قصائد المديح النبويّ عند شعرائنا الجزائريّين حتّى أصبحت ميزة لديهم وخاصيّة في أغراض شعرهم، أمثلة ذلك عديدة نذكر منها:

قصيدة مديح للشاعر أبي محمد عبد المنعم بن محمد الغسّاني الجزائري(ت:670هـ)، قال في أبيات منها:

لكُلِّ نبـــيٍّ دعــوةٌ مُــستجابــةٌ وسيّدهم طُرّاً خبّـــاها لأمّتـــه
إلى يوم لا يُغني عن المرء منطقٌ فصيحٌ ولا يُدلي البليغ بحُجّتـــه
..وكلّ نبيٍّ يســـأل الله نفســـه ويضرب صفحا عن سؤالٍ لأمّته
خلا شفيعٌ فينا كريمٌ مُشــفّـــــعٌ به سيشمل الله العباد برحمتـــه
..فمن ذا له فضلٌ كفضل محمّــد على أمّة أو مَن له مثل نعمتــه [1].

وأبيات مديح للشّاعر محمد بن يوسف الثّغري أحد شعراء البلاط الزيّاني قال فيها:

قسماً بزمزم والحطيم وما حَــوى من رحمةٍ، ذاك الحطيمُ وزمزمُ
..أنتَ الرؤوف بأمّــةٍ بَشَّــرْتَها يوم القيامة أنّــها بــك تُــرْحَمُ
أنت المُسَوِّغُ مُشْرِعَ الحوض الذي يُرْوَى بكوثــره التقــيُّ المسلم
أنت المُبــلِّغُ حكمة الــذّكر الذي بَيَّنْتَ فيه ما يــحِلُّ ويــحــرُم
أسْرَيْتَ للسّبع الطّــباق فأقْــبَلَتْ أملاكها طُــرّاً عليك تُسلّــم[2].

[1]) عنوان الدراية، أحمد الغبريني،ت:رابح بونار، ص 124، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
[2]) تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، محمد التنسي، ت: محمود بوعياد، ص 169 - 172.

ونجد للشّاعر أبي عبد الله محمد بن يعلى الحسني أحد شعراء البلاط الزيّاني في مدح الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وذكر ليلة مولده، قصيدة يقول في أبيات منها:

ظَهَرَتْ فأظْهَرَتْ السّرور الأفْخَرا وسَمَتْ فأخْفَضَتْ الهلال الأزهرا

..لله صُبْح صبـــيحة ميمــونة أبْــدَتْ بفضل الله نــوراً خيِّــرا

..جاءت بأحمـــد هــادٍ ومُهتدٍ ومُبــشّراً ومُــجدِّدا ومُــطهِّــرا

..صلّى عليك الله يا خيْرَ الورى أزْكى صـــلاةً و أعظــم و أوْفرا

..ما لي إلى ربّي سِــواه وسيلة يمُنُّ بالعفو الجمــيل ويــغْفِرا .[1]

ولأبي الحسن علي بن العطّار،[2] في مدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) قصيدة يقول في أبيات منها:

وَصِبُ بالهوى كَلِفٌ مُعَنَّى أعَنَّ من الصّبابة ما تَعَنَّى

..نبيٌّ مصطفى هادٍ شفيع بمولده السّعيد لقد سَعِدنا

شفيعُ المذنبين غداة حشرٍ مُقيلِ عِتارنا ممَّا اقترفْنا

مدائحُ سيّد الثّقليْن ما أنْ تُحَدُّ وكيف تُحْصى وأنّا

وحسبُه منْحةٌ وعُلُوّ قدرٍ من الربّ العظيم عليه أثنا .[3]

وللشّاعر المنداسي التّلمساني(ت: في القرن 12هـ)قصيدة مديح قال فيها:

صلِّ يا ربّ على مَن بإسمــه يقبــلُ الله مــن عبــاده العملْ

..هل رأيتُم أو سمِعتم حُسنا في الورى من حسنه الحُسْن اكتمل

كالرّسول العربــيّ أكْــرِمْ به مَنْ مُدّ بــدا الشّــرك اضمحل

أحمد المبعوث فــينــا رحمــةٌ خيرُ مَن قــام بــحقٍّ و كَــفَل

آيـــةُ الله أمــيــنٌ صــادقُ وحبيب الله بَــرٌّ مُــنْــتــضل

قد تحــلّى إذْ تجـــلّى بــدره بالبَهَا مِن ربّه عــزّ و جـــلّ.[4]

---

[1]) زهر البستان، ج2، ورقة 32 ظهر.
[2]) لم نعثر على ترجمته.
[3]) زهر البستان، ج2، ص 35 ظهر.
[4]) ديوان المنداسي، ت: رابح بونار، ص 35- 42، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.

وبالموازاة مع قصائد المديح، نظم الشّعراء الجزائريّون قصائد يتشوّقون فيها للبقاع المقدّسة وزيا رة قبر الرسول (ص)، وربّما تطرّقوا فيها إلى مدحه(ص)، من ذلك مثلا قصيدة مديح للشّاعر أبي محمد عبد الله بن عمر البسكري(ت:800هـ) قال فيها:

دارُ الحبيب أحــقُّ أن تــهواها وتَحِنَّ مِن طربٍ إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هَمَمْتَ بزوْرَةٍ يا ابْنَ الكِرام عليك أن تغشاها
فــلأنتَ أنتَ إذا حَلَــلْتَ بطــيبة وظللْتَ ترْتَعُ في ظلال رُباها
لا تَحْسَب المِسْك الــذي كثُربتها هيهات أين المسك من رَيُّاها
طابت فإنْ تَبْــغ التطيُّبَ يــا فتى فأدِمْ على السّاعات لثْــمَ ثراها.[1]

ومن ذلك أيضا قول الشّاعر الثّغري:

..طاف الأنامُ بــكعبة الله التي لم يجْعلِ البيْتَ الحرامَ سِواها
واخْــتارها لنبــيّه فــي قوله لــنُوَلّــيَنّــكَ قِــبْلَةً ترضاها
أعلى الأنامِ عُلًى وأحْلاهم حُلًى وأجلّهم قدرا وأعْظمهم جاها
هو أحمد ومحمّد والمُــــجْتَبَى والمُصْطفى والمدحُ لا يتناها.[2]

وللشيخ بركات بن أحمد العروسي القسنطيني(ت: 879هـ) قصيدة مدح يتشوّق فيها للبقاع المقدّسة، قال في أبيات منها: (البسيط)

رسالةُ مُشْتاقٍ بنارِ الهوى تُصْــلى إلى سيّد الكونَيْن ذي المنصب الأعلى
إلى خيرِ مبْعوثٍ إلى خير أمّــــة إلى خاتم الأرْسال أعْظِمْ بهم فضْــلا
إلى المصطفى المُختار أكرم مُرْسل إلى مَنْ عليه الله في ذكره صــــلّى.[3]

---

[1]) رحلة ابن عمار الجزائري(نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب)، ص 9، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1905م.
[2]) تاريخ بني زيان، ص 190.
[3]) إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد شاوش، ق1، ص 347، الجزائر، 2001م.

وفي معرض مدح الشّاعر للرّسول(ص)، ربّما تطرّق إلى الاستغفار وطلب التّوبة عمّا اقترف من ذنوب ومعاصي، من ذلك قول المولى أبي حمّو الثاني: (المتدارك)

نامَ الأحْبــابُ و لم تــنــمْ عيني بمُــصارعــة النّــدم
والدّمعُ تَحَــدّر كــالــدِّيَمِ جرح الخــدّيْنِ واألـــمي
..يا ربُّ ذنوبي قد عَظُمَتْ فامْنُنْ بالعفْوِ لــمُــجْــتَرِم
..يا ربُّ ســألتُك تغْفِرُ لي بشفيع الخــلْقِ مــن الأمَــم
أدعوكَ إلــهي مُــعتــذرا في ضوء الصّبح وفي الظُّلَم.[1]

وللشّاعر المديوني،[2] في قصيدة المديح أبيات في الإستغفار قال فيها:

..إذا تذكّرتُ أيّامي التي سَلَفَــتْ تبادر الدّمعُ من عيني مُنْسَكِــبا
أفْنَيْتُهَا في معاصي الإله مُجْتَــرءا ولمْ أَخَفْ شاهِداً على مَنْ تَغَيَّــبا
كيف اصْطِباري إذا النّار جيءَ بها والخلْقُ في قَنَطٍ والربُّ قد غَضِبا
وقيل يأيّــها العــاصي نَسَيْتَ ولمْ يَنْسَ الرّفيقان ما خَطّأ وما كــتبا
ما حيلتي ما جوابي عند ذاك وما يكون عذري ومنّي العقل قد سُلِبا
لكِنّــني برســول الله مُــعْتصــم جاء بالنّور وبالبرهـــان مُنِتَخَبا.[3]

وفي الاستغفار يقول الشيخ ابن ميمون التواتي،[4] مادحا الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

..إليك بسطت كفّي راجٍ وخــائف بفضلك يا مولاي مُــنَّ بتوبــتي
و ثبّت على الإيمان عقلي ومنطقي وصُــنّي يا حفيظ من كــلّ فتنة
و هبْ لي يا إلهي عفواً ورحــمة ولا تكْشِفَنْ للخلق يا ربّ ســوءتي
بجاه إمام الرّسْــل واسطة المُــنى محمّد المحمود في كــلّ خَصْــلة[1]

---

[1]) واسطة السلوك في سياسة الملوك، أبو حمو موسى الثاني، ص10.
[2]) هو أبو محمد عبد المؤمن بن موسى المديوني من شعراء البلاط في عصر أبي حمّو موسى الثاني، له مدائح كثيرة في رسول الله (ص).
[3]) زهر البستان، ج2، ص 46 وجه.
[4]) هو محمد بن أحمد بن ميمون، نشأ في توات ودرس في فاس، تصدّر القضاء في منطقة توات ثم استعفى، توفي مقتولا سنة (1008هـ). **ينظر:** النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبد الحميد بكري، ص 111.

وللشاعر ابن أبّ المزّمري[2] قصيدة في الاستغفار والدّعاء، يقول فيها:

الله ربّـــي لا إلـــه سِـــــــواه ما خاب مُـــضْـــطرّ دعا مولاه
..وإليه أمري في الحوادث كلها فوّضْـــت جزما أنّـــني أكفـــاه
نِلْتُ المُنى وكُفِيت ما أخشاه مُذ ناديـــتُ واربَّـــاه واغَـــوْثـــــاه
يا عمدتي يا عدّتي في شـــدّتي يا مُحْسِنا عَـــمَّ الأنـــام رُحْـــماه
الطُفْ بعبْـــدٍ قد دعاك تضرّعا وارحَمْهُ في هاذي وفي أُخْـــراه.[3]

2) الزهـــــــد:

يُعتبر الزّهد من أبرز الأغراض- بعد المديح النبويّ- التي لقِيتْ اهتماما واضحا من قبل الشّعراء الجزائريّين، فهم خَبروا الحياة وعرفوا حقيقتها، فاحْتَقَروها وحذّروا غيرهم من غُرورها، فكانت معاني أشعارهم تدور حول ما جاء في القرآن الكريم من حثٍّ على الابتعاد عن الدّنيا وزخرفها، وتعظيم الآخرة وذكر نعيم الجنّة. ومن أبرز الشّعراء الذين نظموا في هذا الغرض نذكر:

الشّاعر أبو محمد عبد الله بن عمر القلعي الجزائري(ت:669هـــ)، والذي له قصائد كثيرة في الزّهد وذكر الموت، يقول في إحداها وفيها شيء من الحكمة:

الخُبْرُ أصْدقُ في المرْأى من الخَبَرِ فمَـــهِّـــدِ العُدْرَ ليس العين كالأثرِ
واعْمل لأُخرى ولا تبْخَلْ بمَكْرُمـــة فكـــلّ شيءٍ على حَـــدٍّ إلى قـــدر
وخَـــلِّ عن زمنٍ تُـــخْشَى عـــواقبه إنّ الزّمان إذا فكَّـــرْتَ ذو عِـــبَرِ
وكـــلّ حـــيٍّ وإن طالت ســـلامتُه يغْتاله الموت بين الوِرْدِ و الصّدر
هو الحِـــمامُ فـــلا تُـــبْعِدْ زيـــارته ولا تقُلْ ليْـــتَـــني منه على حذر
يا وَيْـــحَ مَن غَـــرَّهُ دهـــرٌ فَسُرَّ به لم يَخْلُصِ الصّفْوَ إلاّ شِيبَ بالكدر
انظرْ لِمن بـــادَ تنظُـــرْ آيـــةً عجباً وعِبْـــرَةً لأولي الألبـــاب والعِبَرِ
أين الأُلـــى جنّبـــوا خيلاً مُسَـــوّمةً وشيّدوا إرَمًـــا خوْفا مـــن القـــدَر

---

[1]) المصدر نفسه، ص 121.
[2]) هو ضيف الله محمد بن أبّ المزّمري، ولد بتوات سنة (1128هـ)، كان قاضيا وشاعرا، له رحلة، توفي سنة (1160هـ). **ينظر**: الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين (12 و 13 هـ)، رسالة دكتوراه ، ص 310.
[3]) نفسه، ص 56.

لم تُغْنِهِـــم خيلُـــهُم يوما وإن كَثُرَتْ ولم تُـــفِـــدْ إرَمٌ للحادث النُّـــكُـــر
بادوا فعادوا حديـــثا إنّ ذا عجـــبٌ ما أوْضَحَ الرّشد لولا سيّءُ النّظر
تنافسَ النّاسُ في الدّنيا وقد علِـــموا أنّ المُـــقام بـــها كاللّمح بالبصر.[1]

ومن شعر الزّهد قصيدة للشّاعر إبراهيم بن محمد التّازي(ت:866هـــ) قال فيها:

..فاصْرِفْ هوى دُنياك واصْرِمْ حبلها دارُ البـــلايا والرّزايـــا والعنـــــا
لا تَـــغْتَـــرّ بغرورهـــا فـــمتاعـــهـــا عَـــرَضٌ مُـــعَـــدٌّ للزّوال وللفنـــا
لعبٌ و لـــهوٌ وزينـــةٌ وتـــفاخُـــــرٌ لا تَخْدَعَـــنَّـــكَ، جِنانها مُرُّ الجنا
فاقْبَلْ نصيحة مُخْـــلِـــصٍ و اعْمَل بها تُدْنيكَ من رضوان ربّك ذو الغنا
يُدْخِـــلُـــك جنّـــات النّـــعيم بـــفضله دارُ المُقامة والمســـرّةِ و الهنـــا .[2]

و في الزّهد والتّحذير من غرور الدّنيا وزيفها، يقول الشّاعر أبي الرّبيع سليمان في قصيدة منها : (البسيط).

يا راقـــدًا مِـــلْءَ عينيه يُـــهدّئه لينُ الفراش وعينُ الله ترصُدُه
لو كنتَ تعلمُ فوزَ الغانمين غدا يا راقـــدًا ليله ما كنت ترقُـــدُه
أغفى على غيرِ وعدٍ من منبّهه مع الصّباح ويوم الحشر موعده
يومُ النّدامة لو تُـــغْنـــي ندامته مُبيّض الوجه فيه أومسَـــــوَّده
والمرء من كثرة التّسآل مُشتغل يُقيمه هولُ ما يُلْقى ويُقعـــــده
حتّى يقول طويل العمر وافره يا ليته كان ذاك اليوم مـــولـــده.[3]

وللشيخ ابن ميمون التواتي (ت:1008هـــ) قصيدة في الزهد قال فيها:

تنـــحّ عن الدّنيا وصُـــحبة أهلها وباينْهُـــم ما دُمت في الدّنيا باقيا
فما منهم إلاّ حَـــسُـــودٌ وشـــامتُ تراه بأقوال النّـــميمة غـــــاديا
..فشمِّرْ إلى التّقى ودع كلّ حاسدٍ وراع حقوق الله إن كنت راعيا

---

[1]) عنوان الدراية، الغبريني، ص 95- 97.
[2]) تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج1، ص 253.
[3]) شعر الفقهاء في المغرب العربي ، رسالة دكتوراه دولة،إعداد: الأستاذ، محمد مرتاض، ص 84-85، جامعة تلمسان، 1994م.

فما الخير إلاّ في الخمول مع التّقى وما الغـنْمُ إلاّ أن تقوم اللّياليا[1].

3) شعر الجهاد:

كَثُر هذا الغرض من الشّعر بعد احتلال الاسبان لبعض السّواحل الجزائريّة، فراح الشّعراء الجزائريّون يستنهضُون الهمَمَ ويحثّون المسلمين على استرجاع الأراضي الإسلاميّة بما فيها الأندلس التي كانت قد ضاعت من أيدي المسلمين. ومن أمثلة هذا النّوع من الشّعر نجده عند الشّاعر القوجيلي،[2] في قصيدته التي يُحرّض فيها الأمير العثماني حسن خوجه الشريف[3]على الجهاد قائلا:

..طلّعَتْ طوالع سعْدِكم مقرونـــة باليُمْـــن والتّسديـــد والتّيسيـــر
..فالله ولاّك العبـــاد ورعيهـــــم فانظر لهم في صالحات الأمور
إن تنصروا الله العظيـــم جلالـــه ينصركم وهْو الأعـــزّ النّصير
..ولْـــتَـــلْـــتَفِتْ نحو الجهاد بقوّة والكُفرُ اقْطع أصـــله بذكـــور
جهّز جيوشا كالأسود و سرِّحَـــنْ تلك الجواري في عُباب بحور
أضْرِمْ على الكفّار نار الحرب لا تُـــقـــلِـــعْ ولا تُمْهلهم بفُتُـــــور. [4]

و في الحثّ على الجهاد قصيدة للشّاعر أبي عبد الله محمد بن المهدي الجزائري خاطب بها الدّاي بكداش، يقول في أبيات منها:

جِئناك يا شيخ العُلى نتوسّـــــل ونرومُ غَيْـــثاً مـــن جنابك يهطلُ

وبعد أن يتوسّل بالصّحابة أبي بكر و عمر وعثمان وعلي(رضوان الله عليهم) يقول:

فبِحقّهم إلاّ قَضَيْتَ حقـــوقنـــا وفَتَحْتَ من باب العِـــدَا ما يُقْفـــل
ورجَعْتَ للإسلام رجْعَة مُـــشْفقٍ للدّين تنصُرُ والكوافـــرِ تخـــذُلُ
حتّى نرى وهـــران دار إقامـــةٍ لصلاتنا بعـــد الأذان تُـــكَـــمّـــلُ
ونرى بها القرآن يفشـــو درسُهُ والعلم حـــلَّ بها ونِـــعْـــمَ المنزل

---

[1]) النبذة في تاريخ توات، ص 112.
[2]) هو الشاعر محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن قوجيل الجزائري(ت: 1078هـ).
[3]) كان بايا على مقاطعة وهران سنة 1117هـ.
[4]) التحفة المرضيّة، ابن ميمون، ص 204.

ثم يقول بعد وصفه لمعركة من المعارك كان النّصر فيها للمسلمين:

..ولأهْلِ حزب الله تمَّتْ صولَةٌ وبعزِّهِم ربُّ السّما مُتَكَفِّلُ

حتّى إذا ما نُقِّذ المقدور في حزبِ الشّقاء على الهزيمة عوّلوا

ولَّوْا على الأدبار يَحْطِمُ بعضهم بعضا كأنّهم القطيعُ المُهْمَلُ. [1]

4) المدح:

لقد حافظ شعراؤنا على المعاني التّقليديّة التي وُجِدَتْ في شعر المدح عند القدماء، كالحديث عن فضائل الممدوح من كرم وحِلم وشجاعة، وعقل وحكمة، إضافة إلى المعاني الدّينيّة كالتّقوى والورع وغيرها من الفضائل الإسلاميّة.

وقد حاول الشّعراء الجزائريّون أن يمدحوا كلّ شخص بما يناسبُهُ من معاني، فقد فرّقوا بين المعاني التي يُمدَحُ بها ملك أو أمير، وبين المعاني التي يُمدح بها فقيه أو عالم.

ففي القرن الثامن الهجري كان المولى أبو حمّو موسى الثّاني من أكثر الملوك مدحا من قِبل الشّعراء، فقد كان شاعرا مُهتمّا بالشّعر والشّعراء، وقد خصّ نفسه بشعراء يمدحونه ويذكرون فضائله وآثاره، وممّن مدحه من الشّعراء نذكر:

الأديب أبو القاسم بن ميمون السّنوسي التّلمساني الذي مدحه بقصيدة قال فيها:

أطْلِقْ عنانك لا تنظُر إلى أحد كفى حَسُودك ما يلقى من الكمد

..أنت الخليفة بعزّ الله حُجّته في الأرض أفضل مَنْ أومي له بيد

حُزْتَ الفضائل يا موسى بأجْمعها لم تُبْقِ منها نصيبا ما إلى أحد

أفْدِيك بالرّوح من عين الحسود ومن عين الوَدود وقُل بالمال والولد

إن كنتَ بالأمْسِ لا أهلٌ ولا ولدٌ فاليوم أصْبحْتَ بين الأهل في البلد.[2]

و في القرن 12هـ، نجد أنّ الشّعراء قد أكثروا من مدح الدّاي بكداش، فهو الذي فتح وهران (الفتح الأول سنة 1119هـ)، واستردّها من أيدي الاسبان. وممّن مدحه من الشّعراء، الشّاعر أحمد بن السّاسي البوني في قصيدة يقول فيها مادحا وناصحا:

---

[1]) المصدر السابق، ص 285.

[2]) زهر البستان، مؤلف مجهول، ج2، ص 26 ظهر.

بـــ "بسمِ الله" أبدأ في نظـــام وحمدٍ والصّلاة مـــع السّلامِ
على الهادي رسول الله كنزي وتاج الأنبياء بـــلا مُســـــام
..وبعدُ فإنّ لي حِـــبًّا وخِـــلاّ سبى قلبي وهيّج لي غرامي
..محمّد اسمُه بكداش خـــوجه له لقبان من خير الـــفِخـــام
عليك أيا صديقي في مضيـــقٍ بتقوى الله- جلّ- على الدّوام
وحَكِّمْ شرعه في كـــلّ شـــيء ولازمْ ذكره والـــدّمع هـــام
وأكْثِر بالصّلاة على النبـــــيّ تكن في كلّ أمـــر كالحُســـام
وراقب بالضّمير إله عـــرْشٍ ونقِّ القلب من هذا الحُطام.[1]

و في مدحه قصيدة للشّاعر يحي بن أحمد بن أبي راشد الجزائري قال فيها:(الكامل)

كَمُلَ الهناءُ و طارت الأهـــوال وأزيحَت الأحزان و الأوجال
وبدَتْ بدُورُ السّعد وارتفع الشّقا وتظاهر الإسْعاد والإقبـــــال
ملِـــكٌ تفرَّدَ بالكمال ولـــم يكـــن لِكَمَالِهِ فـــي السّـــالفين مثال
كَرُمَتْ عناصره وطاب نِـــجاره وزكتْ له الأعمال و الأحوال
خضَعَتْ لسطْوته الملوك وسلّمت لجلاله الأمراء و الأقيـــــال .[2]

و في مدحه أيضا قصيدة للشّاعر أبي عبد الله محمد بن يوسف الجزائري قال فيها:

بُشْرى لِمَنْ بقدومه خُـــذِلَ العِـــدا وانْزاحت البأساء وانْـــزاح الـــرّدا
وبدَتْ بدور السّعْدِ في أفقِ الـــهنا وبِحَيِّنا حادي المســـرّة قـــد حـــدا
أبْدى أمير المؤمنيـــن محمّـــــدٌ للنّاس مِنْ شِيَمِ الأفـــاضل مـــا بدا
حلّ البرايا مـــن دُرَاهُ بجنّـــــة لا تُشْتكَى فيها الإساءة و الصّـــدى
من كوثر الإحســـان في أرجائها ما ليس يُوصف من إحسان مع جدا
..في عسْكرٍ من حزبه ذي نجْدة في المُعْضلات بهم يُعَزُّ ويُـــهتـــدى

[1]) التحفة المرضية، ابن ميمون، ص 133-134.
[2]) المصدر نفسه، ص 152.

والنّصر مكتوب على رايــاتهــم نصرٌ من الله الكريم على الــعِدا.[1]

وبالإضافة إلى مدح الشعراء للملوك والأمراء وذوي السّلطان، فقد مدحوا العلماء والفقهاء اعترافا بفضلهم على غيرهم، من ذلك مثلا، مدح العلامة ابن عمّار الجزائري لشيخه العالم الأديب ابن علي الجزائري[2] قائلا:

الحافظ البحرُ الذي ملأ البسيـــــــــطة حِفظه وازداد في فيضانه
ومُفسِّرُ الذّكر الحكيم ومُظهر التّـــــــــأويل والممنوح فهــم بيانه
مولْى تُقاة الله جُــلُّ شعـــــاره ودثاره ذكــراه فــي أحيانــه
لو شِمْــته واللّيل مــدَّ رِواقــه مُتدفّــقَ العَبَرات مــن أعيانه
مُــتبتّــلاً لله جــلّ جــلالــه ومُــردِّدِ الآي مــن قرآنــه.[3]

وللأديب أحمد المقّري التّلمساني قصيدة مدح في لسان الدين بن الخطيب قال فيها:

ليت شعري أيُّ العبارات توفي واجب ابن الخطيب ممّا أروم
وأنا عاجزٌ عن البعض منهــا لقصوري وما العييُّ ملـــوم
وهو يُدْعى لسان الدّين وناهيــ ك افتخارا به تتمُّ الرّســـوم
فبأيّ الحُــلى أُحلّــي عــالمــا نال فضلاً روثهُ عربٌ وروم
أَلِحِفْــظٍ قد ارتوى من معيــن لصواب عليه كُــلُّ يحـــوم
أم لفهــمٍ يستخرج الدرّ غوصا من بحارٍ يخشى بها من يعوم
أم لفكــرٍ مُؤلَّــفٍ مــن فنون عن دهاءٍ به تُــداوى الكُــلُوم
أم لنظمٍ أنّه جوهــرُ السّـــلْــ كِ غــلا قدرهُ على مَنْ يسوم
أم لنثرٍ وافــى بسحــرِ بيــانٍ فهو كالرّوح والمعاني جُسوم
أم للحْظٍ مُــنَــمْــنمٍ فاق حُسنا مثل وشيٍ تلوح منــه الرّقوم
تلك ستٌّ أعْجَزْنَ وصفي فإنّي بسواها ممّا يُــجَــلُّ أقـــوم[1].

---

[1]) المصدر السابق، ص 177.
[2]) هو محمد بن محمد المهدي بن رمضان العلج المشهور بابن علي، عالم وأديب جزائري من القرن (11هـ)، له شعر جيّد وغزل رائق، تتلمذ على يديه كثير من العلماء من بينهم الرحالة ابن عمار الجزائري. **ينظر**:(أشعار جزائرية، ص 21).
[3]) أشعار جزائرية، جمع وتحقيق: أبو القاسم سعد الله، ص 41-46.

وللشّاعر الإدْواعلي[2] قصيدة يمدح فيها العالم محمد البكري[3]، يقول فيها:

زُرْ من هويْتَ ولا تصبْو لمن عدلا على هواه وسُــقْ لربعه الإبـــــلا
وحُطَّ للسيّد البكري ركــاب مُــنى تجد من العِلْم عند بابــه الأمـــــلا
وحيّ منّي حبيبا طال ما فَــتَــحَتْ مفاتح العلم منه للــنُّهى سُــبُـــــلا
ومن تجلّت له العلوم وانْــكَــشفَت له رموز علوم السّادات الفُــضَــلا
ومَن حوى من فنون العلم مرْتَــبة ما حلّها قبله في الفقه مَــن دخـــــلا
ومن تَــقاصر نظمي عن منــاقبه وجاوز الذّكر منه للــعُــلى زُحــلا[4].

5) الفخر:

الفخر هو عدُّ المآثر والاعتداد بها، كالافتخار بالنّسب وعزّة القبيلة وكثرة العدد.[5]

والفخر هو التمدّح بالخصال والمُباهاة بها، كالكرم والعلم، وهو تطاول الشّاعر على غيره بتعديد مناقبه ومناقب قومه.[6]

من ذلك –مثلا– افتخار الشّاعر محمد بن خميس التّلمساني(708هـ) في قصيدته الرائعة:

عجباً لها أيذوق طعمَ وِصالــها مَنْ ليس يأمل أن يمــرَّ ببالهــا

و التي فيها يقول:

أنا من بقيّة معشرٍ عَــرَكَتْــهُم هذي النّوى عرك الرّحى بثفالها
أكْرِم بها فئة أُريق نجيـــــعها بغيا فراق العين حســن مآلهــا
حُلَّتْ مُدامة وصلها وحُلّت لهم فإن انتشوا فبحُلــوها وحلالهــا[7].

وللمولى أبي حمّو الثّاني(ت:791هـ) قصيدة يفتخر فيها بشجاعته، قال في أبيات منها:

---

[1]) نفح الطيب، ج1، ص 110- 112.
[2]) هو محمد بن محمد بن يحي الإدواعلي، ولد بشنقيط، ثم انتقل إلى فاس ثم إلى تمبكتو وتوفي فيها سنة (1198هـ)، كان شاعرا مجيدا. **ينظر:** سلسلة النواة في إبراز شخصيّات من علماء وصالحي إقليم توات، مولاي التهامي، ج1، ص 114، موفم للنشر، الجزائر، 2005م.
[3]) هو محمد بن محمد بن عبد الكريم البكري، ولد سنة (1042هـ)، درس على الشيخ سعيد قدّورة الجزائري، تولى قضاء منطقة توات سنة (1092هـ)، وتوفي سنة (1133هـ). **ينظر:** التاريخ الثقافي لإقليم توات، الصديق الحاج أحمد، ص 77، الجزائر، 2003م.
[4]) النبذة في تاريخ توات، ص 129 وما بعدها.
[5]) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ت: مصطفى البغا، ص 316، ط4، دار الهدى، الجزائر، 1990م.
[6]) التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 124، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
[7]) نفح الطيب، المقّري، ج5، ص 368.

ذلّتْ لعزّتنا أُسْـــــدُ الوغى ولقد تزهو علينا وايْمُ الله غِـــزلان
كم مِنْ كريم وكم مــن ماجدٍ بطلٍ أفنى الغرام وكم من عابد عــان
..وقد أُلِقْتُ من الهيجـــاء عاطلة تشُبُّ يوم الوغى والحرب نيران
وكم قهرتُ عدوّا ظالما غـــاشماً يوم اللقاء بأظعــان و أطعــان
وكم عمّرتُ ديارا قـــلَّ عامرها وقد جعلتُ ديار الأنس عمــران
حتّى ظفِرْتُ بشيء كنـــت أطلبه فالحمد لله في السرّ والإعــلان [1]

وحين كَثُرَ حُسّاده ومُنافسوه، وقف الشّاعر ابن علي الجزائري(ت:حوالي 1170هـ) مفتخرا بنفسه هاجيا لعُدّاله:

..وإذا نسَوْا فضلي فكممن فاضل قبلي سقَوْهُ السمّ في كيسانــه
نصبوا حبائل مكرهم وتعرّضوا بسهامهم للنّجم في كيوانـــه
مِنْ كلّ أرْعَنِ أهوج الأخلاق قد أرْبى على فرعون مع هامانه
أولمْ يرَ المُغْترُّ أنّ العـــزّ لا يُبْقي ملابسه على فتيانـــه
أجْلاف هذا العصر حقّا لو رأوا حسّان ما جنحوا إلى إحسانه
إن أنكروا فضلي لخُبْثِ طباعهم فالدرّ ليس يعزّ في أوطانــه[2].

ويفتخر الشّاعر ابن الونّان بنسبه، وشجاعته، وشاعريّته، في أبيات قال فيها:

أشُــنُّ كلّ غــارةٍ شَعْــوَا على منْ يحْميها في مِــقْــنَــبٍ وفيْلق
وفي خميسٍ مــن خِيار يعرب ذوي رمــاحٍ وخيــولٍ سُــبَّــق
سلِ ابــن خلدونَ عــنّا فَــلَنا بيَــمَــنٍ مــآثــر لم تُــمْــحق
وسلْ سليمان الكلاعي كَــم لنا من خبــرٍ بخَــيْــبرَ وخنْــدق
بهم فاخرتُ ثمّ زاد مَــفْخري بأدبي الغــضِّ وحُــسْــن منطق
وزانَ علمي أدبي فلَــن ترى مَنْ شعره كــشعري المُــنــمَّــق
فإنْ مدحْتُ فمديحي يُــشْــتفى به كمِــثْــل العسَــل المُــروّق

[1]) أبو حمو موسى الزياني، عبد الحميد حاجيات، ص 314- 315، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982م.
[2]) رحلة ابن عمار، ص 43.

وإنْ هَجَوْتُ فهجائي كالشّجى يقف في الحَـــلْـــق مثـــل الشّـــرق[1].

6) الرثـــاء:

يتمثّل هذا اللّون من الشّعر في بكاء الأحبّة والأصدقاء والأبناء، وبكاء العلماء والشّيوخ، فقد جاد الشّعراء الجزائريّون بأشعارهم عند وقوع مُصابٍ بقريب أو صديق، أو عالم أو فقيه. وقد حافظ هؤلاء الشّعراء على المضامين العامّة والمعاني التّقليديّة لشعر الرّثاء، ودارت أغلب مراثيهم حول بكاء الأقارب والعلماء. فالشّاعر يلجأ إلى هذا الغرض للتّعبير عن لوعته وتفجّعه، والتّخفيف عن ألمه، فهو –عموما– شعر صادق ينبع عن عاطفة فيّاضة تُنْبِئ عن صدق مشاعر صاحبها.ونلاحظ في شعر الرّثاء غلبة المعاني الإسلاميّة، فشعراؤنا كانوا يلجؤون إلى المعاني الدّينيّة والقيم الإسلاميّة، فيتحدّثون عمّا ينتظر موتاهم من حُسْن ثواب الآخرة، وعن الجنّة وما أعدّ الله فيها من النّعيم المقيم.

ومن رثاء الأقارب–مثلا– رثاء المولى أبي حمّو الثّاني لوالده أبي يعقوب يوسف (ت:763هـــ)، في قصيدة قال فيها: (الكامل)

دَنِفٌ تذكّر حسرة التّوديـــــــع وهنيء وصْلٍ بالنّوى مقطوع
ولمّا عرا من فَقْدِ خير أحبّـــتي ومرارة التّوديع والتّشييـــــع
فبكيْتُ من أسفٍ لذاك كما بكتْ حُزنا عليه منازلي وربوعي
عجبا لجفوني سَخَتْ بدموعـــها والقلب مُحْترقٌ بنار ضلوعي
..والقصر أمْسى ماحلا من بعده ومنازلُ تزهى بكلّ صنيـــــع
ونمارق مصفوفة قد زَيَّـــنَـــتْ من دُرّها المنظوم بالتّرصيع[2].

وفي رثاء الأقارب أيضا، قصيدة للشّاعر ابن علي الجزائري يرثي فيها زوجته:

رأيـــتُ بها عصر الشّباب مُعاصـــري وخُـــيِّـــلْـــتُ أنّـــي من ساكنـــي عدن
فما راعني إلاّ النّـــوى صاح صيحـــة فزعْزع من عرشي وضعضع من ركني
فحالت يَـــدُ الأقْـــدار بيني وبينـــهـــا فأصْبَحْتُ مسْلـــوب الحِـــجا ذاهل الذّهن[3]

---

[1]) نقلا عن: الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 123.
[2]) إرشاد الحائر، ق1، ص 289.
[3]) المصدر نفسه، ق2، ص 454.

أمّا رثاء الشعراء الجزائريّين للفقهاء والعلماء فكثير جدّا، من ذلك، رثاء الشّاعر ابن الجنّان البجائي[1]، للعالم سهل بن مالك الأزدي(ت:639هـ)[2] في قصيدة قال فيها:(طويل)

أصبرٌ جميلٌ في قبيح حوادثٍ ... خَلَعْنَ على الأنوار ثوب الحوالك
مَنْ لكتاب الله يدرس وحيَهُ ... ويقبِسُ منه النّور غير مُتارك
فيا عجبا منّا نبكي مُهَنّأ ... تبوّأ دارا في جِوار الملائك
يُلاقيه في تلك المغاني رفيقه ... بوجه منير بالتّباشر ضاحك[3].

ورثى أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري(ت:884هـ)، شيخه عبد الرحمن الثعالبي(ت:875هـ) في قصيدة قال فيها:

لقد جَزَعَتْ نفسي لِفَقْدِ أحبّتي ... وحُقَّ لها من مثل ذلك تجْزعُ
ألَمَّ بنا ما لا نُطيق دفاعه ... وليس لأمْرٍ قدّره الله مرجع
جرى قدرُ المولى بإنفاذ حكمه ... ومن حكمه إنّا نطيع ونسمع
..لقد بان أهل العلم عنّا وأقفَرَتْ ... منازلهم إنّا إلى الله نرجع
فوائده(*) تَثْرى عليهم وكلّهم ... لها عند أهل العلم والفهم موقع
أُصِبْنا به فالله يُعظّم أجرنا ... ويُلهمنا الصّبر الجميل ويوسع
فنسأله سبحانه بمنّه ... عسى بفردوس النّعيم سنُجمع[4]

وللشّاعر محمد بن عبد الرحمن الحوضي قصيدة رثاء في الشّيخ السّنوسي،[5] قال فيها:

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها ... والأرض رُجّت حين خاب رجاؤها
وأتى عليها النّقص من أطرافها ... وتراكمت وتعاظَفَتْ أرزاؤها
فَقْدُ الإمام السّنوسي محمّد ... وهو ابن يوسف هَدَّ منها علاؤها

---

[1]) هو الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري، المشهور بابن الجنّان البجائي، كان كاتبا بليغا، وشاعرا بارعا، سكن بجاية وتوفّي بها.**ينظر**: الاحاطة في أخبار غرناطة،لسان الدين بن الخطيب ، ج2، ص 161، مطبعة الموسوعات، القاهرة، 1319هـ.

[2]) هو أبو جعفر سهل بن محمد بن مالك الأزدي الغرناطي (559- 639هـ)، كان شاعرا وكاتبا، له ديوان شعر ومؤلفات.(الاحاطة، ج2، ص 130.

[3]) إرشاد الحائر، ق1، ص 201.

[*] أي الشيخ الثعالبي.

[4]) تعريف الخلف، ج1، ص 40.

[5]) هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (832- 895هـ)، قطب علم التّوحيد بلا منازع،له مؤلفات في العقائد منها: العقيدة الصّغرى (أمّ البراهين)، والعقيدة الكبرى(عقيدة أهل التّوحيد). **ينظر**: نيل الابتهاج، ص 331.

يأيّها النّـفـس المقدّسـة التـي لبقائها المحمـود كـان فناؤهـا
لكنّ مشيئـة ربّـنا تجـري كما سبق القضاء فلا يُـردُّ قضاؤهـا[1].

وفي رثاء الشيخ آبهلول،[2] قصيدة للشّاعر سعيد قدّورة،[3] قال فيها:

مُصابٌ جسيمٌ كاد يصمّني مقاتلي ورزءٌ عظيم قاطع للمفاصـل
تبدّد شملُ الدّين وانهـدّ ركنه لبدرٍ فقَدْنا في الخلائق كامـل
فأعني به شيخ الشيـوخ محمّدا أبهلولا الباهي أجلّ البهالـل
توفّي شهيدا في تحنّـثـه الذي ينال به في الخُلْد أفضل نائـل
ففي طاعة الرّحمان أنفـق عمره فللّه من شيخٍ زكيٍّ الشمائـل
فما خاف في الرّحمان لومة لائم ولم يخش في الحقِّ قتلة قاتـل[4].

وللأديب أحمد بن سحنون،[5] قصيدة رثاء في الفقيه الطاهر بن حواء مفتي وهران، قال فيها:

عُـزَّ نفسك عن صروف الزّمان كلّ شيء على البسيطة فانِ
إنّ للنّائبات قوسـا وتيـرا عرضت لسهامه الثّـقلان
..ماجدٍ شَهدت عليـه البرايـا إنّه سيّدٌ بكـلّ مكـان
يترقّى مراقي العـزِّ بين الشّـهداء عليه تاج الأمـان
فغدى في منازل الخُلْـد بـدرا يتلألأ بين حـورٍ حِسـان
فهنيئا لك الشّهـادة والخُلْـد مع الفوز فيه بالرّضـوان[6].

ورثى الشّاعر محمد بن المبروك الجعفري(ت:1198هـ)،[1] العالم عبد الرحمن التّنلاني(ت:1189هـ)[2] في قصيدة قال فيها:

---

[1]) تعريف الخلف، ج2، ص 238، موفم للنشر.
[2]) هو الشيخ محمد بن علي المجّاجي المشهور بآبهلول، (945- 1002هـ)، عالم جليل له باع طويل في الشعر.**ينظر**: نيل الابتهاج، ص 284.
[3]) هو الشاعر الجزائري أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المشهور بقدّورة، توفي سنة: 1066هـ.
[4]) تعريف الخلف، ج2، ص 181 وما بعدها، موفم للنشر.
[5]) هو الأديب أحمد بن سحنون الراشدي، شاعر وكاتب جزائري من القرن 12هـ، له كتاب (الثّغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني).
[6]) الثّغر الجماني في ابتسام الثّغر الوهراني، ابن سحنون، ت: المهدي بوعبدلي، ص 237، منشورات التعليم الأصلي، الجزائر.

..فيوم البَيْنِ منـــه إذْ دهانـــا وفوّضْنا الأمور إلى اللّطيف
فأفْجَأنا نعيه والمَــوت حــقّ فقدْنا عالــما حَبْرًا وصُــوف
أبازيد رفيع القـــدْرِ بهــيّ سِراجٌ قد أضاء على ألـــوف
رحيب الفهْمِ منبع كلّ علْــمٍ ومقــصِد كلّ دانٍ وشــريــف
بكت عيني وحقّ لها بُكاهــا على كهف الأرامل والضّعيــف
فيا مولانا جازيـــه بــعَــدْنٍ مُزخْــرفة ودانِــيَــة القطــوف[3]

7) الغزل:

كان الشعراء الجزائريّون قلّما يتطرّقون إلى هذا الغرض، حيث كانت المرأة الجزائريّة مُحتشمة لا تخرج سافرة إلى الأسواق والشوارع، كما لم تكن هناك وسائل اللّهو كالنّوادي و الخمّارات التي كانت متوفّرة في الأندلس والمشرق. فلم يبق للشّعراء إلاّ الخروج إلى المتنزّهات والطّبيعة للتّرويح عن أنفسهم، والتّنفيس عن مشاعرهم، فكانوا يصفون الرّياض والورود، وهذا يجرّهم بطبيعة الحال إلى الغزل البريء العفيف. فلم يكن غزلهم حسيًّا، حيث لم يعْمَدوا إلى وصف المرأة في أعضائها، بل كان غزلا عفيفا يعِفُّ عن المحسوسات الماديّة، ويهتمّ بوصف الآثار النّفسيّة للحبّ والعشق، كما يصف الوجد والشّكوى، وما ينتُج عن الفراق من لوعة وشوق وحنين.

ومن أمثلة الغزل عند شعرائنا، نذكر قصيدة في الغزل للمولى أبي حمّو قال فيها:

حان الفراق فكُنْتَ منه بمنـــــزل ودنا الرّحيلُ فكُنْتَ فيه بأوّلِ
وتحكَّمَ البَيْنُ المُشَتِّتُ و النّـــــوَى فينا بفَتْكة سيفه المُتَكَـــلِّـــــلِ
..دمعي يسيح وزفرتي لا تنقضي والسّهر أنْحَلَني وعُدْل العُذَّل
لو ذاق قساة القلب ما قد ذُقــتــــه لغدو سُكارى في محلٍّ مُهْمِل
أو حلّ ما بي بالجبال تدَكْــدَكَتْ دكّا وأمْسَتْ مثل كُحل المِكْحل.[4]

---

[1]) هو الشيخ محمد بن أحمد بن المبروك البداوي الجعفري، أحد فقهاء توات، له ديوان شعر في مدح الرسول (ص)، توفي سنة (1198هـ). **ينظر:** الرّحلة العليّة إلى منطقة توات، محمد بلعالم، ج2، ص 122، دار هومة، الجزائر، 2005م.

[2]) هو أبو زيد عبد الرحمن بن إدريس بن يوسف التنلاني التواتي، كان عالما في أصول الفقه والتفسير، ارتحل إلى فاس طلبا للعلم، ثمّ إلى الحجاز، توفّي في طريق عودته من الحجّ سنة (1189هـ). **ينظر**: قطف الزّهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر، ص 81، دار هومة، ط2، الجزائر، 2002م.

[3]) المصدر السابق، ص 80 وما بعدها.

[4]) أبو حمو موسى، حاجيات، ص 295.

وفي وصف لوعة الفراق قال الشاعر ابن علي الجزائري قصيدة منها:

أقْصَى فدمعي من عيوني مُهْرَقُ وقسا فرَقَّ لي العدوُّ الأزرقُ
قالوا تجلّد لا يضرُّ بك الأسى إنّ التجلُّدَ بالمروءة ألْيَقُ
وتدرّعْ بالصّبر الجميل صيانة فالصّبْرُ أحْكَمُ ما يكون وأوْثق
فإذا قضى فهو الشّهيد كرامة وشهيد سيفِ الحُبِّ حيٌّ يُرْزق.[1]

وله أخرى قال فيها متغزّلا:

أغُصُونٌ تأوَّدَتْ أم قُدُود أم ورودٌ تفتّحَتْ أوخدودُ
جَنَّتَا وجْنَتَيْهِ عذّباني وجنى الجنّتيْنِ عنّي بعيد
إنْ رنا لَحْظَهُ حزنت لقتلي منه لكن فرحتُ إنّي شهيد.[2]

لكن بعد تولّيه منصب الإمامة والفتوى، اعتذر ابن علي عن نظمه في شعر الغزل قائلا:

لولا وحقّك خُطّة قُلّدْتُها زَهَرَتْ بها في الخافقين شموعي
ومنابرُ فيها رُقّيتُ إلى العُلى وقد اسْتدار بها كثيفُ جُموع
لنَحَوْتُ منْحى العامريّ صبابة ولكان من حرْقِ الجوى مشْفوعي.[3]

وللشاعر القوجيلي الجزائري قصيدة غزل قال في أبيات منها:

والدّمعُ باحَ بذا الهوى وأبانهُ الحبّ صعبٌ والرّقيبُ أعانهْ
والحبّ يستدْعي القلوب إلى الهوى فتُجيبه مُنْقادةً ولْهانه
والصَبُّ يطمع في وصال حبيبه بعد التذلّل لا يملّ إهانه.[4]

ويتغزّل الشاعر إبراهيم القتيلي الجزائري،[1] بمحبوبته في قصيدة غزليّة وفيها وصف حسيّ قائلا:

---

[1]) أشعار جزائرية، أبو القاسم سعد الله، ص 68.
[2]) المرجع نفسه، ص 93.
[3]) رحلة ابن عمار، ص 77.
[4]) تاريخ الجزائر الثقافي، سعد الله، ج2، ص 293.

وعاطِرةُ الأنْـفاسِ أمّـا قِـوامها فغُصْنٌ وأمّا رِدفُـها فكثيـبُ
مُورَّدَةَ الخـدّيْـنِ كالبدر وجهُـها بدا تحت ليْـلٍ ما أراه يخيـب
أدُرٌّ بفِـيها ما أراهُ مُـنضَّـدٌ حواهُ عقيقُ المرشَـفَـيْـنِ شنيب
حَلَتْ وتحـلَّـتْ بالجمال عقودها إذا ما رأتْ بالمُـقْـلتين تُـصيب
رَنَتْ وانْـثَنَتْ كالغصن عند ميوله غدتْ واغْتدتْ ذات الجمال ربيب
لها مُـقْلةٌ حوراءُ حِـرْتُ بوصفها على وجْـنةٍ فيها الشّقيق خصيب
ونُونَانِ فوق المُـقلتيْنِ تـقـوّسـا عراني غـرامٌ منهـا ولـهيـب
إذا ما مشتْ تَخْتال من فرط عُجْبها بقامتها الهيْـفَـاء كيْـف أتـوب
تعاظم وُجْـدي إذْ بـدا بـخدودها نُضارٌ على أصْفى اللُّجَيْنِ مشوب.[2]

وللشاعر محمد الإدواعلي (ت:1198هـ) قصيدة في الغزل قال فيها:

اكْـفُف دموعك إنّ الجفْن عبران برَبْع دارٍ وما بالـدّار عِـمْرانُ
تبكي عليها ومـا في رَبْـعها أحد من الأناس وأهل الـرّبع قـد بانوا
فزارني منهُـم طيْـف فقُـلت له والقلبُ منّي على الأحبـاب وَلْهانُ
أهْلا بطيف عرا ليْلا فأيْـقظَـني من المنام وجفن اللّـيل وَسْـنان
تنام ليلى وعيْني لا تنَـام جوًى فهل يفيق من الغرام هيْـمان
جنّت جنوني إذ جنّ الجنُـون بها مضتْ وشطّـتْ بمن أهواه أوْطان
إنّ المجانين تُـرْتجى إفَـاقتُـهم إلاّ أنا إنّني بالـوجد نَـشْـوان[3]

8) الشّكوى والحنين:

إنّ ارتحال الجزائريّين إلى الأقطار البعيدة والبلدان النّائية، طلبا للعلم أو بحثا عن الرّزق، أو الهجرة بعيدا عن الوطن لأسباب مختلفة، جعلهم يحسّون بالغُربة والحنين إلى أوطانهم التي وُلدوا فيها وترعرعوا في كنفاتها، وتعلّموا في كتاتيبها وجوامعها، فعبّر منهم مَنْ له مقدرة على نظم الشّعر عن عواطفه في قصائد يمتزج فيها الحنين إلى الوطن

---

[1]) من الشعراء الذين مدحوا الداي بكداش، له شعر في المدح والغزل، وله رسائل، كان حيّا سنة 1120هـ.
[2]) التحفة المرضية، ابن ميمون، ص 162.
[3]) سلسلة النواة، ج1، ص 76.

بالشّكْوى من جَوْرِ الزّمان وغدر الأيّام. ومن ذلك ما نجده عند الأديب ابن خميس التّلمساني في قصيدة يتشوّق فيها إلى بلده تلمسان قال فيها:

تلمسانُ لو أنّ الزّمان بها يسخــو مُنى النّفس لا دارُ السّلام ولا الكرخ

وفيها يقول:

وداري بها الأولى التي حِيلَ دونها مثارُ الأسى لو أمْــكَــنَ الحنق اللّبخ
عهدي بها والعُمْــــرُ في عُنفوانه وماء شبابي لا أُجَــيْــنٌ ولا مطــخُ
قرارة تهيـــــامٍ ومَغْــنى صبابــة ومعهــدُ أُنْــسٍ لا يلــد به لطـــــخ.[1]

وله في الحنين إلى تلمسان قصيدة أخرى قال فيها: (الطويل)

سَلِ الرِّيح إن لم تسعدِ السّفن أنواء فعند صبَاها من تلمسان أنبــاءُ
وإنّي لأصْبو للصَّبَا كلّما ســـــرَتْ ولنجمٍ مهما كان للنّجم إصبــاء
وإنّي لمُشْتاقٌ إليها ومُــنْــبــــــئٌ ببعض اشْتياقي لو تمكّن إنبــاء
وكم مِن قائلٍ تــقْنى غراماً بحُبّها وقد أُخْلِقت منها ملاءٌ وإمــلاء
فيا منزلاً نال الرّدى منه ما اشْتهى تُرى هل لعُمْرِ الأنس بعد إنساء
أحِنُّ إليها ما أطَــتْ النّيب حولها وما عاقها عن مورد الماء إظماء.[2]

ولا نكاد نجد قصيدة دون أن يضمّنها الشّاعر الجزائري شيئا من الشّكوى، مهما كان الغرض من قصيدته، من ذلك–مثلا– قول الشّاعر المنداسي:

سُرُوجُ العُلى للحرب تشتدُّ بالحزم وسيْفُ الوغى يبْلى شَبَاهُ لدى السّلم
فلا يتأنَّى المرءُ في بسْطة الرِّضى فإنّ الزّمان الصّعْبَ يُرْصَدُ بالحلم
فهذا زمانُ المكْرِ مَنْ لك بالرّضى وفي كلِّ قلْــبٍ ما كنــاهُ من السُمِّ
كأنّ قوافي الشّعر منّي جنـــــادل وكفّ الزّمان منجنيق بــها يرمي.[3]

---

[1]) نفح الطيب، ج5، ص 370.
[2]) المصدر نفسه،ج5، ص 376.
[3]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 298.

وللشّاعر ابن علي الجزائري في الشّكوى و الهجاء أبيات قال فيها:

فأخو الخديعةِ في الحضيضِ مُقامه ولو اغْتدى كسرى أنوشَرْوان

سيرى الشّقيُّ مآلـــــه في دُنيا وفي العُــقْبى عقاب الله ذو ألوان

إنْ لم يكن إبليس في أفْــعالِـــــه فقد اسْتَقَــرّ له من الأعوان.[1]

ونجد الشّاعر القوجيلي يشكو من الجهّال الذين يدّعون العلم في قصيدة قال فيها:

أهل الفصاحة غِبْتُم لا فصيح يُرى يُجيد نظم كلامٍ يُذهل الفِـــكْرا

دعْهُم وما هم عليه لا تــلُــمْ أحدا منهم لِغَيٍّ وألْقاهُ في ســـــقرا

متى نَصَحْتَ امرأ منهم يخالُــك قد حسَدْتَهُ فهو أعمى القلب ما شعرا.[2]

9) الوصف:

أ) وصف الطبيعة: كان الشعراء الجزائريّون كثيرا ما يخرجون إلى المتنزّهات للتّرويح عن أنفسهم، والتّمتّع بجمال الطّبيعة، فيجرّهم ذلك إلى وصف الطّبيعة وما تحتويه من جمال، كوصف الرّياض والأنهار والبــرَك.

فقد جادت قريحة الشّاعر ابن عمّار الجزائري- حين خرج مع مجموعة من رفاقه إلى الطّبيعة للتّنزّه- بقصيدة يقول في أبيات منها:

أدِرِ الكؤوس مع الأصائل و البكَرِ واشْرَبْ على نَغَمِ البلابل والوَتَرْ

مع فِتْــية مُتعاقدين على الوفـــا فكأنّهم في منظر الدّنيا غُـــرَر

من كُلِّ مُشْتمل ببُــرْدِ مُـــرُوءةٍ أوكلّ مُلتحفٍ بثوبٍ من خــفَــر

الرّوْضُ يَــهْوَى منهم أخلاقهــم والبدرُ يعشقُ منهم حسنُ الصّوَرْ .[3]

وله قصيدة أخرى يصف فيها روضة من الرّياض قال فيها:

أنسيمُ روْضٍ رقّ في سريانــهِ وثنى القضيب فرَاقَ في ميَلانهِ

---

[1]) أشعار جزائرية، ص 82.
[2]) المرجع السابق ، ص 129.
[3]) رحلة ابن عمار، ص 92.

بعَثْتْ أريحيَّته السُلُوَّ بخاطــري فتخلَّصَ المحْزون من أحْزانــه
أمْ روضة غنّاء راق رواؤهــا خلع الرّبيعُ بها حُلى ألوانـــه
وتبَرَّجَتْ كالخُـــود في موشيّة مِنْ ورده المطلول مَعْ سوسانه
..وجرى بهاتيك الجداول ماؤها فبدا انْسِياب الرّقط في جريانه
وأمال أعْطاف الغصون نسيمها لمّا انْبرى للرّكْض في ميْدانه
وتفَــتَّــقَتْ أكْمامها عن زهرها فتعطّر المِضْمار من ريْحانه.[1]

ونسج الشّاعر ابن علي الجزائري على منوالها، فقال واصفا:

والرَّوْضُ قابلنا بوجْهٍ مُــشْرِقٍ والزّهر حيَّانا شذا ريحانـــهِ
وكأنَّ صبَّ البحر صــبٌّ هائمٌ غلب البكاء عليه في أحيانــه
بَعَثْتْ بواعثُ حُزْنه ريح الصَّبا فتراه لا ينْفكُّ عن أشْجانـــه
وبِحَضْرَتي الفذُّ الذي بَهَرَ الورى أدَبًا وأخْرَسَهُم بسِحْرِ بيانــه
فهــو ابــن عمّار الذي لو أنّــه لاقى ابن عمّارَ لغصّ بشانه.[2]

ب) وصف المدن: كان الشّاعر الجزائري إذا زار مدينة وأعجبته معالمها ، يقوم بوصفها لتخليد ذكرها، فيصف جبالها وأنهارها ورياضها، من ذلك –مثلا– قصيدة المقّري التّلمساني التي وصف فيها مدينة دمشق، قال فيها: (مجزوء الكامل).

أمّا دمشق فجـــــنّةٌ لَعِبَتْ بألْبابِ الخلائـــق
هي بهجة الدّنيا التــي منها بديع الحُسْن فائــق
لله منها الصّالــحيّــة فاخَرَتْ بذوي الحقائـــق
والغوطة الغَنّاءُ حيْـــــــــيَتْ بالورود و الشّقائــق
والنّهر صافٍ والنّسيـــــــــمُ الذي للأشواق سائــق
والطّيْرُ بالعيدان أبْـــــــدَتْ في الغناء أحْلى الطرائق

[1]) المصدر نفسه، ص 45.
[2]) المصدر نفسه، ص 41.

ولآلئُ الأزهار حلّـــــــــــــــلتْ جيد غَصْنٍ فهو رائق.[1]

ومن وصف المُدُن، قصيدة للشّاعر بن أبي راشد الجزائري،[2] يصف مدينة الجزائر:

سقى المطرُ الهطّالُ أرْضاً تشرَّفَتْ بمِصْرٍ غدتْ للفضل والفخر جامعهْ
بمزغنة الفيْحاء تظهر من مـــدى تُرَى كسُقَيْطِ الثّلج بيضاء ناصعــه
بُرْجُ السّما أبْراجــها تــألّــقــت تروقك من أفـــــق الأجنّة طالعه
تراها على وجه البسيطة أنْــجُــما وأغصان أشجار ترنَّـــــحُ يافعه
وحيث الرّبيع الغضُّ ثمّ شبابــــه ترى أرضها تُبْدي الغضــارة يانعه
وحيث بدى كسرى الرّياض متوّجا بثلجٍ نوار فهي صفراء فاقعـــــه.[3]

وللأديب أبي زيد عبد الرحمن الجامعي قصيدة يتغزّل فيها بمدينة الجزائر واصفا جمالها قائلا:

لقد فَتَكَــتْ بالقلب فتْــك البواتــر عُيُـــون الظّباء الآنسات الجآذر
بلادٌ برأس الغرب تـــاجٌ مُكلّــل وخلخال سُوق الشّرق غير ضوامر
بدتْ بمنصّات الزّمان كـــأنّــها عروسٌ تجلّـــت في أعالي المنابر
ولاح بها بابُ الجزيـــرة مثلمــا تبسّــمَ ثغــرٌ فـــي وجوه البشائر
ولله أبـــراجٌ بشاطئ بحرهـــا تُحاكي النّجوم الزُّهر في عين خازر
فتبدو وقد حـــاك النّسيم برودها نِـــصَالُ رِماحٍ في زرود مشاجــر
فدَعْنـــي من غرناطة وربوعها وشنّـــيل فالحُسْن انتهى للجزائر.[4]

ج) وصف الــمعارك:حين يكون الشّاعر بصدد الحديث عن انتصارٍ حربيّ حققه ممدوحه، يقوم بتصوير المعركة الفاصلة التي انتصر فيها، فقد يكون الشّاعر شارك فيها بنفسه، أو وُصِفت له أحداثها، من ذلك –مثلا– قصيدة للمولى أبي حمّو الثاني يصف فيها إحدى معاركه التي انتصر فيها، قال في أبيات منها:

---

[1]) أزهار الرياض، المقري، ت: مصطفى السقا، ج1، ص 58.
[2]) هو الشاعر يحي بن أحمد بن أبي راشد الجزائري، من الشعراء الذين مدحوا الداي بكداش، له قصائد في المدح.(التحفة المرضية،ص152.)
[3]) تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 295.
[4]) التحفة المرضية ، ابن ميمون، ص 189.

وضُمْرٌ عناجيجٌ على صهواتـــــها كِرامٌ تجودُ بالنّفوسِ الكرائـــــــم
نُطارد فيها الخيْلَ بالخيْلِ مثلهـــــا فكان على الأعداء كرٌّ الهزائـــم
شدَدْنا عليهم شـــــدّةً مُضريّـــــة فولّـــوا شُـــرّداً مثل جفل النعائـــم
فكانوا إلى الطّـــيْرِ الغشيم فرائسا وكانت على الأعداء شُـــؤم الذمائم
وهبَّتْ رياح النّصر من كلّ جانب وجاءت إلينا مُبْهجات الغنـــائـــــم
كـــرَرْنا عليهم كـــرّةً بعد كـــرّةٍ وقد سُعِّرَتْ للحـــرب نار جـــاحـــم
بضَرْبٍ يُزيلُ الهام عـــن مُسْتقرِّه وطعنٍ مضى بين الكِلى والحيـــازم
فهذا أسيرٌ صقّـــدَتْـــهُ يَـــدُ الوغى وهذا قتيـــلٌ فـــي عجـــاج المصادم.[1]

وللشّاعر أبي عبد الله محمد بن المهدي الجزائري(كان حيّا سنة 1116هـــ)، قصيدة يصف فيها إحدى معارك الدّاي بكداش، قال في أبيات منها:

خرجوا تخالُهم السّراب إلى الوغى مُتيـــقّنين بأنّـــهم لـــن يفشلـــــوا
وتأهّـــبَـــتْ فرساننـــا لقتـــالهـــم والخيل ترفُـــلُ بالسّروج و تصهل
ثمّ امتطوا لظهورهـــا و تقلّـــدوا بكواكب الأسْـــيـــافِ مـــمّا يُحْمل
من كـــلِّ هِنْـــديٍّ كـــأنّ وُقُوعَه نجمٌ أغـــار على الأبـــالس مُشْـــعَل
وتصادفَـــتْ حملاتهم فكـــأنّـــهم عُـــقْـــبانُ جـــوٍّ بالطرائـــد أقبلـــوا
ولّـــوا الأدبار يَـــحْـــطِمُ بعْضهم بعْضاً كـــأنّهم القطـــيعُ المُـــهْمَـــل.[2]

المبحث الثاني: خصائص الشّعر الجزائري.

[1]) أبو حمو موسى، حاجيات، ص 296.
[2]) التحفة المرضية، ص 285 وبعدها.

امتاز الشّعر الجزائري بفخامة المعاني وقوّتها، وصدق الأداء وخصب الخيال، ومتانة الأسلوب، وجزالة اللّفظ. ومن بين الخصائص التي تميّز بها الشّعر الجزائري ما بين القرنين السابع والثّاني عشر الهجريين، نذكر ما يلي:

1) الخصائص اللّفظية:

1-1- **جزالة الألفاظ**: تميّزت ألفاظ الشّعر الجزائري- عموما- بالجزالة حيث كان شعراؤنا يوظّفون لغتهم بدلالاتها المُعجميّة الدّقيقة، فكلّ لفظ يُستعمل لأداء مدلوله اللّغوي الذي وُضِع فيه.

2-1- **استعمال الغريب**: قد نعثر في الشّعر الجزائري على كثير من الألفاظ الغريبة التي لم تعد مألوفة في مُخاطباتنا وكتاباتنا في هذا العصر، بل كانت فصيحة ومألوفة فيما مضى. من هذه الألفاظ ما نجده بكثرة عند المولى أبي حمو الثّاني والذي يقول في إحدى قصائده:

على سلْهب ذي صهوتين مُطهّم *** من المقربات الصافنات الصّلادم [1]

فألفاظ هذا البيت لا يفهم معناها إلاّ بالعودة إلى المعاجم، فقد جاء في لسان العرب أنّ:كلمة سلهب تعني الطويل، وقيل السلهب هو الطويل من الخيل ومن الناس.[2]

وكلمة الصافنات تعني: صَفَنَ الفرسُ إذا قام على طرف الرابعة. [3] وفي التنزيل العزيز: {**إذ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصافِناتُ الجِيادُ**}.[4]

وكلمة الصّلد: الحجر الأملس الصّلب، وقيل: رأسٌ صُلادم.[5]

وقوله كذلك:

دَنِفٌ تذكّر حسرة التّوديع *** وهنيء وصلٍ بالنّوى مقطوع.

كلمة دنف، تعني: الدَّنَفُ: المَرَضُ اللازمُ المُخامِرُ، ورجل دَنَفٌ ودَنِفٌ ومُدْنِفٌ ومُدْنَفٌ: براه المرضُ حتى أشْفى على الموت.

---

[1]) أبو حمو موسى، حاجيات، ص 317.
[2]) لسان العرب، ابن منظور، مادة (س ل هـ ب)، دار صادر، بيروت، 1968م.
[3]) مختار الصحاح، مادة (ص ف ن) ، ص 238.
[4]) سورة ص ، الآية: 30.
[5]) المصدر السابق، مادة (ص ل د)، ص 239.

ومن الألفاظ الصّعبة ما نجده عند ابن خميس التّلمساني في قوله:

أرَّقَ عيني بارقٌ من أثال *** كأنّه في جنح اللّيل ذبال.[1]

فكلمتا: (أثال – ذبال) صعبتا الفهم غريبتان عن لغة مخاطباتنا اليوميّة.

فكلمة (ذبال في اللسان:الذُّبالةُ: الفَتِيلة التي تُسْرَج، والجمع ذُبال؛ وأنشد سيبويه:

بِثنا بِتَدْوْرةٍ تُضِيء وجُوهُنا *** دسَم السَّلِيطِ، يُضِيء فَوْقَ ذُبالِ

و يقال للفَتِيلة التي يُصبَح بها السراج ذُبالة وذبَّالة، وجمعها ذُبال وذُبَّال.[2]

وقد تعمّد ابن خميس إيراد الألفاظ الصّعبة في شعره حتّى يبيّن مقدرته اللغويّة، وذلك في قصيدة له يتحنّن فيها إلى تلمسان:

وداري بها الأولى التي حيل دونها *** مثار الأسى لو أمكن الحنِق اللّبخ

عهدي بهـــا والعمر في عنـــفوانه *** وماء شبابي لا أُجيْن ولا مطـــخ

قرارة تهـــيام ومـــغنى صبـــابـــة *** ومعهد أنس لا يلـــد بهـــا لطـــخ

فمن يـــكُ سكرانا مـــن الوجد مرّة *** فإنّي منه طول دهري لمُـــلْـــتخُّ

فالملاحظ أنّ ابن خميس اعتمد كلمات صعبة في أواخر أبيات قصيدته (اللبخ– مطخ– لطخ – ملتخّ). وهي كلمات تحتاج المعجم لشرحها وفهم معناها.

– فكلمة (اللبخ: تعني الاحتيال الأخذ، واللّبخ الضّرب والقتل).

– وكلمة(مطخ: تعني التّدنيس. والمطخ اللّعق. واللطخ والمطخ ما يبقى من الماء في الحوض فلا يُقْدَرُ على شربه).

– وكلمة(اللطخ: تعني الدّناسة والقذارة).

– وكلمة(أُجَيْنٌ: تعني الماء الذي تغيّرت رائحته ولونه).

– وكلمة(مُلْتخٌّ: يقال رجل لتِخَةٌ أي داهية. واللّتخ هو الشقّ. واللّتخان هو الجوع).[3]

ومن المعلوم أنّ الأغراض التي يطرقها الشّاعر هي التي تفرض عليه –في كثير من الأحيان– لغة معيّنة تتماشى مع طبيعة الموضوع.فتتّخذ اللّغة عنده مستويات فنيّة معيّنة،

---

[1]) نفح الطيب، المقّري، ج5، ص 363.

[2]) لسان العرب، مادة (ذ ب ل).

[3]) **عن شرح الكلمات ينظر لسان العرب**، مادة (ل ب خ)، (م ط خ)، (ل ط خ)، (أ ج ن)، (ل ت خ).

فيتأرجح مستواها حسب الغرض الذي يتوخّاه، فتتفاوت تعابيره وألفاظه بين غرض وآخر في القصيدة الواحدة، وتتمايز مستويات لغته بين الصّعود والهبوط.

لهذا جاءت لغة الشّعراء الجزائريين وأساليبهم تابعة للأغراض التي كانوا يخوضون فيها، ففي غرض المدح والفخر تتّسم بالجزالة والفخامة، مثلما نجده عند أبي حمّو الثاني في قوله يفتخر بنفسه:

وكم سقيت كؤوس الموت صافية *** وقد حميت بحدّ السّيف أوطاني

وكم قهرت عدوّا ظالــما غاشمــا *** يوم اللّــقاء بأظعــان و أطعان [1]

وما نجده كذلك عند المنداسي يفتخر بشعره قائلا:

فهذا زمان المكر مَنْ لك بالرِّضى *** وفي كلّ قلبٍ ما كناهُ من السمّ

كأنّ قوافي الشّعــر منّي جنــادل *** وكفّ الزّمان منجنيق بها يرمي [2]

أمّا في الغزل فتتّسم الألفاظ بالسّلاسة والعذوبة كما نجده في قول أبي حمو الثاني:

الحبّ أضْعف جسمي فوق ما وجبا *** والشّوق ردّ خيالي بالسّقام هبــا

والبين أشْعل نار الوجد في كبــدي *** والدّمع يضرمها في القلب واعجبا

و ماءٌ ونارٌ وأكبادي لــها حطــب *** لكن عذابي به للحبّ قــد عَــذُبــا

ما كنت أدريهمــا حتّى صحبتهــما *** كُرها وقد يكره الإنسان من صحبا [3]

2) الخصائص المعنويّة:

2-1- **الصّدق**:هو أن يعبّر الشّاعر عمّا يشعر به حقيقة، وما يختلج في نفسه ولا يتكلّف إيراده بغضّ النّظر عمّا إذا كانت الأمور التي يذكرها حقيقيّة أم خياليّة، فليس من الضّروري أن يكون قول الشّاعر صحيحا، كقول الشاعر البلفيقي(ت:771هـ)[4]:

زعموا أنّ الجــبــال رجــالا *** صالحين قالوا من الأبــدال

سِباع يجرون باللــيل عَــدْواً *** لا تسلني عنهم بتلك الليــالي

وإذا أظلم اللّيل جاء إبليــس *** إلينا يــزور بطــيْفِ خيــال

---

[1]) أبو حمو الزياني، حاجيات، ص 314.

[2]) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج2، ص 298.

[3]) زهر الأكم في الأمثال والحكم، حسن اليوسي (ت:1102هـ)، ت: محمد حجّي، ج1، ص 712، الدار البيضاء، 1981م).

[4]) هو الأديب أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي، ولد سنة 725هـ، عالم وزاهد وشاعر، له قصائد في الزهد والتصوّف. **ينظر**: الإحاطة، ابن الخطيب، ج2، ص 79- 80.

خلِّ عنك المُحال يا من تُعنى *** ليس يلقى الرّجال غير الرّجال [1]

2-2- **التّطويل والاستطراد**: كان الشّاعر الجزائري طويل النّفس في بعض قصائده، كما كان شعراء المعلّقات، لذا كان يخرج أحيانا عن الموضوع الأساس إلى موضوعات تتعلّق به من قريب أو بعيد، وهذا ما يسمّى بالاستطراد، من ذلك ما نجده عند ابن خميس وأبي حمّو الثاني، وشعراء البلاط الزياني، حيث تجاوزت بعض القصائد عندهم المائة بيت.

3) الأغراض:

وهي الموضوعات التي يتناولها الشّاعر عَرَضًا في قصيدته، وهي عادة ممَهِّدة للغرض الرئيس الذي يرمي إليه الشّاعر. فقد يتطرّق الشّاعر الجزائري في قصيدة المدح -مثلا- إلى أغراض ثانويّة كالغزل والحكمة وغيرها. ولعلّ من بين الأغراض التي كان يطرقها شعراؤنا في قصائدهم نذكر:

3-1- **الوقوف على الأطلال**: وهو تقليد من تقاليد القصيدة العربية بعامة، والقصيدة الجاهلية بخاصة حيث يأتي الشّاعر على ذكر منزل الحبيبة التي أخذها أهلها ورحلوا بها؛ فيقف على المكان الذي كانوا ينزلون فيه، ويصفه ويصف ما حوله من رسوم انمحت آثارها، ودرست معالمها، فينسب بالحبيبة ويتشوّق إليها. وأحيانا ينسب الشّاعر بامرأة لا وجود لها أصلا، إنّما هي عادة العرب في افتتاح قصائدهم بالبكاء على الأطلال. ومن ذلك في الشّعر الجزائري، قول أبي حمو الثاني في مطلع قصيدة مدح:

قِفا خبِّراني عن رسوم نواهج *** وعن معلمات طيّبات الأرائج

وكذلك قوله في مطلع قصيدة أخرى:

قفا بالمنازل وَقْفة المتردّد *** ما بين لؤي بالطلول وموقد[2]

---

[1]) نفح الطيب، ج5، ص 473.

[2]) أبو حمو الزياني، حاجيات، ص 327 و 375.

3-2- **الـوصف:** والوصف في كلّ شيء نوعان: خيالي و حسيّ، " فالوصف الخيالي يعتمد التّشبيه والاستعارة...أمّا الوصف الحسي فهو تصوير للموصوف". [1] ولا شكّ في أنّ "أبلغ الوصف ما قلب السّمع بصرا ".[2]

ومن الوصف في الشّعر الجزائري، وصف الأديب المليكشي [3] للكعبة حين طُوِيَ ستارها في موسم الحجّ قائلا:

طَوتْ بُرْدها طيَّ السجِـلِّ كناية *** لأمْرٍ خَفِيَ سرّه طوتِ البُـــرْدا

فكم سترتْ سود البرود جمالــها *** وغطّته لكن عن سنّها الرّمـــدا

لقد سفرت عن وجهها الكعبة التي *** لها المسنى في حسنها المُـــبدا

3-3- **الـغـزل:** وهو تعبير الشّاعر عن عاطفته اتّجاه محبوبته، وقد جرى شعراؤنا مجرى الغزل العفيف، وكانوا يبتعدون عن التّشبيب الصّريح، من ذلك قول الأديب عبد المنعم الخزرجي[4] متغزّلا في سياق قصيدة له في التصوّف:

أبى ما بقلْبي اليوم أن يتكتّما *** وحسبُك بالدّمع السّفوح مترجما

ولله ما أشْفى لقاكِ للجوى! *** كأنّكِ أصبحتِ عيسى بن مريما [5]

3-4- **الحكمة :** ومن الأغراض التي تطرّق إليها شعراؤنا في قصائدهم، الحكمة، والتي هي ذكر آراء صائبة تصْدُقُ في الواقع أو توافق المنطق، أو تُوجِزُ نتائج الاختبار الطويل في ألفاظ يسيرة. وقد ورد هذا الموضوع كثيرا في شعر الزّهد، كالذي نجده عند الأديب أحمد الزواوي(ت:884هـ)[6] في الزهد:

فلا تعْجبــنّ إلاّ لغفْــلَــتنا التـــي ***دَهَتْنا فصرنا لا نخاف ونسمــعُ

قلوب قستْ ما إن تليــنُ وإنّهــا *** لتعلم القبر مثوى و مضجَـــع

---

[1]) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج1، ص 81، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1984م.

[2]) العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج2، ص 1060، دار المعرفة، بيروت، 1988م.

[3]) هو أبو عبد الله محمد بن عمر المليكشي أديب وشاعر وصوفي، توفي سنة (740هـ)، **عن حياته وآثاره ينظر**: (شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، ص 265). (معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 302، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، ط3، 1983م).

[4]) هو أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن فرج الخزرجي البجائي، عالم وفقيه وشاعر، ولد ببجاية سنة (633هـ)، وتوفي سنة (723هـ).**ينظر**: موسوعة طبقات الفقهاء، جعفر السبحاني، ج1، ص 250، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، 1314هـ.

[5]) الإحاطة، ج3، ص 241- 243.

[6]) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري، عالم وأديب وشاعر.**ينظر**: تعريف الخلف ، الحفناوي، ج1، ص 39، موفم للنشر.

فدَعْ عنك دنيا لا تدوم وإنّـــــها *** وإن أظْهرت حُسْنا يروق ويخدع
وبادرْ لتقوى الله إن كنتَ حازما *** هي العُرْوة الوُثْقى بها النّار تُدْفع[1]

4) التّقليد:

إنّ مظاهر التّقليد والمحاكاة واضحة في الشّعر الجزائري، ففي شكل القصيدة نلاحظ أنّ قصائد جلّ الشّعراء الجزائريين جاءت طويلة، فقد تجاوزت بعض القصائد المائة بيت، هذا يدلّ على طول النّفس عند الشّاعر الجزائري، ما جعله يحاكي الشّعراء الجاهليين وشعراء المعلّقات خصوصا، في ديباجة القصيدة و تعدّد أغراضها، حيث وردت معظم القصائد عند شعرائنا مفْـتَـتَحَةً بالوقوف على الأطلال، أو النّسيب الذي يتألّف في غالب الأحيان من ثمانية إلى عشرة أبيات.ولم يكن الشّاعر الجزائري يقتصر في قصيدته على غرض واحد، بل تطرّق إلى أغراض شعريّة متنوّعة، فمثلا قصيدته التي كان يخصّصها لمدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، كان يتطرّق فيها إلى الغزل، والفخر، والحكمة. فكانت تأتي قصائده عموما على الشّكل الآتي: مقدّمة طلليّة، ثمّ وصف للرّاحلة التي يمتطيها الشّاعر لبلوغ الحجاز وزيارة قبر الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ثمّ يصف طريقه إلى مقصده، وربّما تذكّر في طريق سفره أهْـلَهُ وأحِبَّاءه فذكرهم في قصيدته. وهكذا تتداخل الأغراض المتعدّدة في القصيدة الواحدة على عادة شعراء المعلّقات.

ومن أمثلة التّقليد في المقدّمة الطللية عند شعرائنا الجزائريين، ما نجده كثيرا في قصائد المولى أبي حمو الثاني، من ذلك مطلع قصيدته الذي يقول فيه:

حان الفراق فكنت منه بمنزل *** ودنا الرّحيل فكنت فيه بأوّل

وقوله كذلك:

تذكّرت أطلال الرّبوع الطّواسم *** وما قد مضى من عهدها المتقادم[2]

---

[1]) المصدر نفسه، ج1، ص 40.
[2]) واسطة السلوك في سياسة الملوك، أبو حمو الثاني، ص 249- 251.

ومظاهر التّقليد لم تكن في بناء القصيدة فحسب، بل كانت أيضا محاكاة لألفاظ وردت في قصائد جاهليّة وإسلاميّة، من ذلك ما نجده بكثرة في شعر المولى أبي حمو الثاني- الذي كان مولعا بتقليد شعر جرير والفرزدق- محاكيا قوافي وردت في قصيدة جرير: فقول أبي حمو:

حان الفراق فكنت منه بمنــزل *** ودنا الرحيل فكنْــت فــيه بــأوّل

من نجله موسى الذي هو لم يزل *** بين الخلائق كالسّمــاك الأعــزل

فنشدتها عن حالـــــها فتَــرَنَّمَتْ *** وبكت وأبْكت صمّ الصّخر الجندل

وإمامها قطب الوفا بحْــرُ الندى *** عطا لها يوم الوغــى بالعَيْــطــل[1]

محاكاة لقوافي جرير القائل:

أعــددْتُ للشّعــراء سُــمّا ناقــعا *** فسقيت آخــرهم بــكــأس الأول.

لمن الدّيــار كأنّــها لــم تُــحْلَــلِ *** بين الكناس وبين طلح الأعــزل.

وإذا غضبت رمى ورائي بالحصى *** أبناء جنــدلتي كخير الجــنــدل

..والخيل تنْــحــطّ بالكماة وقد رأوا *** لمع الرّبيئة في النّيــاف العيطل [2]

ولأبي حمو الثاني قصيدة أخرى حاكى فيها قوافي وردت في قصيدة للفرزدق قال فيها:

على مَــثْــن صهّال أغرّ محجّل *** مديد الخُطا لو يخش صعب الصّلادم

إذا لم يكن للمرء سعدٌ مُــساعــد *** فما يغنيه عَــدّ الجيوش الخَــضَارم

..وسرْت على جَــونٍ أقبَّ متّجها *** كلَــمْحة بَــرْقٍ أو لمحةِ صــــارم

محاكاة لقوافي الفرزدق في قوله:

إذا التقت الأقران والخيل والتقت *** أسِــنّــتُــها بين الذكور الصّــلادم

وما تجعل الظّرْبى القِصار أنوفها *** إلى الطمِّ من موج البحار الخضارم

وما لك من دلْوٍ تُــواضِخُــني بها *** ولا مُعْــلَــم حامٍ عن الحيّ صارم [3]

وفي شعر أبي حمو الثاني معاني من الشّعر الجاهلي ضمّنها في شعره، كقوله يصف فرسه:

---

[1]) أبو حمو الزياني، ص 316.

[2]) الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني، ج21، ص 325 وما بعدها، دار الثقافة، ط3، 1973م.

[3]) ديوان الفرزدق، ج2، ص 321وما بعدها، دار صادر، بيروت، 1960م.

إذا شاء أيّ وحش أدركه به *** فتحسبه في البيد بعض النّعائم

محاكيا معنى قول امرئ القيس في معلّقته:

وقد أغتدي والطّير في وُكُناتها *** بمُـنْجرد قيْـدِ الأوابد هيكلِ

..له أيطلا ظبي وساقا نعامــة *** وإرخاء سرحان وتقريب تتفل [1]

وقول أبي حمو في بداية البيت:

ألا أيّها الآتي لظلّ جنابنا *** نزلت برحب في غراض المكارم

مأخوذ من بداية بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

ألا أيّها الليل الطّويل ألا انجلي *** بصبح وما الإصباح منك بأمثل [2]

ومن مظاهر التّقليد أيضا، قصيدة نظمها الشاعر ابن أبّ المزّمري في مدح الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حاكى فيها قافية كعب بن زهير في بردته، قال فيها:

محمّد الهاشميّ المُــسْـتجار به*** كأنّما شرعه في اللّيل قِـنـــــديل

هو الكريمُ على اللهِ الكريم و من*** شرّفه مَــنْ له ذِكْــرٌ وتهــلــيــل

فيا محمّد يا محــمّد آهٍ أغِـــثْ *** من لم يزلْ في ظلام الجهل مكبول

فيا محمّد يا محــمّد آهٍ أغِـــثْ *** ففَـيْـضُ فضْـلك موردٌ ومنْهول

فيا محمّد يا محــمّد آهٍ أغِـــثْ*** عبداً أحَاطَـت بـــه القوم الأباطيــل

نزيل بابك يرجو رحمةً وسِعَـتْ *** وليس للعبد عن مَــوْلاه تَــحْــويل [3]

وللشاعر ابن المبروك الجعفري قصيدة في مدح الرسول (ص) سار فيها على منوال بردة كعب من حيث الوزن والموضوع، قال فيها:

بانت سعاد وبان الشّيْب في جسدي *** وأضْرَمَت جذوة الجحيم في جسدي

قد كنْـتُ ذا شغَـفٍ بها أعاهدها *** وأطــرقتها بذي الأسْـباب والوتَـد

عظيمة العجز بضّة وكاعِـبَـــة *** بأربع ثُـقيـلن إن مــدَدْتُ يَـــدي [4]

---

[1]) شرح المعلقات السبع، الزوزني، ص 26 و 28، دار الآفاق، الجزائر، دت.

[2]) المصدر نفسه، ص 24.

[3]) الحركة الأدبية بمنطقة توات، ص 74 وما بعدها.

[4]) المرجع نفسه، ص 95.

5) الخصائص الفنيّة:

5-1- الأسلوب: تُعتبر جزالة الأسلوب صفة أساسيّة اتّصف بها الشّعر الجزائري، فحين يفتخر الشّاعر أو يهجو-مثلا- يحتاج في شعره إلى اللّفظ القويّ والأسلوب الجزل ليُلائم التّفخيم والتّعالي، لأنّ معاني الفخر تتّصل بالأحساب والأنساب حيث لا يصلح فيها إلاّ الأسلوب الجزل الرّصين الذي تتلاحم أجزاؤه، ويمتاز بالمتانة في النّسج والعنف في الإيقاع، والنّبرة العالية التي تعبّر عن معاني القوّة والافتخار، مثال ذلك قول أبي حمو:

وحقّت بنا الأبطال من كلّ جانـــب *** يذكرها عند الهوى بالصّماصم

..مِكرٍّ بيوم الحرب لا يشتكي الونى *** مِفرٍّ إذا طالت عِظام الهزائـــم

..نطارد فيها الخيل بالخيل مثلهـــا *** فكان على الأعداء كرّ الهزائـــم

وهبّت رياح النّصر من كلّ جانب *** وجاءت إلينا مبهجات الغنائـــــم [1]

وبعد أن تتوارد في قصيدته المعاني والصّور التي توحي بالقوّة والعزيمة، ينطلق في وصف انتصاره على أعدائه وخضوعهم له قائلا:

..وإنّي لمُقْنيهم ومُـــقْني جموعهم *** وهادم ما قد شيّدوا مـــن معالم

فعادت ملوك الأرض تأتي مطيعة *** إلى بابنا تبغي التماس المكارم

وجاءت لنا من كلّ أوْبٍ و وِجْهةٍ *** تُبايعنا طوعـــــا وفود الغمائم [2]

5-2- الموسيقى والإيقاع [3]:

الشّعر ليس عملا سهلا كما يعتقد البعض، بل هو عمل معقّد غاية التّعقيد، فهو « صناعة تجتمع لها في كلّ لغة طائفة من المصطلحات والتّقاليد ».[4]

والشّعر صناعة معقّدة تخضع لقوانين دقيقة وصارمة، فهو كما يقول الحطيئة:

الشّعر صعبٌ وطويل سلّمه *** إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

---

[1]) زهر البستان، ج2، ورقة :11وجه- 11ظهر.

[2]) المصدر نفسه، ج2، ورقة 12 وجه.

[3]) **عن موسيقى الشعر وإيقاعها، ينظر**: (التجديد الموسيقي في الشعر العربي، رجاء عيد، ص 10- 19، منشأة المعارف، مصر، 1982م).**و ينظر:**(المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله طيب، ج1، ص 72، دار الفكر، ط2، بيروت، 1970م).

[4]) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د.شوقي ضيف، ص 13، دار المعارف، مصر، ط6، د ت.

زلّت به إلى الحضيض قدمه *** يُريد أن يُعربَــه فيُعجمُــه [1]

وقد تمثّلت الخصائص العروضيّة للشّعر الجزائري- عموما- في الوجوه الآتية:

أ) **الموسيقى**: إنّ الفارق الأساسي بين الشّعر والنّثر هو الموسيقى، فالشّعر يمتاز بزخرفة موسيقيّة تدركها الأذن قبل أن يدرك الفكر ما فيها من معان. فجمال الشّعر يَكْمن في جَرْسِ الألفاظ وانسجامها.والموسيقى ميزة أساسيّة في الشّعر، ولعلّ من الضّروري حين الشّروع في بحث الموسيقى في الشّعر الجزائري، أن نتطرّق بإيجاز إلى بعض المصطلحات ونحاول تحديد مدلولاتها.

- الوزن: وهو الموسيقى النّاتجة عن تتابع تفعيلات معيّنة، تتكرّر في كلّ بيت دون تغيير، وهذا النّوع من الموسيقى يُسمّى بحور الشّعر، وهو ما اصطُلِح عليه حديثا بالموسيقى الخارجيّة.
- الإيقاع: وهو الموسيقى النّاتجة عن تكرار كلمات معيّنة أو متشابهة، أو حروف متقاربة المخرج، وهذا ما يسمّى في الاصطلاح الحديث بالموسيقى الدّاخلية (إعادة حرف الرويّ في كلّ شطر).
- الجَرْس: ويُقْصد به وقْع الحروف والكلمات على الأذن كالخفوت في حروف الهمس، والشدّة في الحروف الانفجاريّة، ولا يُدْرَك الجرْسُ إلاّ عن طريق السّمع.[2]

ب) **القافية[3]**: إنّ من يرجع إلى الشّعر العربي في أقدم نماذجه يرى صعوبة في صناعته، وقد نبع الشّعر العربي، بما في ذلك الشّعر الجزائري، من منابع غنائيّة ومظاهر موسيقيّة، ولعلّ القافية هي أهمّ تلك المظاهر،حيث " أنّ العناية بالشّعر إنّما هي بالقوافي لأنّها المقاطع وفي السّجع مثل ذلك...وآخر السّجعة والقافية أشرف عندهم من أوّلها والعناية بها أمسّ، والحشد عليها أوْفى وأهمّ " [4]. فإذا تمعنّا في الشّعر العربي

---

[1]) البداية والنهاية، ابن كثير، ج9، ص 3، مكتبة المعارف، بيروت.

[2]) **ينظر**: موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص 191 وما بعدها، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، 1965م.

[3]) القافية هي الحرف الأخير من البيت، وقيل الكلمة الأخيرة منه،وقيل التفعيلة الأخيرة. **ينظر**: التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 128.

[4]) الخصائص، ابن جني، ت: علي النجار، ج1، ص 85، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1999م.

القديم نجد بعضا من هذه الموسيقى كالتّصريع[1] مثلا، في مطالع القصائد على نحو قول لبيد في مطلع معلّقته:

عفتِ الدِّيار محلُّها فمُقامها *** بمنى تأبّد غولها فرجامها[2]

وقد استعمل الشّاعر الجزائري التّصريع في قصائد وتغافل عنه في أخرى، وكان بهذا التّصريع يُعلن عن بداية قصائده، وأمثلة ذلك كثيرة في الشّعر الجزائري، منها مطلع قصيدة الشّاعر الثّغري يقول فيه:

ذكر الحِمى فتضاعفت أشجانه *** شوقا وضاق بسرّه كتمانه [3]

ونجد التّصريع –كذلك– في قول أبي حمو الثاني:

جرت أدمعي بين الرّسوم الطّواسم *** لما شحَطتْها من هبوب الرّواكم [4]

ونجده في قول ابن خميس في مطلع إحدى قصائده:

عجبا لها أيذوق طعم وِصالها *** من ليس يأمل أن يمرّ ببالها

فنجد أنّ هؤلاء الشّعراء قد وفّقوا في مطالع قصائدهم بين الشّطرين، و شاكلوا بين الكلمتين الأخيرتين من الصّدر والعجز في البيت.

وربّما التزم الشّاعر التّصريع في بيتين أو أكثر مثل قول الشاعر الخلوف القسنطيني في مطلع قصيدته البديعة:

أماطَ الهوى عن وَاضِحَيْ بُرْقُع النّسْك *** فوجدْتُ من أهواه عن هوّة الشّرك

فقلت وقد أقْـتَـتْ لحاظُـك بالفَـتك *** أفاتكة اللّـحظ التي سَـلبْتِ نسكي [5]

فأنت ترى كيف وفّق بين شطري البيت الأول والثاني، ولم يكتف بذلك بل نراه يُلائم بين الحروف في البيتين، فقد كرّر الكاف (النّسك– الشّرك– الفتك– نسك)، وكرّر الهاء (الهوى– أهواه– هوّة)، فأحدث هذا التّكرار توافقا صوتيّا وتناغما موسيقيا بين الكلمات.

وانظر إلى قوافي الأبيات في القصيدة الصّوفية للشّاعر عبد القادر بن محمد بن سليمان الجزائري (ت: 940هـ) التي قال فيها:

---

[1]) التصريع هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه، ينقص بنقصانه و يزيد بزيادته، وهو مبادرة الشاعر القافية ليُعْلم أوّل وهلة أنّه آخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أوّل الشّعر. **ينظر**: العمدة، ج1، ص 326.

[2]) شرح المعلقات السبع، الزوزني، ص 69.

[3]) زهر البستان، ج2، ورقة 60 وجه.

[4]) المصدر نفسه، ج2، ورقة 10 وجه.

[5]) الضوء اللامع، ج1، ص 250.

بدأتُ بحمد الله قصْداً لِـنُـجْحِ ما *** أروم من استفتاح نـــظم القصيدة
ولمّا رأيتُ القوم جدّوا في سيرهم *** إلى المقصد الأسنى بصدق العزيمة
ولمّا تفاوضنا المشـورة بيْـــننا *** بَرَمْنا عـقودا بالعهود الـــــوثيقة
فصرنا وصاروا حِلْف صدق وودّنا *** وِداد النّهى ذوي الصدور السّليمة
فوا أسفا لتـــارك حبْـل عهْـدنا *** عَـمِـيَ وصـمَّ وارتـدّ بالقطيعة
ويـا حسرة الذين أتَـوْا ببُـعْـدِنا *** لما فرَّطوا فـي أخذهم للطّريـقة
أم كيف رِضـا الله يُـدْركه الـذي *** يُـساخط ربّه ويُـرْضي الـخليقة [1]

فإنّك ترى كيف أُحْكِمَ قرارها وكيف تتابعت مُنسَّقة تنسيقا جيّدا، فإذا قرأتها فهي كالآتي:(القصيدة– العزيمة– الوثيقة– السليمة– القطيعة– الطريقة– الخليقة)، فإنّك تراها متّحدة في عدد حروفها وحركاتها وسكناتها، وتكرار حرف القاف والتاء أضفى على القوافي نغما موسيقيّا خاصّا تدركه الأذن بكلّ سهولة وتستمتع بسماعه.

ثمّ استمع إلى الشّاعر عبد المؤمن المديوني يقول في قصيدته:

مدحُ النبيّ المصطفى العدناني *** هو عدّتي لقيامتي و كـفاني
صيّرته شغلي وغاية مقصدي *** حتّى تجري جوانحي وجناني
الله فضّلهُ بـها واخْـتَـصّه *** بمهابةٍ وفصـاحةٍ وبـيـــان
يا طلعة البدر المنير ضياؤه *** عِشْ في سرورٍ دائـمٍ وأمـان
واجْنِ الأمان كيف شئت فإنّها *** في حفظِ الإلهِ الواحدِ الرحمان [2]

فواضح ما في هذه الأبيات من تقطيعات صوتيّة داخليّة، فقد عمد الشّاعر إلى الكسرة فعمَّمها في كثير من الكلمات (النبيِّ– العدنانِي)، (عدّتي– قيامتي– كفاني)، (مهابةٍ– فصاحةٍ)، (سرورٍ– دائمٍ)، (الإلهِ – الواحدِ – الرحمانِ)، بحيث يحسّ القارئ لهذه الأبيات بأنّ الكلمات تتجاذب تجاذبا شديدا.

---

[1]) **نقلا عن** :الشعر الصوفي القديم في الجزائر، مختار حبار، ص 52- 80، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997م.
[2]) زهر البستان، ج2، ورقة 17 ظهر.

والإكثار من القوافي الدّاخليّة (التّرصيع)،[1] سمة من سمات الموسيقى في كثير من الشّعر الجزائري على نمط ما نراه في قصيدة أبي حمو الثاني والذي يقول فيها:

ليْلي سهــرُ يومي فِــكــرٌ *** دمعي دُررٌ بُــرْئــي علل

نفسي ضجرت لمّا افتكرت *** هلاّ نظرت ما يصلح لــي

إثمي كَــثُــرا شيبي ظهرا *** وقد اشْتهرا والأمر جلــي

من يُــنقذني من يُــسْعدني *** من يرحمني من يغفر لــي

مُنْــشِي الرّمم معطي القسم *** باري النِّسَم مُــحيي الدّول [2]

فقد أكثر الشاعر من القوافي الداخلية (التّرصيع) في قوله:(سهر– فكر– درر)، (ضجرت– افتكرت– نظرت)، (كثرا– ظهرا– اشتهرا)، (ينقذني– يسعدني– يرحمني)، (الرّمم– القسم– النّسم). فتمّت له بذلك تقطيعات صوتية استطاع أن يرتفع بها إلى مستوى فنيّ عال.

ومن يقرأ الشّعر الجزائري يجد أمثلة كثيرة للجوانب الموسيقيّة الأخرى ممّا يتّصل بالصّوت وتنظيمه تنظيما موسيقيّا خاصّا.

ج) البحور: المُلاحظ في الشّعر الجزائري أنّه احتوى على كلّ البحور الشّعريّة المعروفة، والملاحظ كذلك أنّ أغلب شعرائنا كانوا يستعملون البحور التّقليديّة الكامل والطويل والبسيط والوافر، فأبو حمو الثاني –مثلا– أكثر من استعمال بحر الطويل في قصائده سيرا على طريقة الشّعراء الجاهليّين، من ذلك قوله:

قف بالمنازل وقفة المتردّد *** ما بين نؤي بالطلول وموقد

وقوله (الطويل):

قفا بين أرجاء القِباب وبالحيّ *** وحيّ ديارا للحبيب بها حيّ.

ومن بحر الكامل قول ابن خميس:

نَظَرَتْ إليك بمثل عيني جؤذر *** وتبسَّمتْ عن مثل سمطي جوهر

---

[1]) **الترصيع** هو السجع الذي في إحدى القرينتين، أو أكثر، مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن، والتوافق على الحرف الآخر المراد من القرينتين هما المتوافقتان في الوزن والتقفية، نحو: {فهو يطبع الأسجاع بظواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه}، فجميع ما في القرينة الثانية يوافق ما يقابله في الأولى في الوزن والتقفية. **ينظر**: التعريفات، ص 120.

[2]) زهر البستان، ج2، ورقة 18 وجه.

ومن بحر الكامل قول يحي بن خلدون:

بين اليراع ومُرْهف الأسياف *** نسبٌ حمتْهُ شريعة الإنصاف.

د) **الرويّ**[1]: من خلال الدراسة السّريعة لموسيقى الشّعر الجزائري، رأينا أنّ القصيدة تتألّف من وحدات موسيقية تسمّى الأبيات، وهي تتجاوز الخمسين بيتا،وقد تزيد على المائة، وقد تنقص إلى عشرة. وقد التزم الشّاعر فيها وزنا واحدا يرتبط بنغماته وألحانه، كما التزم حرفا وحدا في نهاية الأبيات يسمّى رويّا.

أمّا إذا أحصينا بالتّقريب الحروف التي استعملها الشعراء الجزائريّون كرويّ، نجد أنّ أكثر الحروف استعمالا هي: الراء والدّال والنون والهاء، ثمّ اللام والميم والباء والعين.

إذا، وبعد هذه الدّراسة الموجزة لخصائص الشّعر الجزائري الفنيّة والموضوعيّة، نرى أنّ الشّاعر الجزائري كان عفويّا في نظمه للشّعر، يتميّز نظمه بالبساطة والفطرة، تعبيره انسيابي، وتصويره متسلسل كامل لا تحسّ فيه بالزّيف.

فقد أعطانا الشّعراء الجزائريّون ما بين القرنين السّابع والثّاني عشر الهجريين الصورة العربية الأصيلة للشعر، باستعمالهم للأدوات المعتادة والمألوفة، هذه الصّورة التي تثير كلّ من يسمعها أو يقرؤها.

[1]) **الروي** هو الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيُقال قصيدة دالية أو تائية. **ينظر**: التعريفات، ص 85.

الفصل الثاني

أثر القرآن في البنية الشكليّة

للشعر الجزائري

* المبحث الأول:القرآن الكريم مفهومه، وإعجازه، وأثره العام.

* المبحث الثاني: الاقتباس من القرآن في الشعر الجزائري، تعريفه، وحكمه، وأسبابه.

* المبحث الثالث: أثر الألفاظ القرآنية في الشعر الجزائري.

* المبحث الرابع: أثر الفاصلة القرآنية في الشعر الجزائري.

الفصل الثاني: أثر القرآن في البنية الشّكليّة للشّعر الجزائري.

القرآن معجزة الدّهر، وكتاب الزمان، ودستور الحياة، يستمدّ منه المسلمون قوّتهم ونشاطهم وعِزّتهم، وقد كانت عِنايتهم به فائقة فتنافسوا في حفظه وفهمه والاقتباس منه. فنزول القرآن لم يكن له تأثير على نظام المجتمع العربي ومعتقداته فحسب، بل كان تأثيره شاملا لكافّة ميادين الأدب، فانتعش بفضله الأدب العربي بعامّة، والشّعر على بخاصّة، وحوّله إلى أدب هادف شاملٍ لكافّة ميادين الحياة.

فبعد انتشار الإسلام في الجزائر، تسابق الجزائريّون للدخول فيه، وتنافسوا في تعلّم اللّغة العربيّة وحفظ القرآن، فلا نجد عالما أو أديبا إلاّ وقد حفِظ القرآن قبل أن يتّجه إلى علمٍ من العلوم. فوجد أدباؤنا ولا سيّما الشّعراء آفاقا جديدة أبدعوا فيها، مُسْتنيرين في ذلك إلى حدٍّ كبير بهَدْي القرآن الكريم، مُسْتعِرين صُوره وآياته لتوْشِيح أشعارهم، فصُبِغت أشعارهم بصِبْغة دينيّة.

إذاً، فقد وجد شعراؤنا في القرآن الكريم ميادين جديدة أمْكنهم التطرّق إليها، وآفاقا واسعة لم تُتَحْ لهم في مصادر أخرى، فمضى كثير منهم ينظمون أشعارهم مُسْتضيئين إلى حدٍّ كبير بما جاء في القرآن. فنجد في أشعارهم –على اختلاف أغراضها– صدى واسعا لأثر القرآن بآياته، وألفاظه، وتعابيره.

وبما أنّ القرآن يُعتبر الذّروة البلاغيّة في الكلام العربي، فقد كان لإعجابهم به الأثر الكبير في إغناء لغتهم العربيّة بتعابير وألفاظ لم تكن لتبرز لولا وجود القرآن الكريم.

لهذا، سأحاول في هذا الفصل، والفصل الذي يليه، تتبّع الأثر القرآني بألفاظه، وآياته وأسلوبه، وصُوَره في الشّعر الجزائري، والذي امتدّ ما بين القرنين السابع والثاني عشر للهجرة، هذا الأثر الذي تمثّل في ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم.

لكن، وقبل تتبّع هذا الأثر، ولكي تكون أمامنا صورة متكاملة للمؤثّرات التي استحدثها القرآن في الشّعر الجزائري لهذه الفترة، يجدُرُ بنا أن نَخُصّ القرآن الكريم– كتاب الله ودستور المسلمين– بحديث لائق، لِما له من أثر هامّ في حياة المسلمين جميعا، وفي فِكرهم وأدبهم وثقافتهم عبر العصور. وقد خصّصت مبحثا للحديث عن القرآن الكريم من حيث إعجازه وأثره العام في النّفس، وفي الفكر، وفي الأدب.

المبحث الأول: القرآن الكريم، تعريفه، وإعجازه، وأثره العام.

I) تعريف القرآن:

1) **لغة:** القرآن: هو التنزيل العزيز، قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً.قال أبو إسحاق النحوي: يُسمى كلام اللّه تعالى الذي أنزله على نبيه، صلى اللّه عليه وسلم،كتاباً

وقُرْآناً وقُرْقاناً، ومعنى القُرآن الجمع، وسمي قُرْآناً لأنه يجمع السُّوَر، فيَضُمُّها. وقوله تعالى: (إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَه وقُرْآنَه)، أي جَمْعَه وقِراءَته، (فإذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)، أي قِراءَتَهُ. قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: فإذا بيَّنَّاه لك بالقراءَة، فاعْمَلْ بما بَيَّنَّاه لك، ولكنَّه اسم لكتاب اللّه مثل التوراة والإنجيل.[1]

و قَرَأْتُ القُرْآنَ قِراءَةً، فأنا قارِئٌ، والقُرْآنُ مَقْرُوْءٌ. ورَجُلٌ قارِئٌ: أي عابِدٌ ناسِكٌ. وسُمِّيَ القُرآنُ قُرْآناً لأنَّ القارئ يُظْهِرُه ويُبَيِّنُه ويَلْفِظُه من فيه. وقَرَأْتِ المَرْأةُ قَرْءاً: إذا رَأَتْ دَماً، وأقْرَأَتْ: حاضَتْ فهي مُقْرِئٌ وقَعَدَتِ المَرْأةُ أيّامَ إقْرَائها. وتَقَرَّأ فلانَة الدَّمُ: إذا حَرُمَتْ عليها الصَّلاةُ.[2]

2) اصطـــلاحا: القرآن الكريم، هو" كلام الله المُعْجِز، المُنزَّل على خاتم الأنبياء والمُرْسلين، بوَسَاطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصّدور، المنقول إلينا بالتّواتر، المُتَعَبَّدِ بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المُخْـــتَـــتَم بسورة النّاس".[3]

و القرآن كذلك هو "المُعجزة الخالدة التي زوّد الله تعالى بها رسوله المصطفى(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وهو الميراث الإلهيّ العظيم، والمصدر الأوّل للعقيدة والشّريعة الإسلامية، والذي لا يُعْدَل عنه إلى غيره من المصادر مُطْلقا. والقرآن اسمٌ يُطلق على كلام الله عزّ وجلّ، المُنزّل على خاتم الأنبياء محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) خاصّة، ولا يُسمّى بذلك غيره، وهو اسمٌ لِمَا هو مجموع بين الدّفّتيْن".[4]

وكلمة "قرآن" مصطلح إسلاميٌّ وحقيقة شرعيّة، استُعْمِلت بالمعنى المذكور في كلّ من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف، ويصحّ إطلاق قرآن على جميع القرآن، وعلى السّورة منه، وعلى الآية الواحدة.[5]

II) إعـجـــاز القرآن:

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتّحدّي السالم عن المعارضة، يجريها الله على يد رُسُلِه تصديقا لهم في دعواهم النبوّة والرسالة.[1] فاقتضت الحكمة الإلهيّة أن

---

[1]) مختار الصحاح، محمد الرازي، ت: مصطفى ديب البُغا، ص 336، دار الهدى، الجزائر،دت.
[2]) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ت: محمد حسن آل ياسين، ص 225، بيروت، 1994م.
[3]) التّبيان في علوم القرآن، محمد علي الصّابوني، ص9، دار الإرشاد، بيروت، 1970م.
[4]) الكافي، ثقة الإسلام الكُلَيْني، ج2، ص 630، دار الكتب الإسلامية، إيران، 1365هـ.
[5]) التّمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ج2، ص 135، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1421هـ.

يُؤيَّد كلّ رسول بمعجزات تُصَدِّقُ دعوته، وتُثبت رسالته، واقتضت الحكمة أن تكون هذه المعجزات ملائمة للظّروف التي يعيشها قومه الذين بُعِثَ إليهم، ليتحقّق التّحدّي والإعجاز. فقد بُعِث موسى عليه السّلام إلى قومٍ يُمارسون السّحر والشعوذة، فأبْطَلَتْ مُعْجزاته سحرهم، قال الله تعالى:{ وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ }.[2]

وبُعِث عيسى عليه السلام إلى قومٍ يُمارسون الطبّ ويُؤمنون بالخوارق، فكانت مُعجزاته لهم من جنس ما يدينون به، قال الله تعالى:{ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }.[3]

وبُعِث محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى العرب، وكانوا أصحاب بلاغة وفصاحة، يفتخرون بروْعة بيانهم، وبلوغهم قمّة فنّ القوْل، فجاءهم القرآن بما أدْهشهم وأعْجزهم من بيان لا طاقة لهم على مثله. فتحدّاهم أن يأتوا بمثله رغم ما وصلوا إليه من قدرة في البلاغة والبيان، قال الله تعالى: { فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ }.[4] فلمّا لم يستطيعوا تحدّاهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فقال تعالى: { وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.[5]

---

[1]) تأملات قرآنية، موسى إبراهيم، ص 103، شركة الشهاب، الجزائر، 1988م.
[2]) سورة الأعراف، الآية 113- 121.
[3]) سورة آل عمران، الآية 49.
[4]) سورة الطور، الآية 34.
[5]) سورة البقرة، الآية 23.

فلمّا عجزوا عن ذلك أيضا تحدّاهم بأن يأتوا بعشرِ سُوَرٍ حتّى ولو كانت مفتريات، قال تعالى:{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.[1] فعجزوا عن ذلك كلّه، فتوقّفوا عن مُحَاججة النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فقد كان العرب في الجاهليّة يفتخرون بالشّعر والخطابة، لهم فطاحل الشّعراء، ومصاقع الخطباء. ولمّا نزل القرآن الكريم على محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) حار العرب فيه، فمن قائل أنّه شعر، ومِنْ قائل أنّه سحر لشدّة انبهارهم بأسلوبه.[2]

فرغم التقدّم اللّغويّ عند العرب، في استعمال الألفاظ بالشّكل الفنيّ المطابق لمقتضى الحال، والملائم للذّوق السّليم، والقُدرة الفائقة من الفصاحة والبلاغة والأدب، وما تحويه هذه الفنون من إبداع وتنسيق، نجد أنّ البلغاء الفُصحاء، والشّعراء العرب، حين نزل القرآن الكريم اعترفوا بتقصيرهم، ووقفوا مبْهُورين مُنْدهشين للعظمة الكُبْرى من النّاحية الأدبيّة في القرآن الكريم. فقد نزل القرآن بأسلوب بلغ في نظمه وإحكامه وتفوّقه مرتبة لا يُسامى فيها ولا يُدْرَك عندها، وهي مرتبة الإعجاز.[3]

يتحدّث الجاحظ(ت:225هـ) عن عدم قُدرة العرب على الإتيان بمثل ما جاء به القرآن فيقول:" بعث الله محمّدا(صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا، وأحكم ما كانت لغة... فدعا أقْصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته... وهو في ذلك يحتجّ عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحا ومساءً إلى أن يُعارضوه إن كذباً بسورة واحدةٍ، أو بآيات يسيرة، فلمْ يَرُمْ ذلك خطيبٌ، ولا طمِع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلّفه".[4]

وقد تمثّل إعجاز القرآن في عدّة وجوه؛ فهو " مُعجز في حروفه وكلماته وتراكيبه، مُعْجز في تأليفه والتئامه وتناسقه، مُعْجز في سلامته من التّعارض، معجز في أسلوبه ونظْمه وفواصله ومقاطع آياته، مُعجز بفصاحته، معجز بأنبائه الغيبيّة عن كوامن الزّمن،

---

[1]) سورة هود، الآية 13.
[2]) التّعبير الفنّي في القرآن الكريم، بكري أمين، ص 141، دار العلم للملايين، ط6، لبنان، 2001م.
[3]) الأدب في عصر النبوّة، صلاح الدين الهادي، ص 34، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1987م.
[4]) تاريخ الأمم والملوك،محمد بن جرير الطبري، ج2، ص 506، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1336هـ.

معجز في أسراره الدّقيقة وقوانينه المُحْكَمة، وطُرُق إقناعه الفذّة، معجز في إشاراته واستعاراته، معجز بجاذبيّته للمشاعر والأحاسيس".[1]

ولن نستطيع في هذا المبحث أن نُلِمَّ بجميع أوجه الإعجاز في القرآن، فقد اختلفت الأقوال في ذلك وتعدّدت، وقد أُلّفت الكتب والموسوعات من أجل توضيح ذلك، وإبراز مكمن الإعجاز في القرآن الكريم. وبما أنّنا في موضوعنا هذا لسنا بصدد دراسة خاصّة لموضوع الإعجاز في القرآن، سنكتفي بالحديث عن وجوه الإعجاز الأدبي في القرآن وباختصار شديد، مُمهّدين لذلك بحديثٍ موجز عن الإعجاز القرآنيّ عموما.

1) **<u>القرآن معجز بوجه عام</u>**: ادّعى بعض العرب الجاحدين بأنّ لهم القُدرة على الإتيان بمثل القرآن، فتحدّاهم الله تعالى في قوله:{ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }.[2] لكنّهم رجعوا إلى عنادهم وتحدّيهم، فقال الله على ألسنتهم:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ }.[3]

يقول صلاح عبد الهادي في هذه الآية: " إنّ ما حكاه القرآن عنهم في قولهم {لَوْ نشاءُ لقُلْنا مِثْل هَذا} ليحمل دليل عجزهم، فلو كانوا على ما وصفوا أنْفُسَهم به من القُدرة على مُحاكاته، لتجَاوزا مرحلة الادّعاء إلى مرحلة الوفاء بما ادّعوا، فلمّا لم يفعلوا، عُلِمَ عجزهم وقُصُور باعهم".[4]

ولمّا عجزوا هنا، ادّعوا بأنّ النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) له علمٌ بأخبار الأمم السّالفة، فطالبهم القرآن مرّة أخرى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل القرآن في الأسلوب والبيان، لا في الحقائق والأخبار، فعجزوا عن ذلك أيضا، قال تعالى:{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.[5]

---

[1]) البيان في علوم القرآن، محمد الصالح الصدّيق، ص 249، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
[2]) سورة الإسراء، الآية 88.
[3]) سورة الأنفال، الآية 31.
[4]) الأدب في عصر النبوّة، ص 40.
[5]) سورة يونس، الآية 38.

ثمّ لم يُحاول ذلك منهم، خطيب ولا شاعر، مع كثرة كلامهم وخطبائهم وشعرائهم.ولمّا لم يجدوا إلى ذلك سبيلا، "لجأوا إلى السّيف يحكم بينهم وبين محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم)...فكان التجاؤهم إلى السّيف الحجّة القاطعة على عجزهم معارضة القرآن ومجاراته".[1]

2) **القرآن مُعجز ببلاغته**: ذهب بعض الدّارسين إلى أنّ البلاغة القرآنيّة هي أساس الإعجاز، فبلاغة القرآن تعتمد على دقّة التّعبير والإجادة في الوصف بألفاظ قليلة وتوَسُّعٍ في الدّلالة، حيث أنّ القرآن جمع الكثير من المعاني في القليل من اللّفظ.[2] فالقرآن الكريم مُعْجز لأنّه أجاد استعمال خصائص اللغة العربيّة، ووصل بها إلى القمّة التي لا تُدْرَك من طرف البشر، على الرّغم من تمتّع العرب بحاسّة بلاغيّة تجعلهم يُميّزون بين كلام الله وكلام البشر، إلاّ أنّهم لا يستطيعون الإتيان بمثله.[3]

وقد ذهب آخرون نفس المذهب حيث قالوا: إنّ القرآن أعلى طبقة في الإعجاز، لحسن تأليفه، وبراعة تركيبه، ولأنّه يعتمد الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، مع تضمين عذوبة في اللفظ، وسلاسة في المعنى، ممّا يعجز عنه الخلق جميعا.[4]

فالقرآن الكريم أفصح الكلام، وأبلغ الأداء "...ولا يُعْرَف للعرب كلام مُشتمل على هذه الفصاحة والتصرّف البديع، والحِكم الكثيرة، والتّناسب في البلاغة، والتّشابه في البراعة على هذا القَدْرِ من الطّول، وإنّما تُنْسَبُ إلى حكيمهم كلمات معدودة، وإلى شاعرهم قصائد محدودة، لا تبلغ مبلغ القرآن في الطّول والتّصرّف".[5]

3) **القرآن معجز بنظمه**: يُعدّ الجاحظ من أوائل القائلين إنّ النظم أساس إعجاز القرآن، ثمّ جاء أبو سليمان الخطّابي فنحا نحوه، فهو يرى أنّ القرآن جمع أفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف، مُضَمِّناً أفصح المعاني.[6]

---

[1]) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص 84، مطبعة نهضة مصر، ط3، 1950م.
[2]) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: أحمد صقر، ج 4، ص 3، مطبعة الحلبي، مصر، دت.
[3]) المصدر نفسه، ج 4، ص 16.
[4]) النكت في إعجاز القرآن، عيسى الرمّاني،(ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، ت: محمد زغلول سلام، ص 75 وما بعدها، دار المعارف، ط2، مصر، 1968م. **وينظر**: الصّناعتين، أبو هلال العسكري، ص 3- 4.
[5]) من بلاغة القرآن، ص 52.
[6]) بيان إعجاز القرآن، الخطابي، (ضمن ثلاث رسائل)، ت: محمد زغلول سلام، ص 22 وما بعدها، دار المعارف، مصر، 1968م.

كما ذهب هذا المذهب كلّ من الباقلاني(ت:403هـ)،[1] وعبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) الذي يرى أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه وتألفيه، والنّظم بالنسبة إليه هو توخّي معاني النّحو وأحكامه عند المتكلّم.[2]

وقد ردَّ عبد القاهرالجرجاني على ادّعاء أبي إسحاق النظّام الذي قال بأنّ إعجاز القرآن كان بالصّرفة، فقال: " لو كان الأمر كما ذكروا لكان ينبغي للعرب ألاّ يتعاظمهم القرآن، ولا يكون منهم ما يدلّ على إكبارهم أمره، وتعجّبهم منه...ولكن التّعجّب منهم لِما دخل من العجز عليهم، ولِما رأوْهُ من تغيّر حالهم".[3]

خلاصة القول، إنّ إعجاز القرآن " يكمن في صميم نَسَقِه، في طريقته الفذّة في نظم الجمل، و تركيب الألفاظ، والملاءمة الدقيقة بينها وبين المعاني، ومُراعاة الظّروف ومواقف الكلام، ومُقتضيات الأحوال بصورة تدعو إلى الإعجاب والدّهشة".[4]

فالقرآن الكريم مُعْجز في كلّ سورة، وفي كلّ آية، وفي كلّ معنى، وفي كلّ لفظة، " نظمه بديع، وتأليفه عجيب...ما هو من القصيد الموزون، ولا الرّجز من سهل و حَزون، ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع الكهنة...و إنّ آية منه أو بعض الآية لتُعْرَضُ في أفْصح كلام يقدِرُ عليه المخلوقون".[5]

III) أثر القرآن العام:

1) **أثر القرآن في نفوس العرب**: لقد أثار القرآن منذ الوهلة الأولى لنزوله دهشة العرب، لِما فيه من إعجاز في أسلوبه وبيانه، ففريق فتح الله صدرَه للإسلام، وفريق اتّبع هواه فأضلّه الله، ولمّا خافوا على أنفسهم وأتباعهم من تأثير كلام الله المُعْجِز، صاحوا في النّاس ألاّ يسمعوا القرآن وأن يُثِيروا الضجّة حين تلاوته، قال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }.[6]

---

[1]) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، ص 67، دار المعارف، مصر، 1954م.
[2]) دلائل الإعجاز، ت: محمد رشيد رضا، ص 40 وما بعدها، دار المعرفة، بيروت، 1978م.
[3]) المصدر نفسه، ص 300.
[4]) النثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه، عبد الحكيم بلبع، ص 56، القاهرة، دت.
[5]) رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، ص 326، دار صادر، بيروت، 1964م.
[6]) سورة فصلت، الآية 26.

فقد كان كثير من مُشْرِكِي العرب حين يستمعون للرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) يتلو القرآن ينبهرون بألفاظه ومعانيه ونظمه، ورقّتِهِ حين يرِقّ، وشدّته حين يشتدّ، و لكنّهم مع ذلك لا يؤمنون له، بعضهم يمنعه الحسد، وبعضهم يمنعه الكبرياء.[1]

فمن العرب مَن انْبهر بالقرآن وأحسّ بأثره في نفسه وآمن به حين سماعه، ومنهم مَنْ عاند وكابر حسداً من عند نفسه.

و مهما يكن، فإنّ القرآن هو المعجزة التي جاء بها الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، هذا القرآن الذي تخشع له القلوب وتقشعر حين سماعه الأبدان، وتفيض حين تدبّر آياته الدّموع. ومن مواقف التأثّر ببيان القرآن وإعجازه نذكر مثلا، قول الله تعالى في أهل الكتاب حين سماعهم للقرآن، { وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }.[2]

فهذه صورة من صُوَرِ التّأثّر الوُجْداني لسماع آي الذّكر الحكيم، فأهل الكتاب لمّا تأكّد لديهم ما عرفوا من الحقّ فاضت دموعهم تأثّرا وفرحا. فبمجرّد سماع آيات من القرآن الكريم تقشعر الجلود، وتُذْرَفُ الدّموع، وتلين القلوب، وتتحرّك المشاعر.قال تعالى:{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }.[3]

2) **<u>أثر القرآن في نفوس المسلمين</u>**: أمّا أثر القرآن في المسلمين فلا يُمكن وصفه، والأمثلة على ذلك كثيرة منها موقفهم يوم بدر، وغزوة تبوك.[4] وقد كانت قراءة القرآن تُحْدِثُ تأثيرا قويّا في نفوس المسلمين، وصفه الله تعالى في قوله:{ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً * قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى

---

[1]) مرآة الإسلام، طه حسين، ص 43، دار المعارف، مصر، 1959م.
[2]) سورة المائدة، الآية 83.
[3]) سورة الزمر، الآية 23.
[4]) السيرة النبوية، ابن كثير، ت: مصطفى عبد الواحد، ج2، ص 392، دار المعرفة، بيروت، 1976م.

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً }.[1]

وكان الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذا سمِع القرآن دمعت عيناه، فقد ذكر الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود أنّ النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) طلب منه أن يقرأ عليه شيئا من القرآن، فتعجّب ابن مسعود وقال: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك نزل؟ قال: إنّي أحبّ أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النّساء حتّى جئت إلى هذه الآية { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً }(النّساء:آية 41)، قال حسبُك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تدمعان.[2]

فقد أحْدَث القرآن تأثيرا عظيما في أخلاق المسلمين، وممّا يُثبت ذلك المقارنة التي قام بها جعفر بن أبي طالب بين حياة العرب قبل الإسلام وبعده.[3] فصارت طباع النّاس وعقولهم تتغيّر وتتأثّر بالإسلام من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون، وبدأت القلوب العاصية الجاقّة ترقّ وتخشع، وبدأت مبادئ الإسلام وحقائقه تتسرّب إلى أعماق النّفوس.[4]

كما أثّر القرآن في الجانب الفكري والثّقافي لدى العرب، فلم يُعرف في تاريخ البشر أنّ كلاما قارب القرآن في قوّة تأثيره في العقول والقلوب، فهو الذي قلب طِباع الأمّة العربيّة وحوّلها في عقيدتها وتقاليدها...وبدّلها بأمّيتها حكمة وعلما، وبجاهليّتها أدبا رائعا وحِلْما، وألّف من قلوبها المتفرّقة أمّة واحدة، سادت العالم بفضائلها وعدلها وحضارتها وعلومها.[5] قال تعالى:{ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.[6]

3) **<u>أثر القرآن في الحركة الفكريّة عند العرب</u>**:القرآن الكريم كالبحر، منه علوم الأوّلين والآخرين، فمنه تشعّبت أغلب العلوم عند العرب، فـــ" تشعّبت من ألفاظه علم اللغة، ومن

---

[1]) سورة الإسراء، الآية 106 – 109.
[2]) صحيح مسلم، ج6، ص 70، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م. والحديث مرويّ بطرق عدّة عن رواة مختلفين. **ينظر**: سنن الترمذي، ج8، ص 369، دار الكتب العلمية، لبنان، 1994م.
[3]) سيرة ابن هشام، ج2، ص 180، دار المعرفة، مصر، دت. **و ينظر**: المعجزة القرآنية، بغدادي بلقاسم، ص 12، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائري، 1992م.
[4]) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص 177، دار الشهاب، ط5، الجزائر، 1987م.
[5]) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج1، ص 203، ط4، مصر، 1982م.
[6]) سورة الأنفال، الآية 63.

إعراب ألفاظه علم النّحو، ومن وجوه إعرابه علم القراءات، ومن كيفيّة التّصويت بحروفه علم مخارج الحروف (الأصوات)".[1]

ولقد صُنِّفت العلوم التي نشأت من القرآن ولأجل القرآن إلى عدّة أصناف منها[2]:

- مباحث في القرآن: وهي ما يسمّى بعلوم القرآن، والتي تبحث في أسباب النّزول، المكّي والمدني، تفسير القرآن، إعجاز القرآن، غريب القرآن، والقراءات.
- مباحث مُسْتنبطة من القرآن: مثل علم التّوحيد، وأصول الفقه، وتاريخ الأنبياء.
- مباحث في خدمة القرآن: مثل علم النّحو، والصّرف، والبيان، والبديع، والمعاجم، والحديث النبوي.
- مباحث في خلق الحافز القرآني: يشمل كلّ ما تبقّى من الإنتاج في جميع الفروع، وهو مرتبط بالقرآن.

أمّا بالنّسبة للغة العربيّة،[3] فقد أحدث القرآن فيها تأثيرا واضحا، فقد أخرجها من محيطها الضيّق، وأغْناها بكثير من المفردات والأساليب الجديدة، وكان الدّافع لنشأة علومها. بالإضافة إلى أنّ القرآن حفِظ اللغة العربيّة من الاندثار والتغيّر« فاللغة العربيّة لم تتغيّر أصواتها منذ مدّة تزيد على خمسة عشر قرنا، وكذلك صِيَغُها، وأصول موادّها، والذي حفِظ العربيّة من التغيّر هو القرآن الكريم، فلولاه لانتهى الأمر إلى ظهور لُغاتٍ محليّة تتطوّر نحو التّبايُن والاستقلال في الشّام، والعراق، والحجاز، والمغرب ».[4]

كما فتح القرآن للّغة العربيّة « أبوابا من فنون القوْل، فعولِجَتْ فيها أمور لم تكن العربيّة لِتُعْنى بعلاجها من قبل، وذلك كمسائل القوانين والتّشريع، والقَصَص والتّاريخ، والعقائد الدّينيّة ».[5]

أمّا بالنّسبة للأدب والشّعر، فبعدما اقتصرت موضوعات الشّعر الجاهلي على ما يوجد حول العربي من أطلال، وأودية، وجبال، ووحوش، ونوق، حيث كانوا يسْتوحون صُوَرهم الشّعريّة ممّا يوجد أمامهم، جاء القرآن يدعو للنّظر في ملكوت الله الواسع، فصفَتْ قلوبهم،

---

[1]) جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، ت: رشيد رضا القباني، ص 21، دار إحياء العلوم، ط2، بيروت، 1986م.
[2]) **ينظر هذا التّصنيف في**: المعجزة القرآنية، ص 182 – 184.
[3]) أثر القرآن الكريم في اللغة العربيّة، أحمد الباقوري، ص 26، دار المعارف، مصر، دت.
[4]) فقه اللغة و خصائص العربية، محمد المبارك، ص 32، دار الفكر، ط6، بيروت، 1975م.
[5]) فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص 115، دار نهضة مصر، ط6، دت.

وسَمَتْ مداركهم، واتّسعت أمامهم آفاق جديدة استوحوا منها ألفاظهم، و تعابيرهم، وصُوَرهم.[1] فقد كان للقرآن دور هامّ في إنعاش الأدب العربي عموما، والشّعر بصورة خاصّة، "وتحويله إلى أدب هادف شامل لكافة ميادين الحياة. ووجد الشّعراء المسلمون أمامهم آفاقا جديدة نظموا فيها، وأبْدعوا غاية الإبداع...مُسْتنيرين في ذلك إلى حدّ كبير بهَدْي القرآن الكريم، مُسْتعيرين صُوْره وآياته لتوشيح أشعارهم، فدخلت ألفاظ القرآن وصُوره في كلّ أغراضهم الشّعريّة من غزل، ومدح، ورثاء ".[2]

إذاً، فقد كان للقرآن تأثير قويّ على نفوس العرب منذ اللّحظات الأولى لنزوله، وكان تأثيره على نفوس المسلمين أقوى، كما أنّ نزوله « أثار حركة فكريّة عند العرب، ودعاهم إلى الإلتفات إليه، لِما جاء به من جديد في أساليب التّعبير والبيان، فلم يسَعْهُم إزاءه إلاّ التّسليم بروْعته، وانْشغلت به طوائف كثيرة من النّاس، كلٌّ من ناحية اهتمامه، فالمفسّرون يتتبّعون آياته، والفقهاء يسْتخْلِصون منه أصول الشّريعة، واللّغويّون يبحثون في الألفاظ العربية والمُعرَّبة، والنّحويون يسْتَقْصون وجوه الإعراب لآياته، والبلاغيّون يتتبّعون بيانه و بديعه، ورجال الفِكر يلْتقطون ما فيه من إشارات إلى مبادئ ونظريات، والشّعراء والخطباء يقتبسون منه ألفاظه ومعانيه ».[3]

وبالمقابل، كان لشعرائنا نصيبهم من التّأثّر بالقرآن الكريم، فقد أثّر في عقيدتهم، وعقليّتهم، ونفوسهم، وكان للغة العربيّة – تبعا لذلك– انتشارها ورُقِيّها، وكان لها ما للقرآن من قداسة، فهو الذي كان دافعا لتعلّم اللغة العربية. أمّا الشّعراء فقد جرى القرآن على ألسنتهم، فاغترفوا منه أقواله العذبة، ومعانيه الخِصْبة، وحِكَمَهُ الرّائعة، وصارت معانيهم تسير على نهجه في تأليفه وتراكيبه. وقد ظهر تأثّرهم جليّا في اقتباسهم من القرآن الكريم، لأنّ الاقتباس صورة من صُوَر التّأثّر بالقرآن في الشّعر الجزائري، وسنفصّل القول فيه في المبحث الآتي.

---

[1]) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج1، ص 246، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1984م.
[2]) أثر القرآن في الأدب العربي، ابتسام مرهون الصفار، ص 387، دار الرسالة، بغداد، 1974م.
[3]) أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام، ص 29، مكتبة الشباب، مصر، 1982م.

المبحث الثاني: الاقتباس من القرآن في الشعر؛ مفهومه، حُكمه، وأسبابه.

I) مفـهوم الاقــتـبـاس:

1) **لــغــة:** الاقتباس من قبس، والقَبَسُ شُعلة من نار، واقتبس منه نارا أي استفاد. قال تعالى:{ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ } (الحديد:13).

والقبس جذوة من النار تكون على رأس عود أو قصبة أو نحوه فعل بمعنى مفعول كالقبض والنفض، ويقال: قبست منه ناراً، فأقبسني أعطاني منه قبساً، واقتبست منه ناراً، وعلماً أي استفدته. وقال المبرد: أقبست الرجل علما وقبسته ناراً. وقال الكسائي: أقبسته ناراً وعلماً وقبسته أيضاً فيهما.[1]

2) **اصطــلاحا:** هو أن يُضمّن المتكلّم كلامه كلمة أو آية من آيات الكتاب العزيز، وهو ثلاثة أقسام: محمود مقبول، ومباح مبذول، ومردود مرذول.[2] و يُشْترط أن لا يُقال فيه قال الله تعالى ونحوه، فإنّ ذلك لا يكون اقتباسا.[3]

والاقتباس كذلك، هو تضمين الشّعر أو النّثر بعض القرآن، لا على أنّه منه، فلا يدخل في الاقتباس ما قيل قبله قال الله تعالى ونحوه، لأنّه ليس باقتباس، بل هي إحالة.[4]

---

[1]) مفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج2، ص 390، البابي الحلبي، مصر، دت. **وينظر**: مختار الصحاح، ص 331.

[2]) شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي، ت: نسيب نشاوي، ص 326، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت. **وينظر**: معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، ج1، ص 204، دار الشؤون الثقافية، بغداد، دت.

[3]) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج1، ص 11، دار الندوة، بيروت، 1951م.

[4]) مختصر المعاني، سعد الدين التفتزاني ، ص 450، مطبعة عبد الله أفندي، القاهرة، 1307هـ. **وينظر**: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج1، ص 381، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م.

وقد يُسمّى الاقتباس تضمينا، ويُقْتصر فيه على القرآن الكريم، والحديث الشريف، " على أن يُؤخذ معنى الآية والخبر، فيُكْسَى لفظا غير لفظه".[1]

ويُشْتَرَط في المُقْتَبِس من القرآن شروط، وهي: « حفظ كتاب الله تعالى والعلم بتفسيره ليقتبس من معانيه، كذلك يحتاج إلى معرفة العلوم المُخْتصّة به كالعلم بالقراءات السّبع والشّواذ، ومعرفة رجالها...ولِيُدِمْ على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنّه مصباح قلبه».[2]

فالاقتباس هو تلك العمليّة التي يقوم بها الأديب بالانتفاع في إنشاء كلامه بكلام غيره، على تبايُنٍ في طرائق هذا الانتفاع، وفي طبيعة الكلام المُنْتَفَع به، والكلام الذي أفاد منه...وتتمّ هذه العمليّة بين طرفين:

-النصّ الأصلي(المصدر): وهو النصّ الذي يُنْتَزَعُ منه الجزء المُقْتَبَسُ.

-النصّ الفرعي(الهدف): وهو النصّ الذي جرت فيه عمليّة الانتفاع.

وينقسم إلى أقسام منها: اقتباس اللفظ، اقتباس المعنى، اقتباس اللفظ والمعنى معا.[3]

وقد يقع في الاقتباس شيءٌ من التّغيير في النصّ المُقْتَبَس منه، وهو في ذلك يختلف عن التّضمين الذي يُشْتَرَط فيه تمام المُطابقة. لهذا ينقسم الاقتباس إلى نوعين أساسين:

1) الاقتباس النصّي: وهو ما لم يُنْقَل فيه المُقْتَبَسُ عن معناه الأصلي، إلاّ إذا كان فيه تغيير يسير، من ذلك – مثلا– قول الشاعر يوسف الثّغري يمدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويذكر حادثة الإسراء والمعراج:

دنا فَتَدَلَّى قاب قوسيْن وجهة *** وليس دُنُوّاً بالمسافة فاعلم.[4]

فالشّطر الأول من البيت مُقْتَبَسٌ من قول الله تعالى:{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى }.[5]

ومنه أيضا، قول أبي حمّو الثاني متضرّعا إلى ربّه:

مضى العُمر يا حسرتي في الضّلا*** لِ واشْتعل الرّأس منه شيْبا[1]

---

[1]) المثل السائر، ابن الأثير، ت: محمد محيي الدين، ج1، ص 34، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.
[2]) صبح الأعشى، القلقشندي، ج1، ص 234.
[3]) الاقتباس من القرآن الكريم، أبو منصور الثعالبي، ت: ابتسام الصفار- مجاهد مصطفى، مقدمة المحقق، سلسلة الذخائر، مصر، دت.
[4]) زهر البستان، ج2، ورقة 80 ظهر.
[5]) سورة النجم، الآية 8 – 9.

ففي الشّطر الثاني اقتباس نصيّ من قوله تعالى:{ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً }.[2]

2) الاقتباس الإشاري: وهو ما نُقِل فيه النصّ المُقْتَبَسُ عن معناه الأصلي، فيُتصَرَّفُ في لفظه ومعناه، فتختلف دلالته ووظيفته في النصّ الجديد، كقول الشاعر ابن علي الجزائري مُتحدّثا عن حال المحبّ العاشق:

فإذا قَضَى فهُوَ الشّهيدُ كَرَامَة *** وشَهيدُ سَيْفِ الحُبّ حيٌّ يُرْزَقُ.[3]

ففي الشّطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى:{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }.[4] لكن المقصود في هذه الآية الشّهيد الذي مات مجاهدا في سبيل الله، فنقله الشاعر عن هذا المعنى إلى معنى آخر، و سمّى من مات من أجل الحبّ شهيدا.

II) حكم الاقتباس وضوابطه:

تعدّدت مواقف العلماء والفقهاء من قضيّة الاقتباس، فمنهم من حرّمه مُطلقا، ومنهم من قيّده بشروط، ومنهم من أباحه. وحتّى نقف على الحكم الشّرعيّ لعمليّة الاقتباس من القرآن، نُشير إلى أنّ الاقتباس وجهان: اقتباس في الشّعر، واقتباس في النّثر.

1) الاقتباس في الشّعر: يرى بعض الفقهاء أنّ الاقتباس من القرآن في الشّعر لا يجوز مطلقا، لأنّه يجب تنزيه القرآن عن الشّعر وإن حَسُنَ الغرض، ودليلهم في ذلك نزع صفة الشّعر عن القرآن في قوله تعالى:{ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ }.[5] ونزع صفة الشاعر عن الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) في قوله تعالى: { وما عَلّمناهُ الشّعر وما يَنْبَغِي له }.[6] فقد اشتهر عن المالكيّة تحريمه وتشديد النّكير على فاعله.[7]

2) الاقتباس في النّثر: وهو مُباح إذا ما حَسُن الغرض، وشَرُفَ المقصد، وقد وقع في كلام الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) والصّحابة والسّلف الصالح، وقد رغّب فيه بعض العلماء، فمن المستحسن « ألاّ يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم،...فإنّه

---

[1]) أبو حمو الزياني، حاجيات، ص 369.
[2]) سورة مريم، من الآية 4.
[3]) أشعار جزائرية، أبو القاسم سعد الله، ص 68.
[4]) سورة آل عمران، الآية 169.
[5]) سورة الحاقة، الآية41.
[6]) سورة يس، الآية 69.
[7]) الإتقان، ج1، ص 11.

معدن الفصاحة والبلاغة،...على أنّ المتصدّي لحلّ معاني القرآن يحتاج إلى كثرة الدّرس، فإنّه كلّما دِيمَ على درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل ».[1]

من هنا يتّضح أنّ الاقتباس من القرآن مُباح لكن بضوابط، أقلّها ألاّ يكون في الأعمال الماجنة، كالغزل، والهجاء. فما كان في الخُطَب والمواعظ ومدح النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) فهو مقبول. وما كان في القَصَص والغزل العفيف فهو مباح.[2]

III) أسباب الاقتباس في الشّعر الجزائري:

لعلّ من الأسباب التي دفعت الشعراء الجزائريّين للاقتباس من القرآن الكريم؛ البيئة التي ترعرعوا فيها، حيث كانوا يعيشون في بيئة دينيّة مُحافظة. فلمّا فتحوا أعينهم على التعلّم وجدوا أنفسهم في الكتاتيب والزّوايا يتعلّمون اللغة العربيّة ويحفظون القرآن، فاستقامت ألسنتهم على ذلك، حيث تسنّى لهم بعد ذلك الاستشهاد بآياته ترصيعا لكتاباتهم، وتضمينا له في شعرهم. فقد أقبل الجزائريّون على القرآن الكريم، وأصبح همّهم حفظه وتلاوته صباح مساء، فشُغِلوا به عن غيره، وتفرّغوا له « فكان دعاؤهم في المسجد، ونظامهم في البيت، ومنهاجهم في العمل، ودستورهم في الحكم، فسرَى هَدْيُهُ فيهم مَسْرى الرّوح، ونزل وَحْيُه منهم منزلة الطّبع، وأثّر في ألسنتهم و أفئِدتهم، ما لم يُؤثّره كتاب سماويّ آخر في أهله».[3] فاهتمامهم بالقرآن قوّى مادّتهم اللغويّة، ونمّى ثروتهم الفكريّة، وغذّى ملكَتهم البيانيّة.

ولا شكّ أنّ القرآن بما جمع في أسلوبه من ضروب البيان ووجوه الإعجاز، كان من بين الحوافز التي دفعت الشّعراء إلى الاقتباس منه والتّأثر بألفاظه ومعانيه، فاستعانوا بما في القرآن من بديع وضروب الصّناعة اللّفظيّة والبيانيّة.

ولمّا كَثُرَ الشّغب على المسلمين في كلّ مكان بعد سقوط الأندلس، لجأ المسلمون – خصوصا الشّعراء منهم– إلى القرآن الكريم، فهو عزاؤهم الوحيد، واثقين بأنّهم سيجدون فيه ما يُخلّصُهم ويُرْشدهم إلى النّصر. فقد كانت تمرّ الأمّة الجزائريّة– بعد تجرّأ الصّليبيّن على سواحلها– بواقع أليم ومري ر، جعل الشّعراء بحساسيّتهم وعواطفهم يفرّون إلى

---

[1]) المثل السائر، ج1، ص 34.

[2]) أثر القرآن في الشعر الأندلسي، محمد العاني، ص 21، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م.

[3]) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص 60، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1935م.

كتاب الله العزيز، مُسْتمدّين منه بصفته دستور حياتهم، وشفاء نفوسهم واستقرارها وسكينتها، فوجدوا فيه الأمان والطّمأنينة. قال الله تعالى:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً }.[1] و قال أيضا:{ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً }.[2] كما أنّ شعراءنا كانوا يعدّون الاقتباس من القرآن وسيلة من وسائل التقرّب إلى الله تعالى.

ويتبدّى ممّا سبق أنّ الشعراء الجزائريين اهتمّوا بالقرآن لأنّ فيه الدّواء لما يشتكون، وفيه ما يطلبون من الأساليب والبيان الذي يُساعدهم على إثراء لغتهم، ورفع مستوى أساليبهم. فقد تربّى الشّعراء الجزائريّون على القرآن من أوّل يوم، فكان تعاملهم معه يوميّا، وتعلّقت نفوسهم به حتّى أصبح جزءاً هامّا من ثقافتهم، ولغتهم، وتعابيرهم، وأساليبهم، فكانوا يرجعون إليه في كلّ حال، فأصبح الشّاعر الجزائريّ قرآنيّ في سلوكه، قرآنيّ في شعره، يعتمد القرآن كمعين ثريّ يقوّم به سلوكه، وينمّي رصيده اللغوي، ويرفع من أسلوبه الأدبي.

لهذا كان اهتمام شعرائنا بالقرآن واعتنائهم به، سببا في طبع أساليبهم بطابع القوّة والمتانة، وأكْسَبَها جزالة في التّعبير وأسْراً في التّركيب. وقد تمثّل كلّه في تأثّرهم بالقرآن في أشعارهم واقتباسهم منه.

وسنرى وجوه التّأثّر بالقرآن الكريم لدى شعرائنا في المباحث التالية، من حيث التّأثر بألفاظ القرآن الكريم، وآياته، وفواصله. ثم التأثّر بأسلوبه، وطرق تصويره، ومعانيه.

---

[1]) سورة الإسراء، الآية 82.
[2]) سورة الإسراء، الآية 9.

المبحث الثالث: أثر الألفاظ القرآنية في الشّعر الجزائري.

يُعتبر القرآن الكريم مصدرا هامّا للأدباء والشعراء يغترفون منه ألفاظهم التي يستخدمونها في التعبير عن أفكارهم، وآرائهم، وعواطفهم.« فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء، في أحكامهم وحِكَمهم، وإليها مفزع حُذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها، والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها، كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة».[1]

وبما أن ثقافة الشاعر الجزائري كانت دينيّة محضة، وعربية خالصة، وكان على احتكاك دائم بالقرآن الكريم، كان لا بدّ لهذا المخزون المعرفي أن يؤثّر في ألفاظه التي يستخدمها في تعابيره، لأنّ « السلوك اللغوي الآلي، ينمّ عن وجود بقايا من القواعد التي تعلّمناها وحفظناها، حتّى أصبحت فينا عادات راسخة».[2]

وقبل معرفة مدى تأثّر الشعر الجزائري بألفاظ القرآن الكريم، لا بأس بالتطرّق – وباختصار شديد– إلى اللفظة العربية من حيث سماتها وأهميّتها، ثم اللفظة القرآنية من حيث خصائصها.

لقد تعدّدت الدّراسات، واختلفت الآراء حول أهميّة اللفظة في اللغة العربيّة، وعلاقتها بالمعنى،[3] وأيّهما يجب الاعتناء به من طرف الأدباء والشّعراء. فالجاحظ–مثلا– يذهب إلى أنّ حسن اختيار اللفظ هو الأساس في تأدية المعنى« فالمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي...وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج»[4]

---

[1]) مفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت:محمد سيد الكيلاني، ج1، ص 6.

[2]) محاضرات في علم النفس اللغوي، حنفي بن عيسى، ص 219، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.

[3]) يفضل الدكتور:محمد مرتاض تسمية اللفظ بالدال، والمعنى بالمدلول، وقد تحدّث عن قضية اللفظ والمعنى عند القدامى بشيء من التفصيل .**ينظر كتابه**: (النقد الأدبي القديم في المغرب العربي: نشأته وتطوره،ص 18 إلى 23، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م).

[4]) الحيوان، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، ج3، ص 131، القاهرة، 1938م.

وإلى مثل هذا ذهب "ابن جنّي"(ت:392هـ) حين قال:« اعلم أنّه لمّا كانت الألفاظ للمعاني أزِمَّة، وعليها أدِلَّة، وإليها موصِلةٌ، وعلى المراد منها مُحصِّلة، عَنِيَت العرب بها، فأوْلتْها صدراً صالحا من تثقيفها وإصلاحها».[1]

لهذا يؤدّي اختلال اللّفظ إلى فساد المعنى، لما للّفظ من دور أساس في تأدية المعنى«فاللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوّته، فإذا سلِم المعنى واختلّ بعض اللفظ، كان نُقْصاً للشّعر وهُجْنة فيه».[2]

ويرى القلقشندي أنّ لتزيين الألفاظ وتحسينها دور هام في تأدية المعنى الصحيح الذي يؤثّر في النّفس، حيث أنّه « لما كانت الألفاظ عنوان للمعاني...أصلحوها، وزيّنوها، وبالغوا في تحسينها، ليكون ذلك أوقع لها في النّفس، وأذهب بها للدّلالة على القصد».[3]

فللّفظ أهميّة كبرى في إظهار المعنى بمظهر حسن، لأنّ « للمعاني ألفاظ تُشاكلها، فتَحسُنُ فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حُسنا في بعض المعرض دون بعض...».[4]

هذا عن اللفظ في كلام البشر، فماذا عن اللّفظ في القرآن الكريم؟

إنّ اللّفظ القرآني هو أحد وجوه الإعجاز فيه« فالقرآن أصبح مُعجزاً لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التّأليف، متضمّنا أصحّ المعاني».[5] وتتميّز ألفاظ القرآن في التّركيب بتلاؤمها مع بعضها، فكلّ لفظة في موضعها المحدّد لا يمكن تغييره« فكتاب الله لوْ نزعتَ منه لفظة، ثمّ أُدِيرَ لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد».[6]

فاللّفظ القرآني يُستعمل في مكانه المناسب« ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر الجوع إلاّ في موضع العقاب، وفي موضع الفقر المدقع...وكذلك المطر، فلا تجد القرآن يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام».[7] كما يمكن للفظ القرآني الواحد أن يحمل عدّة معان، فقد تتصرّف اللفظة في القرآن إلى عدّة أوجه، وذلك لا يوجد في كلام البشر.[8]

---

[1]) الخصائص، ابن جني، ت: محمد علي النجار، ج1، ص 321.
[2]) العمدة، ابن رشيق المسيلي القيرواني، ت: محمد محيي الدين عد الحميد، ج1، ص 124، دار الجيل، بيروت، 1972م.
[3]) صبح الأعشى، ت: يوسف علي الطويل، ج2، ص 203.
[4]) عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، ت: طه الحاجري- محمد زغلول سلام، ص 8، المكتبة التجارية، القاهرة، 1965م.
[5]) المعجزة القرآنية،بغدادي بلقاسم، ص 251.
[6]) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج2، ص 119، دار الندوة، بيروت، 1951م.
[7]) البيان والتبيين، الجاحظ، ت:فوزي عطوي، ج1، ص 26، دار صعب للطباعة، بيروت، 1968م.
[8]) البرهان في علوم القرآن،بدر الدين الزركشي،ت:محمد إبراهيم، ج1، ص 102، دار المعرفة، بيروت، دت.

لهذه الخصائص وغيرها،[1] وقف الشاعر الجزائري منبهرا أمام إعجاز الألفاظ القرآنية، متأثّرا بسماتها وخصائصها، فوظّفها في أشعاره.

وسنحاول معرفة مدى هذا التّأثير، وانعكاس ذلك على مقدرة الشاعر الجزائري في توظيف اللفظ في القرآني في أدائه الشّعري.

وقد تجلّى التّأثّر بالألفاظ القرآنية في الشّعر الجزائري في الأوجه التالية:

1) أسماء الله الحسنى:قال تعالى:{ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}.[2] فلقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يتوجّهوا بدعائهم إليه بأسمائه الحسنى، تقرّبا إليه، لأنّ أسماءه هي أحسن الأسماء وأجلّها، لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها.[3] والمعروف أنّ لله تسعا وتسعين اسما، ذُكِر بعضها في القرآن الكريم.[4]

فمن أسماء الله التي تناولها الشاعر الجزائري في شعره، لفظ الجلالة (الله)، وهو اسم اختُصّ به الباري عزّ وجلّ، قيل أنّ أصله لفظة (إله)، فحُذِفت همزته، وأُدخل عليها الألف واللام.[5]

وقد استُعمِل لفظ (الله) في الشّعر الجاهلي،[6] ليس تأثّرا بالقرآن الكريم، إنّما تأثّراً بما جاء في الكتب السّماوية كالتّوراة، والإنجيل، فإنّ بعض الشعراء الجاهليين كان على إطّلاع بما فيها.

أمّا الشاعر الجزائري، فقد استعمل لفظ (الله) تأثّراً بما في جاء في القرآن، في قوله تعالى:{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}.[7]

من ذلك قول الشاعر محمد بن أبي زيد التلمساني في قصيدة له في الزهد:

اللهَ قُلْ ودَعِ الوجود وما حَوَى *** إنْ كنْتَ مرتاداً بلُوغ الكمالِ[8]

وفي قول الشاعر ضيف الله بن أبّ المزّمري(ت:1160هـ):

---

[1]) لمزيد من التفصيل في خصائص اللفظة القرآنية، **ينظر**: مجلة التراث العربي، مقالة بعنوان: بذور الدراسة الدلالية لألفاظ القرآن الكريم، د. سعد الكردي، العدد 66 - السنة 17 ، يناير 1997 م.

[2]) سورة الأعراف: آية 180.

[3]) تفسير القرآن الكريم، أبو السعود العمادي، ج3، ص 237، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

[4]) تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج3، ص 464، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

[5]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 21.

[6]) **على سبيل المثال، قول زهير بن أبي سُلمى**: بدا لي أن الله حقّ فزادني***إلى الحق تقوى الله ما قد بدا ليا . **ينظر**:(خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج2، ص 720).

[7]) سورة طه: آية 14.

[8]) تعريف الخلف برجال السالف، الحفناوي، ج2، ص 168.

الله ربّي لا إلٰه سِواه*** ما خَاب مُضْطرّ دعا موْلاه[1]

كما جاء لفظ الله مقترنا بكلمة (الحمد)، وذلك في قول الشاعر أحمد الزواوي(ت:884هـ) في قصيدة له في الزهد:

الحمد لله وهو الواحد الأزليّ *** سبحانه جَلَّ عن شِبْه وعن مثل[2]

ومن أسماء الله (الرحمن)، قال تعالى:{ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأسْمَاء الحُسْنَى}.[3] والذي نجده في قول الشاعر سعيد قدورة(ت:1066هـ) وهو يرثي شيخه آبهلول المجاجي(ت:1002هـ):

ففي طاعة الرّحمن أنْفقَ عُمره *** فلله من شيْخٍ زكيٍّ الشمائلِ[4]

وفي قول الشاعر ابن سحنون يمدح الباي الكبير:

وسعَيْتَ لِلرحمن سعْياً صادقاً *** فجزاك عنه بخير عُقْبى الدّار[5]

وقد يأتي هذا اللفظ مقترنا بلفظ (الرحيم)، كما في قوله تعالى:{الرحمن الرحيم}.[6] حيث نجده عند الشاعر ابن خلوف القسنطيني(ت:899هـ)، في قصيدة توجّه فيها إلى الله بالدّعاء راجيا منه أن يشفيه من مرض أصابه:

ولا تَدَع السُّعال يهُدّ جسمي *** وكيف وأنت رحمان رحيم[7]

كما نجد الأديب ابن علي الجزائري يستعمل لفظ (الرحيم) في قوله يتضرّع إلى الله:

أنت الرّؤوف الرّحيم *** أنت اللطيف الحليم[8]

وقد كَثُرَ استعمال أسماء الله في الشعر الجزائري، لكثرة جريانها على ألسنتهم، خصوصا حين يكون الشاعر متوجّها إلى الله بالدّعاء والاستغفار، من ذلك لفظ (الملك) في قول الشيخ آبهلول المجاجي يصف الزهد والزّهاد:

من المِلِكِ الحقّ المبين مقامهم *** مكينٌ عليٌّ قد تجلّى عن الدّوس[1]

---

[1]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 310.
[2]) تعريف الخلف، الحفناوي، ج1، ص 39.
[3]) سورة الإسراء: آية 110.
[4]) المصدر السابق، ج2، ص 281.
[5]) الثغر الجماني، ابن سحنون، ص 459.
[6]) سورة الفاتحة: آية 2.
[7]) شعر الفقهاء في المغرب العربي، ص 77، أطروحة دكتوراه دولة من إعداد: أ. محمد مرتاض، جامعة تلمسان، 1994م.
[8]) إرشاد الحائر، ج2، ص 458.

ولفظة (مالك الملك) في قول ابن مرزوق الخطيب التلمساني(ت:781هـ):

أيا مالك الملك يا عُدّتي *** ويا كاشف ما حلَّ بي من سقَمِ[2]

ولفظة (الكريم) في قول الشاعر ابن خلوف مستغيثا بربّه:

أيا غَوْث الفقير أجِبْ فإنّي *** دعوتك بافتقار يا كريمُ[3]

وفي قول الشاعر أحمد ابن سحنون يمدح الباي الكبير:

فالحمد لله الكريم فإنّما *** من فضله ما نِلْتَ من أسرار[4]

ولفظ (السلام) في قول ابن خلوف يمدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

وهل يَفِي بالمدحِ فيك امرؤ *** من بعد ما أثنى عليك السّلام[5]

وقد أكثر شعراؤنا من استعمال الألفاظ القرآنية الدالة على أسماء الله الحسنى في كل قصيدة من قصائدهم، بل في كل بيت من أبيات أشعارهم، حيث لا يمكن حصرها كلها، لذا اكتفينا بهذه النماذج على سبيل التمثيل فقط.

2) أسماء القرآن: ومن بين الألفاظ القرآنية التي كَثُرَ استعمالها في الشعر الجزائري، ألفاظ دالّة على أسماء القرآن، منها لفظة(القرآن)، والتي تدلّ على الكتاب المنزّل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وهي لفظة إسلاميّة استُعْمِلت فيها مادة (قرأ)، قال الله تعالى: { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}.[6] أي قراءته. قال تعالى:{ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً}.[7] وللقرآن أسماء كثيرة، منها ما جاء دالاً على اسم، ومنها ما جاء دالاً على صفة. فمثلا قوله تعالى{ وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ}[8]، دلّت فيها لفظة (كتاب) على اسم من أسماء القرآن، أمّا لفظة (عزيز) فتدلّ على صفته.

---

[1]) تعريف الخلف، ج2، ص 285.
[2]) إرشاد الحائر، ج1، ص 280.
[3]) شعر الفقهاء، د.مرتاض، ص 77.
[4]) الثغر الجماني، ص 459.
[5]) إرشاد الحائر، ج1، ص 365.
[6]) سورة القيامة: آية 17- 18.
[7]) سورة الإسراء: آية 45.
[8]) سورة فصلت: آية 41.

وقد استعمل الشاعر الجزائري لفظة (القرآن) في معناها القرآني في عدّة مواضع منها:

قول الشاعر أبو عبد الله محمد القلعي الجزائري(ت:669هـ)، وهو يتحدّث عن يوم القيامة:

..وذلك في القرآن أوْضَحُ حجّة *** وما ثَمَّ إلاّ جنّة أو جهنّم[1]

وفي قول الشاعر محمد بن يوسف الثغري، حين تحدّث عن معجزات الرسول(ص):

وكم لرسول الله من آيةٍ سَمَتْ *** على الألْفِ والقرآن آيته الكُبْرى[2]

وفي قول الشاعر أبي محمد عبد المؤمن المديوني، الذي تحدث المعجزات[3] التي حصلت حين بعثة الرسول(ص)، منها سقوط أصنام قيصر على أذقانها:

وتنكّست أصنام قيصر كلّها *** من حينها وسقطت على الأذقان

فكأنّما قُرئت عليـــها آيـــة *** وجب عليها السّجود من القرآن[4]

وفي قول الشاعر عمر بن يعلى الحسني، وهو يتحدّث عن أخلاق الرسول (ص)، مُشيراً إلى قوله تعالى:{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.[5]

باللّين بالرِّفْق بالتّمهيد عن خُلُقٍ *** موصوفة الخَلْق في القرآن بالعِظَمِ[6]

ومن بين أسماء القرآن التي استعملها شعراؤنا، لفظة (الكتاب)، والذي هو اسم يدلّ على القرآن الكريم، سواء قُرِنَ بلفظ الجلالة كقولنا(كتاب الله)، أو جاء منفردا في قول الله تعالى:{ الم *ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}.[7] وفي قوله تعالى:{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}[8].

وقد استعمل الشاعر الجزائري لفظة (الكتاب) بمعناها القرآني في عدّة مواضع منها: قول الشاعر محمد الثغري في مدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

---

[1]) عنوان الدراية، ص 95.
[2]) تاريخ بني زيان، ص 215.
[3]) عن الإرهاصات التي سبقت مولد الرسول(ص)، وما صاحبها من حوادث **ينظر**:(البداية والنهاية،إسماعيل ابن كثير، ج3، ص 41، مكتبة المعارف، بيروت، دت).
[4]) زهر البستان، ورقة 18 ظهر.
[5]) سورة ن: آية 4.
[6]) المصدر السابق، ورقة 42 وجه.
[7]) سورة البقرة: آية 1- 2.
[8]) سورة الكهف: آية 1.

ماذا عسى يُثني عليه مُقَصِّرٌ *** وبمدحه نزل الكتاب الحكيم[1]

وقول السلطان أبي زيان الثاني(ت:801هـ) في نفس المعنى:

مَدَحَتْكَ آياتُ الكتابِ وبشّرَتْ *** بقدومك التّوراة والإنجيل[2]

وفي قول الشاعر إبراهيم الفجيجي[3]، وهو يتحدّث عن فوائد الصّيد:

..فأوّلها كسْبُ الحلال أتَتْ به *** نصوص كتاب الله وهي قواطع[4]

ومن بين أسماء القرآن التي استعملها الشاعر الجزائري لفظة(الذّكر)، فقد وردت بمعنى القرآن في قوله تعالى:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[5] ردّا على تسميّة المشركين للقرآن بالذّكر في الآية التي سبقتها، في قوله تعالى:{ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}.....[6].

وقد استعملت لفظ (الذكر) بمعناها القرآني الذي يدلّ على القرآن في الشعر الجزائري، في المواضع التالية:

في قول الشاعر محمد الثغري وهو يمدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

يا خاتم الرّسل الكرام وخير مَنْ *** يبدأ به الذّكر الحكيم ويختم[7]

و وردت في قول الرحالة ابن عمار الجزائري، وهو يصف شيخه ابن علي بالعلم وقدرته على تأويل ما جاء في القرآن:

ومُفسِّرُ الذّكر الحكيم ومُظْهِر التـــ *** تأويل والممنوح فهم بيانه[8]

وفي قول الشاعر القوجيلي(ت:1080هـ) ذاكرا مناقب الأنصار التي جاءت في القرآن:

يكفيك أنّ لهم في الذّكر منقبة *** أنصار خير الورى الهادي إلى الرّشد[9]

---

[1]) تاريخ بني زيان، ص 170.
[2]) نفس المصدر، ص 223.
[3]) هو إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي (الفقيقي)، من علماء القرن العاشر الهجري، ولم أعثر على سنة وفاته.**ينظر**: إرشاد الحائر،ج1، ص364.
[4]) الثغر الجماني، ص 373.
[5]) سورة الحجر: آية 9.
[6]) سورة الحجر: آية 6.
[7]) تاريخ بني زيان، ص 170.
[8]) أشعار جزائرية، أبو القاسم سعد الله، ص 45.
[9]) المرجع نفسه، ص 116.

ومن بين أسماء القرآن لفظة (الوحي)، والتي وردت في القرآن بعدّة معان، منها:

- الإشارة: في قوله تعالى:{ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً}.[1]

- الإلهام: في قوله تعالى:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ}.[2]

كما وردت لفظة (الوحي) بمعنى القرآن، في قوله تعالى"{ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ}.[3] فالوحي هو الإدراك الضمنيّ لأمر من الأمور دون أن يُذكر صراحة في كلام واضح. والوحي هو إعلام الله تعالى رسولا من رُسُلِه...بطريقة خفيّة سريعة ما يشاء من كلام أو معنى.[4] وقد استعمل شعراؤنا لفظة (الوحي) بمعنى (القرآن) في قول الشاعر محمد الثغري، وهو يتحدّث عن مكّة مهبط الوحي:

..مُتَنَزَّلُ الوحي الذي يُتْلى فلا *** سَمْعٌ يملّ ولا لسان يَسْأم[5]

وفي قوله أيضا يمدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه *** فبالغ في تبليغه للورى[6]

وفي مدح السلطان أبي زيان الثاني للرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

يا خير مَن أهدى الهدى وأجَلّ مَن *** أثنى عليه الوحي والتّنزيل[7]

وفي ذكر الشاعر عمر بن يعلى معجزات الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

..والوحي أعظم إعجاز به اتّضَحَتْ *** شمس الهُدى لِذوي الأفْهام والهِمَم[8]

وفي قول الشاعر عبد المؤمن المديوني في نفس المعنى:

..وأتى بوحيٍ صادقٍ من ربّه *** ودعا إلى الإسلام والإيمان[9]

---

[1]) سورة مريم: آية 11.
[2]) سورة القصص: آية 7.
[3]) سورة الأنبياء: آية 45.
[4]) التعبير الفني في القرآن الكريم، بكري أمين، ص 10، دار العلم للملايين، ط6، لبنان، 2001م./ **وينظر**: القرآن الكريم والدراسات الأدبية، نور الدين عتر، ص 22، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، سوريا، 1989م.
[5]) تاريخ بني زيان، ص 170.
[6]) المصدر نفسه، ص 215.
[7]) المصدر نفسه، ص 223.
[8]) زهر البستان، ورقة 42 وجه.
[9]) زهر البستان، ورقة 18 ظهر.

كما استعمل الشاعر الجزائري لفظة (التّنزيل)،التي تدلّ على القرآن في قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ}[1].وذلك في قول المنداسي مادحا الرسول(ص):

فظلّتْ محجّته البيضاء تُرْشدنا *** وللمواعيظ في التّنزيل تحذير[2]

وفي قول السلطان أبي زيان الثاني يمدح الرسول (ص):

يا خيرَ مَنْ أهْدى الهدى وأجلّ من *** أثنى عليه الوحي والتّنزيل[3]

كما وردت ألفاظ أخرى تدل على صفات القرآن، كالنور والبرهان في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً }.[4] وذلك في قول الثغري يصف القرآن:

..وليس حديثاً حاش الله مُفْتَرَى *** ولكنّه وحيٌ من الله مُحْكَـــمُ

هو النّور والبرهان والحجّة التي *** بها حُلّل الدين الحنفي تُرْقَمَ[5]

وفي قول عبد المؤمن المديوني يمدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

الهاشميّ الأوفى الكريم المُجْتَبَى *** مَن جاء بالنّور والبرهان[6]

3) أسماء سور القرآن: السورة لغة؛ المنزلة الرفيعة، وسُمِّيَت سُوَر القرآن بذلك لشرفها وارتفاعها.قال تعالى:{ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ}.[7]

فالسّورة هي قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات.[8]

وقد وردت بعض أسماء القرآن في الشعر الجزائري، كقول الشاعر عفيف الدين التلمساني(ت:690هـــ)،[9] في حديثه عن الحضرة الصوفية:

..دُعُوا إلى باب علوة كرما *** وجهها بالجمال يحتجبُ

فقدّموا سجدة وهم زُمر *** لغافر سبّح اسمه الأدب[1]

---

[1]) سورة الشعراء: آية 192.
[2]) ديوان المنداسي، ص 68.
[3]) تاريخ بني زيان، 223.
[4]) سورة النساء: آية 174.
[5]) أبو حمو موسى، حاجيات، ص 168.
[6]) زهر البستان، ورقة 18 ظهر.
[7]) سورة البقرة: آية 23.
[8]) القرآن الكريم والدراسات الأدبية، ص 36.
[9]) هو أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن عبد الله الكومي التلمساني، ولد بين سنتي (610- 630هـ)، كان شاعرا مجيدا ذا توجّه صوفي، ارتحل إلى دمشق وتوفي بها سنة 690هـ. **ينظر**: العفيف التلمساني، د.عمر موسى، ص 12، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982م.

فقد استعمل الشاعر لفظة (سجدة) التي تدل على اسم سورة من سور القرآن، وفي نفس الوقت قصد بها عملية السجود لله تعالى، ونفس الأمر بالنسبة للألفاظ الأخرى.

كما استعمل لفظة (الإخلاص) التي تدل على اسم سورة في القرآن، في قوله:

علّمتْنِي سورة الإخلاص فيكِ فلِمَ *** لا كان ينفعني من سِحْرِك السُّوَرُ[2]

4) أسماء الرسول وصفاته: لقد سمّى الله سبحانه وتعالى رسوله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعدّة أسماء في القرآن الكريم، وحلاّه بعدّة صفات، تكريما له ورفعاً من شأنه. من هذه الأسماء: (محمد)، و(أحمد).

فقد خصّ الله نبيّه باسم (محمد) في قوله تعالى:{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ }.[3]{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ }.[4] وسمّي محمّداً لأنّ خصاله الحميدة قد كَثُرَت، فهو محمّد في الأرض والسّماء.

أمّا لفظ (أحمد) فهو إشارة إلى النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) باسمه وفعله، وقد أطلق في القرآن خاصّة فيما بُشِّرَ به عيسى (عليه السلام) في قوله تعالى:{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.[5]

وقد استعمل الشاعر الجزائري هاتين اللفظتين للدلالة على اسم الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، من ذلك قول الشاعر التّغري يمدح الرسول(ص):

هو أحمد ومحمد والمُجْتَبَى *** والمصطفى والمدح لا يتناهى[6]

ومن ذلك أيضا، قول الأديب يحي بن خلدون يمدح الرسول(ص):

محمد المبعوث للخلق رحمة *** له من المفاخر لا غَرْوَ أعلاها[7]

ومنه قول السلطان أبي حمو الثاني(ت:791هـ) متشوّقا إلى البقاع المقدّسة:

---

[1]) ديوان عفيف الدين التلمساني، ت: العربي دحو، ص 10، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
[2]) المصدر نفسه، ص 101.
[3]) سورة محمد: آية 29.
[4]) سورة آل عمران: آية 144.
[5]) سورة الصف، آية 6.
[6]) تاريخ بني زيان، ص 210.
[7]) زهر البستان، ورقة 88 وجه.

فيا ليت شعري هل أزور محمّدا *** وأمْنَحُ ما أهواه من منزل الوحي[1]

وقوله أيضا في التشفّع بالرسول (ص):

بحُرمة أحمد خير الورى *** رجائي وظنّي به لن يخيبا[2]

ومن ذلك قول المنداسي يمدح الرسول(ص):

محمد خير خلق الله طُرّاً *** ودرّة كونه العَلَـــم المبين

..دعا لله أحمد فاستجابت *** كِرام الهدى وأبى الضّنين[3]

كما استعمل الشاعر الجزائري ألفاظا أخرى للدلالة على صفات وُصِف بها الرسول(ص) في القرآن، كلفظتا (بشير ونذير) في قوله تعالى:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.[4]

وقوله تعالى:{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}.[5]

من ذلك ما نجده في قول الشاعر الثغري واصفا لرسول الله (ص):

بشير نذير بين كتفيه خاتم *** به ختم الله الرّسائل والنّذرا[6]

ومن صفات الرسول(ص)، نجد لفظة (الرحمة) في قوله تعالى:{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}.[7] وقد وردت في قول الشاعر يحي بن خلدون:

محمد المبعوث للخلق رحمة *** له من المفاخر لا غَرْوَ أعلاها[8]

وكذلك في قول السلطان أبي حمو الثاني:

نبيّ أتى رحمة للعباد *** فمحا ومحّص عنّا الدّنوبا[9]

ومن الألفاظ الدّالة على الرسول(ص) لفظ (النبيّ)،كما في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً}.[10] وفي قوله تعالى:{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

---

[1]) أبو حمو، حاجيات، ص 369.
[2]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3]) ديوان المنداسي، ص 59.
[4]) سورة سبأ: آية 28.
[5]) سورة فاطر: آية 24.
[6]) تاريخ بني زيان، ص 215.
[7]) سورة الأنبياء: آية 107.
[8]) زهر البستان، ورقة 88 وجه.
[9]) أبو حمو، حاجيات، ص 369.
[10]) سورة الأحزاب: آية 45.

مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ}.[1] وقد وردت هذه اللفظة في الشعر الجزائري، في قول الشاعر الثغري، وهو يمدح الرسول(ص):

نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه *** فبالغ في تبليغه للورى[2]

وفي قول الشاعر أبو الحسن علي بن العطار:[3]

نبيّ مصطفى هادٍ شفيع *** بمولده السّعيد لقد سَعِدْنا[4]

وفي وقول السلطان أبي حمو الثاني:

نبيٌّ أتى والكفــر بــادٍ ضلاله *** فأهدى الهدى للخلق يا حُسْن ما أهدى[5]

ومن الألفاظ التي وُصِف بها الرسول(ص) في القرآن لفظ (المزّمّل)، في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}.[6] وهو اسم خوطب به الرسول(ص) إكراما له وتشريفا حين كان متزمّلا في ثوبه بعد عودته من غار حراء.[7] وقد قصد الله من مخاطبة رسوله بهذا الاسم ملاطفته، لأنه سبحانه وتعالى ترك المعاتبة، و سمّى نبيّه باسم مشتقّ من حالته التي كان عليها.[8] وقد ورد هذا اللفظ في قول المنداسي وهو يمدح الرسول(ص):

..عين الوجود المزمّل الذي ظهرت *** من غُرّته قبل بعثته تباشير[9]

5) ألفاظ تدل على الإسلام والإيمان:من الألفاظ التي تدلّ على الدين الذي جاء به محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومَن سبقه من الرّسُل والأنبياء، لفظ (الإسلام).

والإسلام معناه الدّخول في السِّلْم، ومعناه الانقياد إلى الحقّ والإذعان له. ثمّ أُطْلِقَ هذا اللّفظ على الدّين الذي بُعِث به محمد(ص).قال تعالى:{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}.[10]

ودين الإسلام هو دين الله منذ الأزل إلى الأبد، فهو دين آدم (عليه السلام)، ودين نوح (عليه السلام) الذي خاطب قومه في قول الله تعالى:{ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ

---

[1]) سورة الأعراف: آية 156.
[2]) تاريخ بني زيان، ص 215.
[3]) كان شاعرا في بلاط السلطان أبي حمو الثاني، ولم أعثر على سنة وفاته.
[4]) زهر البستان، ورقة 35 ظهر.
[5]) أبو حمو، حاجيات، ص 381.
[6]) سورة المزمل: آية 1.
[7]) عن حادثة نزول الوحي وما تبعها من أمور، **ينظر**: البداية والنهاية، ج3، ص 132 و ما بعدها.
[8]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 215.
[9]) ديوان المنداسي، ص 68.
[10]) سورة آل عمران: آية 19.

عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.[1] ودين إبراهيم (عليه السلام)، في قوله تعالى:{ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.[2] ودين كل الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله للبشريّة، فلم يَدْعُ نبيّ سبق إلاّ إلى الإسلام.[3]

وقد ورد هذا اللّفظ بمعناه القرآني في الشعر الجزائري، في قول الشاعر عبد المؤمن المديوني، في قصيدة يمدح بها الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

فهو الرسول إلى الخلائق كلّهم *** وهو الدّليل إلى جنّة الرّضوان

..وأتى بوحي صادقٍ من ربّه *** ودعا إلى الإسلام والإيمان[4]

كما ورد في قول المنداسي في مدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

رسولٌ مُجْتبى برٌّ رحيمٌ *** صديق منتقى صِدقٌ مكين

إلى الإسلام يدعو سهلا *** كما تدعو أعضاء الوكون[5]

وفي قوله أيضا يهجو الأتراك:

..فما قام شعبانُ شعبانَ ليلة *** ولا صام في الإسلام رمضانُ رمضانا[6]

وفي قول الأديب عبد الرحمن الجامعي يمدح الداي بكداش وجنده:

جيوش بها الإسلام عَزَّ مناله *** فأصبح دين الله مُبْتسم الثّغر[7]

ومن الألفاظ القرآنية الدّالة على الإسلام (الهدى)، فقد كان هذا اللفظ يُسْتعمل في الجاهليّة بغير الدّلالة التي شاعت في عصر الإسلام، ففي اللغة يُقال: هديْتُ فلانا الطّريق، أي تقدّمته لأرشدَهُ.[8] ومن هذا أُخِذَ المعنى القرآني لتدلّ كلمة الهدى على الإسلام، والإيمان والإيمان و طريق الحق.قال تعالى:{ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ

---

[1]) سورة يونس: آية 72.
[2]) سورة البقرة: آية 131.
[3]) ينظر: سورة يونس: الآيات 58- 84- 101.
[4]) زهر البستان، ورقة 18 ظهر.
[5]) ديوان المنداسي، ص 59.
[6]) الثغر الجماني، ص 56.
[7]) التحفة المرضية، ص 282.
[8]) مختار الصّحاح، الرازي، ص 473.

أنتُمْ صَامِتُونَ}.[1] وقال تعالى:{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.[2]

فقد وردت لفظة (الهدى) في قول السلطان أبي زيان الثاني، يمدح الرسول(ص):

يا خيرَ مَنْ أهْدى الهُدى وأجلّ مَنْ *** أثنى عليه الوحي والتّنزيل[3]

وفي قول السلطان أبي حمو الثاني، يتوسّل بشفاعة الرسول(ص):

وما أرْتَجِي إلاّ شفاعة خير مَنْ *** أتى بالهُدى والدّين الحنيفي[4]

ومن الألفاظ القرآنية كذلك، لفظ (الجهاد)، وهو لفظ إسلاميّ صرف، ويعني استفراغ الجُهد والوُسْع في مُدافعة العدوّ.[5] ومُقاتلة الكُفّار لنصرة دين الله ورسوله.

قال تعالى:{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}.[6] وقال تعالى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}.[7]

فلفظة الجهاد بمفهومها القرآني، احتلّت مكانا بارزا في الشّعر الجزائري، حيث جاءت الآيات التي تتكلّم عن الجهاد حافزا للمؤمنين على بذل النّفس والمال في سبيل الله. قال الله تعالى:{ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً}.[8]

فقد شكّلت هذه الآيات وغيرها، المصدر الأول للشعراء في تحفيز الشعب الجزائري للاستجابة لنداء الجهاد ضدّ الإسبان، بعد احتلالهم لشواطئنا وسواحلنا في القرن التاسع الهجري. فنجد الشاعر ابن سحنون يحثّ باي وهران محمد الكبير على مهاجمة الإسبان المتمركزين في المرسى الكبير، ويذكّره بالجهاد قائلا:

ألا تذكروا أمر الجهاد فإنّه *** به ملّة الإسلام صحَّ سقيمها[9]

---

[1]) سورة الأعراف: آية 194.
[2]) سورة التوبة: آية 33.
[3]) تاريخ بني زيان، ص 223.
[4]) أبو حمو، حاجيات، ص 345.
[5]) مفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج1، ص 101.
[6]) سورة الحج: آية 78.
[7]) سورة الحجرات: آية 15.
[8]) سورة النساء: آية 95.
[9]) الثغر الجماني، ص 162.

وللأديب عبد الرحمن الجامعي قصيدة يمدح فيها الداي بكداش وجنوده قائلا:

فما شغلهم إلاّ الجهاد جزاهم *** إله الورى خيراً يفوق على الحصر[1]

6) ألفاظ تدلّ على الكفر والضّلال: حينما تحدّث الله عن الكفار الذين كذّبوا محمدا (ص)، وصفهم بعدّة صفات، وسمّاهم بعدّة أسماء، منها لفظة (الكفر)، والتي تعني في اللغة: التّغطية.

قال لبيد:

يعلو طريقة متْنِها مُتواترٌ *** في ليلةٍ كَفَرَ النّجوم غمامها.[2]

أي في ليلة غطّت الغيوم نجوم السّماء.

والكفر: جحود النّعمة. ثمّ استُعمِل اللّفظ للدّلالة على الكافر بنعمة الإسلام والإيمان، وغطّى ما يجب إظهاره من دين الله. فسُمّي فعله كفر.[3] قال تعالى:{ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.[4]وقال تعالى:{ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}.[5] فكلّ قول، أو فعل، أو اعتقاد ينافي الإيمان يسمّى كفراً، وقد يكون بالقلب أو أو الجوراح.[6]

وقد وردت لفظة (الكفر) بهذا المعنى في قول الشاعر محمد التواتي، حين تحدّث عن انتصار المسلمين على الإسبان، والذين وصفهم بالكفر قائلا:

فإنّ لهم بالطّعن والضّرب خِبرة*** وكمْ فتكوا بالكُفْرِ أكبر فتكة.[7]

وفي قول الشاعر القوجيلي الذي يرى أنّ بغض الصّحابة يؤدّي إلى الكفر:

لم أقصد الغزل في هيْفاء ناعمة *** حسناء ترْفُلُ في أثوابها الجُدُدِ

بل في الذين من الإيمان حبّــهم *** والكُفر بُغضهم قد جاء في السّند.[8]

وفي قول أبي حمو الثاني مادحا الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

وسنّ الشريعة للمؤمنين *** وشنّ على الكافرين الحروبا.[1]

---

[1]) التحفة المرضية، ص 282.
[2]) شرح المعلقات السبع، الحسين الزوزني، ص 79، دار الآفاق، الجزائر، دت.
[3]) علم الدلالة العربي، د. فايز الداية، ص 295، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.
[4]) سورة البقرة: آية 39.
[5]) سورة البقرة: آية 257.
[6]) مجلة البيان، مقالة للدكتور: عبد العزيز آل عبد اللطيف بعنوان: مسائل في التكفير، العدد 56، أكتوبر، 1992م.
[7]) الثغر الجماني، ص 314.
[8]) أشعار جزائرية، سعد الله، ص 116.

وفي قوله كذلك في نفس المعنى:

نبيّ أتى والكفر بادٍ ضلاله *** فأهدى الهدى للخلق يا أحسن ما أهدى.[2]

وفي قول الشاعر عبد المؤمن المديوني يتحدّث عن بعثة الرسول (ص):

والكفرُ ولّى لا ضلالة بعدَهُ *** قُــدَّ ما قد شاده بمحمّد.[3]

ومن الألفاظ الدالة على الكفر، لفظ (الشّرك)، الذي يعني في اللغة: الشِّرْكَة والمُشاركة، أي خلط المِلْكَيْن.[4] أمّا في القرآن فلفظ (الشّرك) تعني إثبات شريك لله تعالى، وهو أعظم الكفر. قال الله تعالى:{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}.[5]

وقد ورد هذا اللفظ في قول الشاعر المنداسي في مدح الرسول (ص):

..كالرسول العربيّ أكْرِمْ به *** مَنْ مُذْ بدا الشّرك اضْمحل.[6]

وفي قول يحي بن خلدون مادحا الرسول (ص):

رسولٌ أتى والشِّرْك بادٍ ضلاله *** فأوْضَحَ من سُبُلِ الهداية أزْكاها.[7]

وفي قول الشاعر ابن سحنون، وهو يتحدّث بحسرة على ذلّ المسلمين أثناء استعمار الإسبان لمدينة وهران:

أيا أمّةً غلبت عليها حلومها *** وأصبح داعي المشركين يسومها.[8]

7) ألفاظ تدلّ على يوم القيامة: لقد أطلق القرآن عدّة أسماء تدلّ على يوم القيامة، من ذلك لفظ (القيامة)، والذي يعني في القرآن قيام السّاعة، في قوله تعالى:{ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ

---

[1]) أبو حمو، حاجيات، ص 369.
[2]) المرجع نفسه، ص 381.
[3]) زهر البستان، ورقة 33 ظ.
[4]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 259.
[5]) سورة النساء: آية 48.
[6]) ديوان المنداسي، ص 35.
[7]) زهر البستان، ورقة 88 وجه.
[8]) الثغر الجماني، ص 294.

المُجْرِمُونَ}.[1] والقيامة ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة، أُدْخِلَ فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة واحدة.[2]

وقد ورد هذا اللّفظ في قول الشاعر أحمد الزواوي(ت:884هـ) حين حديثه عن الموت:

..مِنْ بعدهِ هولُ القيامة واللّقا *** فيا هول ما نلْقَى وما نتَوقَّعُ[3]

كما ورد في قول الأديب يحي بن خلدون، حين حديثه عن الشّفاعة التي سيمنحها الله لرسوله(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

نبيٌّ كفيلٌ بالشّفاعة للورى *** له الله في يوم القيامةِ أعْطاها[4]

وفي قول محمد التواتي(ت:1008هـ) يحذّر الذي يتهاون عن الدّفاع عن المسلمين:

قيا قادراً عن دفع ذلك مُقَصِّراً *** فما العُذرُ يا ذا الطّول يوم القيامة.[5]

ومن الألفاظ الدّالة على يوم القيامة (الآخرة)، ويُعَبَّرُ بالدّار الآخرة عن النّشأة الثانية، قال تعالى:{ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.[6] وقد تُسْتعمل لفظة (الآخرة) بدون الدار، كما في قوله تعالى:{ أُولَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ}.[7] وقد ورد هذا اللفظ بصيغة (الأخرى) في قول الشاعر عبد الله القلعي(ت:664هـ)، ناصحاً بالاستعداد ليوم الآخرة:

واعْمَلْ لأخرى ولا تبخَلْ بمَكْرُمةٍ *** فكلّ شيء على حدٍّ إلى قدرِ[8]

ومن الألفاظ كذلك، لفظة (الحساب). والتي تعني في اللغة: استعمال العدد، وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}.[9] كما وردت بمعنى الجزاء الذي يلقاه كلّ إنسان يوم القيامة، كما في قوله قوله تعالى:{ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ}.[10]

ونجد هذا اللفظ بمعنى القيامة في قول الشاعر عبد الله القلعي:

---

[1]) سورة الروم: آية 12.
[2]) مفردات في غريب القرآن، ج2، ص 416.
[3]) تعريف الخلف، الحفناوي، ج1، ص 40.
[4]) زهر البستان، ورقة 88 وجه.
[5]) موسوعة الشعر الجزائري، الربعي بن سلامة، ج1، ص 136، دار الهدى، الجزائر، 2002م.
[6]) سورة العنكبوت: آية 64.
[7]) سورة هود: آية 16.
[8]) عنوان الدراية، الغبريني، ص 97.
[9]) سورة يونس: آية 5.
[10]) سورة الأنبياء: آية 1.

توهّمتُ من طول الحسابِ وهولهِ *** وكثْرَةِ ذنبي كيف لا أتوهّمُ[1]

ومن الألفاظ الدّالة على القيامة، لفظة (التّلاقي) في قوله تعالى:{ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ}.[2] وتعني التقاء مَن تقدّم ومَن تأخّر، تأخّر، والتقاء أهل الأرض وأهل السّماء، ومُلاقاة كلّ أحد بما كسبت يداه.[3] وقد وردت في في قول المنداسي وهو يتحدّث عن شفاعة الرسول(ص) يوم القيامة:

طه الأمين الذي تُرْجَى شفاعته *** يوم التّلاقي وطَيُّ الخلْق منشُور[4]

8) أسماء الجنّة: وردت في القرآن عدّة ألفاظ تدلّ على الجنّة، والتي تعني في اللغة: البستان الذي يكثُرُ فيه الشّجر فيستُرُ الأرض لكثرته.[5] وذلك في قوله تعالى:{ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً}.[6] ثمّ سُمِّيَت من ذلك جنّة الله التي وُعِدَ بها المتّقون، والذين قال الله فيهم:{ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ}.[7] وللجنّة في القرآن عدّة أسماء منها: جنّة الفردوس، وجنّة عَدْن، وجنّة النّعيم، وجنّة الخُلْد، وجنّة المأوى، ودار السّلام، وعلّيّين.

وقد ورد لفظ (الجنّة) في قول الشّاعر عبد الله القلعي، وهو يتحدّث عمّا بعد الحساب:

..وذلك في القرآن أوْضَح حجّة *** وما ثَــمَّ إلاّ جنّة أو جهنّم[8]

كما وردت لفظ الجنّة بلفظة النّعيم في قول الشاعر ابن الفكّون القسنطيني، يُشبّه جمال نهر من الأنهر بجنّات النّعيم:

فنهرٌ كالسّجنجل قد تراه *** على شطّيه جنّات النّعيم[9]

وفي قول إبراهيم النّازي(ت:884هـ) يحذّر من الدّنيا وغرورها:

---

[1]) عنوان الدراية، ص 95.
[2]) سورة غافر: آية 15.
[3]) مفردات في غريب القرآن، ج2، ص 453.
[4]) ديوان المنداسي، ص 68.
[5]) المصدر السابق، ج1، ص 98.
[6]) سورة الكهف: آية 32.
[7]) سورة الكهف: آية 31.
[8]) عنوان الدراية، ص 95.
[9]) إرشاد الحائر، ج1، ص 165.

قابلْ نصيحة مُخْلِصٍ واعْمَلْ بها *** تُدْنِيكَ من رضوان ربّك والغنا

يُدْخِلْكَ جنّات النّعيـــم بفضلـــــه *** دار المُقامة والمسرّة والهــنا[1]

ووردت لفظة الجنّة مقترنة بلفظة المأوى، في قول التّازي مادحا للرسول(ص):

وخيرةُ رُسْلِ الله أفضل خلقه *** محمّد الهادي إلى جنّة المأوى[2]

وقول الشاعر عفيف الدين التلمساني في الغزل الصّوفي:

..هناك لا يبقى سوى حسنها الذي *** لمعناه آوي، لا إلى جنّة المأوى[3]

كما وردت لفظة (الفردوس) في قول الشاعر محمد التواتي(ت:1008هـ) يدعو ربّه:

وثبِّتْ على الإيمان عقلي ومنطقي *** وصُنِّي يا حفيظ من كلّ فتنة

وفي جنّة الفردوس فاجمع بشملنا *** مع الوالدين والشيوخ أحبّتي[4]

9) أسماء النار: النّار في اللغة تعني اللّهب الذي يبدو للحاسّة، والحرارة المجرّدة.قال تعالى:{ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ*أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ}.[5] وتعني في القرآن كذلك، كذلك، نار جهنّم التي وُعِدَ بها الكافرون، في قوله تعالى:{ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}.[6] وقد وردت بهذا المعنى في قول السلطان أبي حمو الثاني يستجير برسول الله (ص) من عذاب النّار:

توَسَّلْتُ بالمختار من آل هاشم *** أجِرْني من النّار التي أُضْرِمَتْ وَقْدا[7]

ومن الألفاظ الدّالة على النّار (الحُطَمَة)، فالحَطْمُ في اللغة: الكسرُ، ومنه سُمِّيت نار جهنّم حَطَمَة، لأنّه يحطم بعضها بعضا من شدّة غيظها على الكفّار.[8]

قال تعالى:{ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}.[9]

وقد وردت هذه اللفظة في قول الشاعر محمد الجعفري(ت:1198هـ)، وهو يصف النّار:

---

[1]) تعريف الخلف، ج1، ص 253.
[2]) المصدر نفسه، ج2، ص 283.
[3]) ديوان عفيف الدين التلمساني، ص 264.
[4]) النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص 121.
[5]) سورة الواقعة: آية 71- 72.
[6]) سورة الحج: آية 72.
[7]) أبو حمو، حاجيات، ص 381.
[8]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 123.
[9]) سورة الهمزة: آية 4- 5- 6.

ولو لَمَحَتْ عينك الحُطَمَةُ *** لَزِدْتَ فِراراً تَلَثُهُ شجون[1]

ومن الألفاظ الدّالة على النّار (لظى)، ومعناها اللّهب الخالص.[2] ومنها جاء اسم جهنّم في قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى}.[3] وقد وردت في قول الشاعر ابن خلوف القسنطيني، وهو يدعو الله أن يُجنّبه والمسلمين نار جهنّم:

..وكُنْ لجميع المسلمين وجازهم *** بِعَدْنٍ وجنّبهم لظى يتضرّم[4]

وفي قول الشعر محمد الجعفري يُحذّر من عذاب النّار:

..لوْ أَبْصَرَتْ لهبانُ نارِ لظى *** لما نَظَرَتْ في النّساء عيون[5]

10) ألفاظ قرآنية أخرى: من الألفاظ القرآنية المُقْتَبَسَة في الشعر الجزائري، لفظة(ريح صرصر)، الواردة في قوله تعالى:{ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}.[6] وفي قوله تعالى: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}.[7]

فالرّيح الصّرصر، هي ريح شديدة البرودة سلّطها الله على قوم عادٍ فأهلكهم بها.[8]

وقد استعان الشاعر أحمد بن علال المقري بهذه اللّفظة في وصف انهزام الإسبان على يد جيش الباي الكبير، قائلا:

هبّت رياحُ النّصر فوق جنوده *** ويهبّ للأعدا بريح صرصر.[9]

فشبّه انهزام الإسبان على يد المسلمين، بهلاك قوم عاد على يد الله تعالى، كما شبّه حالة الخوف التي أصابت الإسبان من جيش المسلمين، بالحالة التي كان عليها قوم عاد حين أصابتهم الريح الباردة فلم يقْوَوا حتى على الفرار من شدّة الخوف والبرد.وقد أحسن الشاعر استعمال هذه الصيغة اللّفظية في معناها الدّقيق.

---

[1]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 92.
[2]) مفردات في غريب القرآن، ج2، ص 450.
[3]) سورة المعارج، آية 15- 16.
[4]) ابن خلوف وديوانه جنى الجنتين (ديوان الإسلام)، العربي دحو، ص 88، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م.
[5]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 92.
[6]) سورة الحاقة: آية 6.
[7]) سورة فصلت: آية 16.
[8]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 279.
[9]) الثغر الجماني، ص 130.

وبما أنّ الحروب التي جَرَتْ بين الجزائريين والإسبان – في القرن العاشر الهجري– كانت في البحر، فإنّنا نجد الشاعر محمد التّواتي(ت:1008هـ) قد استعمل لفظة (المنشآت) في تحذير المسلمين من الخطر المحذق بهم قائلا:

يا أهل وهران انظروا نظر شفقة *** لبَلْدتكم من قبْلِ أن تَرَدَّتِ

وقبـــل مجيء المنشآت بِـــبَحْرِها *** وأيّ قلوب عندها مُسْتقرّة.[1]

فلفظة (المنشآت) جاءت في القرآن تعبيرا عن السفن والفُلْك، في قوله تعالى:{ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}.[2]

ومن الألفاظ القرآنية التي وظّفها الشّاعر الجزائري في شعره، لفظة (المنون)، والمنون من المنيّة، أي الموت.وقيل لِلمَنِيَّةِ المَنُون لأنها تَنْقُصُ العَدَدَ وَتَقْطَعُ المَدَدَ.[3] وقد عبّر القرآن بلفظة (المنون) عن حوادث الدّهر، وصروف الزّمان في قوله تعالى:{ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ}.[4] ونجد هذه اللفظة في قول الشاعر محمد الجعفري (ت:1198هـ) في وصف جنازة امرأة:

..وأثْوابُ قُطنٍ تُخاط لها *** عَرَفْتُ بأنْ قد نعاها المنون.[5]

وللتّعبير عن الموت، استعمل الجعفري لفظة (اليقين)، والتي وردت في القرآن بمعنى الموت في قوله تعالى:{ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.[6]

حيث قال عن هجمة الموت المباغت:

وفي ذكر ما فات من عُمَرٍ *** لواعظٌ مُبينٌ لهجْمِ اليقين.[7]

ومن الألفاظ القرآنية التي تناولها شعراؤنا لفظة (ضيزى)، والتي تعني ناقصة، أصلها على وزن فَعْلَى، فكُسِرَت الضاد للياء.[8] كما تعني في القرآن ظالمة وجائرة، في قوله

---

[1]) موسوعة الشعر الجزائري، الربعي بن سلامة، ج1، ص 136.
[2]) سورة الرحمن: آية 24.
[3]) مفردات في غريب القرآن، ج2، ص 474.
[4]) سورة الطور، آية 30.
[5]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 92.
[6]) سورة الحجر: آية 99.
[7]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[8]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 300.

تعالى:{ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى}.[1] فقد جاءت هذه اللفظة « في موضعها، لا يسدّ غيرها مَسَدّها...فجاءت على الحرف المسجوع الذي السورة جميعها عليه».[2]

وقد استعمل الشاعر ابن الكمّاد القسنطيني(ت:1116هـ)[3]هذه اللفظة للتّعبير عن جَوْرِ الزّمان، وقسمته غير العادلة، قائلا:

لَهْفَ نفْسي على زمانٍ عبوسٍ *** قَمْطريرٍ ذي قِسْمة ضيزاءِ.[4]

ومن الألفاظ القرآنية لفظة (عِضِين)، والتي تعني مفرّقة في قوله تعالى:{ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ}.[5] فقالوا (أي الكفار) كهانة، وقالوا أساطير الأوّلين.[6]

وقد اقتبس الشاعر محمد الجعفري(ت:1198هـ) هذه اللفظة للتّعبير عن حال من يشمّ الريح النّتنة لجهنّم، قائلا:

..ولو شَمَمَ الأنفُ نتن الحميم *** لصار دِماغك منه عِضِين.[7]

أي لو شمّ الإنسان نتانة ريح الجحيم، لتصدع دماغه، وأصبح قطعا متفرّقة من هول ذلك.

ومن الصّيغ اللفظية (العروة الوثقى)، والعُرْوَة: هي ما يتعلّق به من عُراه. والعروة الوثقى في القرآن تعني: حبل الله المتين الذي هو الإسلام، وذلك في قوله تعالى:{ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى }.[8] وفي قوله تعالى:{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.[9]

فقد عبّر الشاعر أحمد الزواوي(ت:884هـ) عن تقوى الله بالعروة الوُثقى قائلا:

وبادِرْ لتقوى الله إن كنْتَ حازِماً *** هي العُرْوة الوُثْقَى بها النّار تُدْفَعُ.[10]

ومن الصّيغ اللفظية القرآنية (السّبع المثاني)، والتي قيل أنّها سورة الحمد، لكونها سبع آيات.[1] وقيل أنها القرآن الكريم كاملا، والمثاني هي جمع مثنّى.[2] وقد وردت هذه الصيغة

---

[1]) سورة النجم: آية 22.
[2]) المثل السائر، ابن الأثير، ج1، ص 162.
[3]) هو الشاعر أبو عبد الله محمد بن أحمد الكمّاد القسنطيني، نشأ في قسنطينة ثم ارتحل عنها. **ينظر**: إرشاد الحائر، ج3، ص 444.
[4]) المصدر نفسه، ج3، الصفحة نفسها.
[5]) سورة الحجر، آية 91.
[6]) مفردات في غريب القرآن، ج2، ص 338.
[7]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 92.
[8]) سورة لقمان: آية 22.
[9]) سورة البقرة: آية 256.
[10]) تعريف الخلف، الحفناوي، ج1، ص 40.

الصيغة اللفظية في قول الشاعر ابن أبي جمعة التلاليسي،[3] مادحا الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

نبيٌّ هاشميٌّ أبطحـــــيّ *** سرى به مليكه والليل هادِ

حباهُ الله بالسّبع المثاني *** وفضّله الله على كلّ العبادِ.[4]

ومن الألفاظ (أولوا العزم)، الواردة في قوله تعالى:{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}.[5] فقيل أنّ أولوا العزم هم الرسّل الذين جاؤوا بكتب سماوية وشرائع، وهم: إبراهيم (عليه السلام)، و داوود (عليه السلام)، وموسى (عليه السلام)، وعيسى (عليه السلام)، ومحمّد رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم). وقيل: بل هم الرّسل الذين صبروا على أذى أقوامهم.[6] فالمنداسي حين تحدّث عن قصّة الإسراء والمعراج، وعن صلاة كلّ الرسل خلف النبيّ (ص)،[7] سمّاهم أولوا العزم قائلا:

..آدم المبرور صلّى خلفه *** وأولوا العزم مصابيح المِلَل.[8]

إذن، فقد رأينا كيف ظهر أثر لغة القرآن الكريم في الشّعر الجزائري، من خلال اقتباس الشّعراء الجزائريّين لكثير من ألفاظ القرآن واستعمالها في أشعارهم، مُسْتفيدين من جمالها اللّغوي، ومن طاقتها التّعبيريّة.

فقد تناولوا بعض الألفاظ بنصّها، وحوّروا في بعضها الآخر تحويرا يسيرا لا يُبْعِدها عن أصلها الموجود في القرآن الكريم. وقد كانت تأتي هذه الألفاظ عفويّة من دون تكلّف الشّاعر لذلك، لأنّها كانت دائمة الجريان على لسانه في كلّ زمان ومكان، فأصبحت من مخزونه اللغوي الموروث.

المبحث الرابع: أثر الفاصلة القرآنية في الشّعر الجزائري

---

[1]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 222.
[2]) المصدر نفسه، ج1، ص 82.
[3]) **ينظر ترجمته في** : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد المقري، ت: مصطفى السقا، ج1، ص 247.
[4]) زهر البستان، ورقة 34 وجه.
[5]) سورة الأحقاف: آية 35.
[6]) تفسير أبو السعود، ج8، ص 88.
[7]) **عن قصة الإسراء والمعراج، ينظر**: السيرة النبوية، ابن هشام، ج2، ص 244 وما بعدها.
[8]) ديوان المنداسي، ص 36.

لقد لَقِيَتْ الفاصلة القرآنية اهتمام العديد من علماء اللّغة والبلاغة، فأعطوها عدّة تعريفات ومفاهيم، ولا نريد هنا أن نخوض في الحديث عن الفاصلة القرآنية بالتّفصيل، وعلاقتها بالسّجع، وآراء العلماء فيها،[1] إنّما هي إشارات موجزة وعامّة.

الفاصلة القرآنية مفهومها وفائدتها وأنواعها:

من بين التعريفات الهامّة للفاصلة، نجد تعريف العلامة محمد بن يوسف الزُّرقاني، حيث يقول:« الفاصلة هي الكلمة التي تكون آخر الآية...قرينة السّجع في النّثر، وقافية البيت في الشّعر».[2]

وذهب بكري أمين إلى قريب من هذا فقال:« الفاصلة هي تلك النّهاية التي تُذَيِّل الآيات القرآنية، وموقع الفاصلة يُشبه موقع القافية في البيت الشّعري».[3]

وقيل أنّ لفظة الفاصلة مأخوذة من قوله تعالى:{ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}.[4] وقوله تعالى:{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.[5] أي أنّ آيات القرآن جاءت مفصلّة واضحة جليّة.[6]

والمُلاحظ أنّ القرآن لم يتقيّد بفاصلة واحدة في كلّ السورة، بل نجدها تتعدّد حسب ورود الموضوعات وتنوّعها. من ذلك – مثلا – سورة الطارق، حيث جاءت فواصل الآيات الأولى على وزن (فاعل)، مع تنوّع الحروف التي بُنِيَتْ عليها، (طارق– ثاقب– حافظ– ناصر). ثمّ جاءت الفواصل بعد ذلك على وزن (فَعْل) في (الرّجع– الصّدع).[7]

وتكمن فائدة الفاصلة في الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، ولها فوائد لفظية، ومعنوية، ونفسيّة، يُحْدثها الجانب الصّوتي.[8] كما أنّ فائدتها« الوقْفُ والدّلالة على أنّ الكلام قد انقطع، وأنّ ما بعده مُسْتَأنف».[9]

وتنقسم الفاصلة القرآنية إلى عدّة أنواع منها:[1]

---

[1]) **من الكتب التي اهتمت بالفاصلة القرآنية بالتفصيل، ينظر**: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ص 24 وما بعدها، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1986م.و (الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، ص 22 وما بعدها، دار المريخ، الرياض، 1982م).

[2]) مناهل العرفان، محمد الزرقاني، ج1، ص 236، مطبعة شبر، القاهرة، 1359هـ.

[3]) التعبير الفني في القرآن، ص 209.

[4]) سورة هود: آية 1.

[5]) سورة فصلت: آية 3.

[6]) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ص 75.

[7]) الأدب في عصر النبوّة، صلاح الدين الهادي، ص 84.

[8]) أثر القرآن في الشعر الأندلسي، محمد شهاب العاني، ص 73 وما بعدها، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م.

[9]) تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري، ج3، ص 912، دار الفكر، بيروت، دت.

– **قصيرة:** وهي ما كانت مكوّنة من ألفاظ قليلة. مثل قوله تعالى:{ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً}.[2]

– **متوسّطة:** ما زاد ألفاظها على عشر. كقوله تعالى:{ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ}.[3]

– **طويلة:** ما زادت ألفاظها على ذلك. كقوله تعالى:{ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ *وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ}.[4]

وقد تأتي هذه الفواصل القرآنية بأشكال مختلفة، منها:[5]

* متحدّة في الوزن وحرف الرويّ.قال تعالى:{ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ }.[6]

* مختلفة في الوزن متّحدة في الروي. كقوله تعالى:{ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً}.[7]

* تتساويان في الوزن دون حرف الروي.قال تعالى:{ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً}.[8]

* تختلفان في الوزن وحرف الروي. كقوله تعالى:{ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}.[9]

أثر الفاصلة:

الفاصلة القرآنية من أهمّ الظواهر الصّوتية التي تميّز بها القرآن الكريم، ولا تكاد تخلو سورة منه. وقد اعتبر الرّماني أنّ الفواصل تمثّل إحدى وجوه الإعجاز القرآني.[10] كما أنّ الفواصل تُعطي لجُمل القرآن نسقاً صوتيّاً متناسبا، يُعطي لحنا غريبا مُميّزا، يفوق في حُسْنه وجماله كلّ ما عُرِفَ من توقيع الموسيقى، وترنيم الشّعر.[11]

فللفاصلة القرآنيّة تأثير في السّامع لتلاوة القرآن الكريم، باعتدال مقاطعها، وتناسق كلماتها، وتناسب أطرافها، وتماثل حروفها. فهي تُريح السّامع وتجلب انتباهه.[1]

---

[1]) المثل السائر، ج1، ص 235- 236.
[2]) سورة المرسلات: آية 1- 2.
[3]) سورة القمر: آية 1- 2.
[4] سورة هود: آية 9- 10.
[5]) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، رسالة دكتوراه من إعداد: أ.شلتاغ عبود شراد، ص 137، جامعة الجزائر.
[6]) سورة الغاشية: آية 13- 14.
[7]) سورة نوح: آية 13- 14.
[8]) سورة عبس: آية 25- 26.
[9]) سورة الفاتحة: آية 3- 4.
[10]) نقلا عن: المعجزة القرآنية، ص 257.
[11]) مناهل العرفان، ج2، ص 205.

لهذا، سنحاول تبيين أثر الفاصلة القرآنيّة في الشّعر الجزائري، من ناحية القوافي وحروف الرويّ. فنجد أحيانا أنّ الشّاعر قد أخذ قوافي قصائده من فواصل وردت في نفس السّورة، وأحيانا أخرى يأخذها من سُوَر مُتعدّدة. وربّما وردت الفاصلة الواحدة في عدّة سور من القرآن الكريم.

فمن الحروف التي نجدها كرويّ في الشّعر الجزائري، حرف النّون.وذلك في قول الأديب أحمد المقّري التلمساني(ت:1041هـ) يمدح الرسول (ص):

فَلَقَدْ كان عَلَـــــى غَيْرِ هُـدًى *** مَنْ يُسوّيـــــهمْ بربّ العَـالَمِين
ما لَنَا من مُخَلّصٍ نَـأتي بِـــهِ *** غير جَاهِ المُصْطَفى الهَادِي الأمين
فيَـمِـيـنُـنَا إنّ مَـن يهْـواهم *** ليَـكونـنّ مِـــنْ أصْحَابِ اليمين
وسْـط جنّات تُـحيِّـيه بـــها *** آنِسَاتٍ قاصِرَاتِ الطَّـرْفِ عِيـن
بقوارير لُـجَـيْـن شُـرْبُـــه *** وأباريقَ وكأسٍ مِـن مَـعِـيـن.[2]

فالشّاعر جاء بكثير من القوافي التي نجدها كفواصل في القرآن. ففي البيت الأول، نجد أنّ الشّاعر لم يكتفِ بفاصلة الآية القرآنية، بل أخذها كلها. فعَجُز البيت مأخوذ من قوله تعالى:{ تَاللَّهِ إن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ}.[3]
أمّا عبارة (بربّ العالمين) الواردة في آخر البيت، فقد جاءت كفاصلة في عدّة آيات من عدّة سُوَرٍ، وذلك في قوله تعالى: { أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ}.[4]
وقوله تعالى:{ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِربِّ العَالَمِينَ}.[5]

---

[1]) الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، ص 22 وما بعدها.
[2]) نفح الطيب، المقري، ج1، ص 111.
[3]) سورة الشعراء: آية 97- 98.
[4]) سورة الصافات: آية 86- 87.
[5]) سورة الأعراف: آية 120- 121.

أمّا في البيت الثاني، فنجد قافيته (الأمين) مأخوذة من عدّة فواصل قرآنية، كقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ}.[1] وقوله تعالى: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}.[2]

وجاءت قافية البيت الثالث (اليمين)، فواصل في عدّة آيات، منها قوله تعالى: { وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}.[3]

وفي قوله تعالى: {عُرُباً أَتْرَاباً *لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ}.[4]

وفي البيت الرابع نجد أنّ معظم عَجُز البيت (قاصرات الطّرف عين) آية قرآنية، فلم يكتف الشّاعر بفاصلة الآية فقط، بل اقتبس الآية كلها، من قوله تعالى يصف لنا الجنّة ونعيمها: { لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}.[5]

أمّا عبارة (عِين) فقد وردت فاصلة قرآنية في عدّة آيات، منها قوله تعالى: { يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ}.[6] وفي قوله تعالى: { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ}.[7]

ونلتقي في البيت الخامس بعبارة (كأس من معين)، والتي جاءت لفظة (معين) فيها كفاصلة قرآنية في عدّة آيات تتحدّث عن الجنّة، كقوله تعالى: { يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ}.[8] وقوله تعالى: { يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ}.[9]

أمّا إذا أخذنا قوافي المقطوعة كاملة (العالمين– اليمين– عين– معين)، فنجدها فواصل قرآنية وردت كلّها في سورة الصّافات، من الآيات: 27– 28، و45 إلى 48، و86– 87.

ونجد حرف النّون كرويّ أيضا، في أبيات للشاعر المنداسي، من قصيدة له في مدح الرسول(ص)، يقول فيها:

---

[1]) سورة الشعراء: آية 192- 193.
[2]) سورة القصص: آية 26.
[3]) سورة الواقعة: آية 90- 91.
[4]) سورة الواقعة: من الآية 37 إلى 40.
[5]) سورة الصافات: آية 47- 48.
[6]) سورة الدخان: آية 53- 54.
[7]) سورة الطور: آية 19- 20.
[8]) سورة الواقعة: آية 17- 18.
[9]) سورة الصافات: آية 45- 46.

..ولا كلّ كَحِيل الطّرف ظبي *** ولا كلّ الأضاء مـــاء معين

صحيح الودّ تيَّـــمْـــتُها وولّت *** كراما عندهما الخبـــر اليقين

محمّد خيـــر خلق الله طُـــرّا *** ودرّة كونه العلـــــم المبين.[1]

فقافية البيتين الأول والثّالث (معين– مبين)، وردت فواصل قرآنيّة في قوله تعالى:{ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ}.[2] أمّا قافية البيت الثاني (اليقين)، فقد وردت كفاصلة قرآنيّة في قوله تعالى:{ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}.[3] وفي قوله تعالى:{ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}.[4] ولفظة (اليقين) هنا تعني: العلم وزوال الشّكّ.[5] فجاء معناها في البيت الشّعري، هو نفسه في الآيتين.

وجاء حرف النّون رويّاً في قصيدة الشاعر محمد الجعفري(ت:1198هـــ) يحذّر فيها من عذاب النّار، قال في أبيات منها:

ولو شَمَمَ الأنف نتن الحميم*** لصار دماغك منه عضين

..وسؤال نكير وصاحبـــه*** يكون عذابا على الكافرين

وفي ذكر ما فات من عُمُر*** لواعظ مبين لهجم اليقين [6]

فقافية البيت الأوّل (عضين)، وردت كفاصلة قرآنيّة في قوله تعالى:{ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}.[7] وقد جاءت لفظة عضين مرّة مرّة واحدة في القرآن الكريم.

أمّا قافية البيت الثاني (الكافرين)، فقد وردت كثيراً كفاصلة في القرآن، منها في قوله تعالى:{ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ

---

[1]) ديوان المنداسي، ص 67 – 70.
[2]) سورة الملك: آية 29- 30.
[3]) سورة الحاقة: آية 50- 51.
[4]) سورة التكاثر: آيات 5- 6- 7.
[5]) مختار الصحاح، الرازي، مادة (ي ق ن)، ص 469.
[6]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 92.
[7]) سورة الحجر: آيات 90- 91- 92.

الكَافِرِينَ}.[1] وفي قوله تعالى:{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ}.[2] وفي قوله تعالى:{ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.[3]

وفي البيت الثالث، نجد قافية (اليقين)، والتي معناها الموت، وقد وردت بهذا المعنى كفواصل في قوله تعالى:{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ *حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}.[4] وفي قوله تعالى:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.[5]

كما اختار الشّاعر ابن سحنون الرّاشدي حرف النّون رويّاً لقصيدته، لكنّه مسبوق بحرف المدّ الألف، وذلك في رثائه لمُقْتي وهران الطّاهر بن حوّاء، قائلا:

عَزِّ نَفْسَكَ عن صُرُوفِ الزّمَان *** كُلّ شيْءٍ على البَسِيطَة فَــانِ

إنّ للنائبات قَــوْسًا وتِــيـــــرا *** عَرَضتْ لسِــهامِــه الثّــقلان

..فَغَدَى في مَنَازِلِ الخُــلْد بدراً *** يتلألأ بَــيْن حُــورٍ حِــســان [6]

فقوافي هذه الأبيات (فان– الثقلان– حسان) تأخذنا مباشرة إلى سورة الرّحمن، والتي جاءت فواصلها على حرف النّون المسبوق بمدّ. فلفظة (فان) مأخوذة من فاصلة قوله تعالى:{ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ}.[7] ولفظة (الثقلان) والتي تعني الإنس والجنّ والجنّ جاءت فاصلة في قوله تعالى::{ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان}.[8] ولفظة ولفظة (حِسان) جاءت فاصلة في موضعين من سورة الرّحمن؛ في قوله تعالى:{ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان}.[9] وفي قوله تعالى:{ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان}.[10]

---

[1]) سورة الشعراء: آيات 18- 19.
[2]) سورة يس: آيات 69- 70.
[3]) سورة الزمر: آيات 58- 59.
[4]) سورة المدثر: آيات 46- 47.
[5]) سورة الحجر: آيات 98- 99.
[6]) الثغر الجماني، ص 237.
[7]) سورة الرحمن: آيات 25- 26.
[8]) سورة الرحمن: آيات 31- 32.
[9]) سورة الرحمن: آيات 70- 71.
[10]) سورة الرحمن: آيات 76- 77.

ولقد ساعدت هذه الفواصل شاعرنا على استيفاء المعاني التي كان يبتغيها في رثاء أحد العلماء المشهورين، خصوصا حين يتحدّث عن مصيره الذي ينتظره يوم القيامة، ألا وهو جنّة الخُلْد. فجاء موضوع الأبيات متناسبا مع معاني الآيات التي أُخِذَت الفواصل منها.

ومن الحروف التي جاءت رويّاً في قصائد الشّعراء الجزائريّين، والمُسْتمدّة من الفواصل القرآنية، حرف الرّاء.« والذي يجيء بكثرة في شعر الشّعراء، بل هو أكبر حروف الرويّ شيوعا لديهم».[1]

فنجد الشّاعر المنداسي يستعمل رويّ الراء في قصيدة له يتغزّل بها قائلا:

دَعْــني عَذولي فإنّ القلْــب مَسْــطور *** لِــمَا عَلَيّ مِن الهجران مسطور

قُلْ ما استطعت عَذولي السّمعُ في شُغْلٍ *** عنْــك فقلبي لمن أهواه مَــعْمور

ثم يتوسل بالرسول(ص):

طه الأمين الذي تُــرْجَى شفَــاعَــتُــه *** يوم التَّــلاقي وطَيُّ الخلق منشور[2]

فقوافي هذه الأبيات (مسطور– معمور– منشور) جاءت كلّها فواصل قرآنيّة في قوله تعالى:{ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}.[3]

كما نجد للمنداسي قصيدة غزل أخرى استعمل فيها الراء حرف رويّ، لكن مُرْدَفاً بالألف، وذلك في أبيات قال فيها:

كم أواري وكم تبدّت أموري *** ودموعي سكبْــتُها مِــدرارا

نَصَبي وصبابتي نصب عيني *** يضرمان بموضع القلب نارا

كم علوتُ منابر العشق حُــبّا *** فاكتَسَبْتُ سَكِيــنــةً ووَقَــارا

كم رَمَتْنِي بنات دهري بعكس *** فرأيتُ نجْــم ليلــي نهــارا

فثياب السّقام من كُــلّ نــوع *** فاقع اللون سَرْبَــلَتْنِي جهارا[4]

---

[1]) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ص 352.
[2]) ديوان المنداسي، ص 67 إلى 70.
[3]) سورة الطور: آيات 1- 2- 3- 4.
[4]) ديوان المنداسي، ص 53- 54.

فالقارئ لهذه الأبيات يلاحظ مباشرة أنّ قوافيها وردت فواصل قرآنيّة في سورة نوح، في قوله تعالى: { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً *مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً}.[1]

فالشّاعر يشتكي من الحالة التي آل إليها بسبب الحبّ، مقتبسا فواصل الآيات التي اشتكى فيها النبيّ نوح (عليه السلام) قَوْمَه وإيذائهم له. فكأنّما يُشبّه حاله في الحبّ وتأذّيه منه، بحال نوح (عليه السّلام) في الحسرة والألم وتأذّيه من قومه.

ثمّ نجد الشّاعر ابن ميمون السّنوسي يستعمل رويّ الرّاء في ذكر أهوال يوم القيامة في قوله:

..يوم يقول المرء ماذا أصنع *** وجهنّـــم رَمَـــتْ بالشّرر

أيُّـــها العاقل هـــذا اللّـــعب *** لِمَتَى، قُـــمْ فانتبه وازدجر[2]

فقافية البيت الثاني (ازدجر)، تنقلنا مباشرة إلى الفاصلة الموجودة في قوله تعالى: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}.[3] فلفظة (ازدجر) في البيت الثاني هي إنذار وتحذير من عذاب يوم القيامة.

ويأتي حرف الدّال بعد حرف الرّاء، في شيوعه في الفواصل القرآنية، وجاء في الشّعر الجزائري قافية متأثّرة بتلك الفواصل. من ذلك قول ابن ميمون السّنوسي يمدح المولى أبي حمو الثّاني قائلا:

أطْـــلِق عِنانك لا تَـــنْـــظر إلى أحد *** كفى حَسُـــودك ما يلْـــقى من الكمد

حُزْتَ الفضائل يا موسى بأجْـــمَعِها *** لم تُبْقِ منها نصِـــيبا مـــا لأحـــــد

أفْدِيكَ بالروح من عين الحسود ومن *** عينِ الوَدُودِ وقُـــلْ بالمالِ والولَـــد

إن كنْتَ بالأمْسِ لا أهْـــلٌ ولا ولَـــد *** فاليوم أصبحت بين الأهل في البلد [1]

---

[1]) سورة نوح: من الآية 8 إلى الآية 13.
[2]) زهر البستان، ورقة 61 وجه.
[3]) سورة القمر: آية 9.

فقوافي هذه الأبيات (البلد– أحد– ولد) جاءت فواصل قرآنيّة في قوله تعالى:{ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ}.[2]

ثمّ نجد رويّ الرّاء المسبوق بمدّ في قول الشاعر محمد التّلاليسي يمدح الرسول(ص):

عَلَيْهِ صَلاةُ خالِقِنـــا تَعَالَى *** إلى يوم يُنَادينا المُنَتَنَـــادِ

عِبَاد الله مِنْ عُرْب وعَجَم *** هَلُمّوا للصَّلاح والرَّشَاد

فلا زِلْنَـــا رعيّتُكم وأنْتُـــم *** أئمّتنا إلى يوم التّـــنَـــاد [3]

فقافية البيتين الثاني والثّالث وردت فواصل قرآنية في سورة غافر، فلفظة (الرّشاد) وردت فاصلة في قوله تعالى:{ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ}.[4] ولفظة (التّناد) وردت فاصلة في قوله تعالى:{ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ *يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}.[5]

ويأتي بعد هذه الحروف، حرف الألف المقصورة كرويّ، وذلك في قول الشّاعر الثّغري يمدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ويذكر معجزاته:

ومن ماثلتْ آياتـــه كلّ ما أتت *** به الرّسل من آيات ربهم الكبرى

وإن وقفت شمس النهار ليوشع *** فقد وقفت للمصطفى تارة أخرى [6]

فقافية هذه الأبيات تُذكّرنا بفواصل بعض سور القرآن، كسورة طه، في قوله تعالى:

{ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى}.[7]

وسورة النّجم، في قوله تعالى:{ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}.[8]

وسورة النّازعات في قوله تعالى:{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}.[1]

---

[1]) زهر البستان، ورقة 24 وجه.
[2]) سورة البلد: من الآية 1 إلى الآية 7.
[3]) زهر البستان، ورقة 34 وجه.
[4]) سورة غافر: آية 38.
[5]) سورة غافر: الآيات 32- 33.
[6]) تاريخ بني زيان، ص 215.
[7]) سورة طه: الآيات 1- 2- 3.
[8]) سورة النجم: الآيات 1- 2.

فقافية البيت الأوّل (الكبرى) وردت في عدّة فواصل قرآنية، منها في قوله تعالى: { وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى}.[2] و في قوله تعالى:{ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.[3] وفي قوله تعالى:{ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى}.[4]

وقد وردت قافية البيت الثاني (أخرى) كفاصلة قرآنية في قوله تعالى:{ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى}.[5] وفي قوله تعالى:{ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}.[6]

فقد تلاءمت قافية البيت الأول (كبرى) مع فاصلة الآية، لتلاؤم معاني البيت الشّعري مع معاني الآية، حيث كانتا بصدد ذكر قصّة الإسراء والمعراج.

ثمّ يأتي حرف اللام كرويّ في قول المنداسي، في قصيدة غزليّة قال فيها:

أَيْنَ تِلْكَ القِبَابُ مِنْهَـــا اللّواتِي *** عهدْتُ للنُّفُوسِ فِيهَا ظِلاًّ ظَلِيلاَ

..قُمْ وَلِيدَ الكِرَامِ كاسِـــيك نَجْمٌ *** لَيْلَةَ السّعْدِ فاسْقِـــنا السّلسبيـــلا

ِدرْ كؤُوسَ المُدَامِ ما دُمْتَ حَيّا *** إنّ بَعْدَ المَمَـــاتِ نَـــوْمًا طويلا

هاتِ إنّ الصّـــباح باح بِسِـــرّ *** صِلْ بالليل مـــن النّـــهار مقيلا

قُلْ لأهْلِ الغـــرَامِ إنّا سنُـــلقى *** للقلوب الرِّقَاقِ قَـــوْلا ثقيـــــلا

ثم يشكو هذا الزمان:

لا أرى الناس إلاّ كـــالأنعـــام *** ولكـــنّـــهم أضـــلّ سبيـــــــلا

كم أضلّ الإله قوما ولا يظـــلم *** في الحكم من أضَـــلّ فتـــيـــــلا

كـــلّ ما قـــاله الإنســـان بلَيْـــل *** كان عنـــــه الفتى إذا مسؤولا

يوم تُـــبْـــلى النفوس والله يقضي *** وتكون السّمـــا كثيـــــبا مهيلا

فاستقم أيّـــها المُـــصلّـــي بقول *** الله فما به تقول أقْـــوَمُ قِـــــيلا

---

[1]) سورة النازعات: الآيات 15- 16.
[2]) سورة طه: الآيات 22- 23.
[3]) سورة النجم: الآيات 17- 18.
[4]) سورة النازعات: الآيات 19- 20.
[5]) سورة طه: الآية 22.
[6]) سورة طه: الآية 55.

..أحمد المجتبى وسيلتنا العظمى *** مَن إليك الذي اتّخَذْت خـــليـــلا

..وسلام من السّـــلام زكِـــــيّ *** طيِّـــب النَّـــشْر بُـــكْرة وأصيلا [1]

فقد وردت قوافي هذه الأبيات كفواصل قرآنية في عدّة سُوَر، فلفظة (ظليلا) وردت كفاصلة في قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاً ظَلِيلاً}.[2] ولفظة (سلسبيلا) وردت كفاصلة في قوله تعالى:{ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً}.[3] كما وردت (أصيلا– طويلا– ثقيلا) كفواصل في قوله تعالى:{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً}.[4] ووردت (فتيلا– سبيلا– خليلا) كفواصل قرآنية في قوله تعالى:{ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً * وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً}.[5] ووردت لفظة (سبيلا) كفاصلة قرآنية في عدّة آيات منها قوله تعالى:{ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً}.[6] وفي قوله تعالى:{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}.[7] ووردت لفظتا (سبيلا– خليلا) كفاصلة قرآنية في قوله تعالى:{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً}.[8]

فالمُلاحَظ أنّ قوافي الأبيات في قصيدة المنداسي وردت كفواصل في سُور متعدّدة، ومنها ما وردت كفواصل في سورة واحدة. وقد جاءت في الآيات مختلفة عن معاني الأبيات، إلاّ أنّ الشّاعر وجد فواصل هذه الآيات ملائمة لقوافي قصيدته فأثبتها.

وفي الأخير، يُطالعنا حرف السّين كرويّ في أبيات للشاعر أبي عبد الله محمّد البونصي الشريف، يمدح بها الدّاي بكداش قائلا:

---

[1]) ديوان المنداسي، ص 45- 53.
[2]) سورة النساء: الآية 57.
[3]) سورة الإنسان: الآية 17- 18.
[4]) سورة الإنسان: الآيات 25- 26- 27.
[5]) سورة الإسراء: الآيات 71- 72- 73.
[6]) سورة الأحزاب: الآية 15.
[7]) سورة الإسراء: الآية 34.
[8]) سورة الفرقان: الآيتان 27- 28.

فنلنا – وايم الله– كــلّ مَــسَرّة *** بصُبْــحٍ سعيد بالهَــنَا تنفَّسَــا

أيا طيّب الأعراق نِــلْتَ عَرِيكَة *** ويا قمرا إذا جنّ الليل وعسعسا[1]

فقوافي البيتين تذكّرنا بفواصل قرآنيّة جاءت في قوله تعالى:{ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}.[2]

فقد رأينا في هذا المبحث، ما هي الحروف التي جاءت رويّا في قوافي الشّعر الجزائري، والمتأثّرة بفواصل القرآن الكريم. كان أوّلها حرف النّون في موضوع المديح النبويّ والزّهد. ثمّ حرف الرّاء في الغزل والزّهد أيضا. وبعدها حرف الدّال في موضوع المدح، ثمّ حرف الألف المقصورة في المديح النبوي وذكر معجزاته. ثمّ حرف اللام في الغزل. وأخيرا حرف السّين في مدح الأمراء والأعيان.

فقد حاولنا في هذا المبحث، أن نكشف عن جانب هامّ من جوانب تأثير القرآن الكريم في الشّعر الجزائري، ألا وهو تأثير فواصل القرآن في قوافي هذا الشّعر.

الفصل الثالث

أثر القرآن في البنية المعنوية للشعر الجزائري

* المبحث الأول: أثر المعاني القرآنية في الشعر الجزائري.

* المبحث الثاني: أثر أسلوب القرآن في الشعر الجزائري.

---

[1]) التحفة المرضية، ص 155.

[2]) سورة التكوير: الآيتان 17- 18.

* المبحث الثالث: أثر الصّورة القرآنية في الشعر الجزائري.

* المبحث الرابع: أثر القصص القرآني في الشعر الجزائري.

الفصل الثالث: أثر القرآن في البنية المعنوية للشعر الجزائري

المبحث الأول: أثر المعاني القرآنية في الشّعر الجزائري.

إنّ اللاّفت للانتباه في الشّعر الجزائري، الحضور القويّ للمعاني القرآنية فيه، حيث كان شعراؤنا يلجؤون إلى القرآن يستلهمون منه أفكارهم وآراءهم. فقد كان الشّاعر الجزائري« في تعامله مع المعاني القرآنية يستجيب لدافعين اثنين؛ أحدهما ذاتيّ خاضع لثقافته واتّجاهه الفكري والرّوحي، والآخر اجتماعي يخضع فيه لتأثير الوسط الاجتماعي والثّقافي العام».[1] ومن بين المعاني القرآنيّة التي استأثرت باهتمام شعرائنا، نذكر ما يلي:

1) الإيمان بالله:

الإيمان بالله هو أوّل علاقة بين العبد وربّه[2]، وهو« الإذعان والتّصديق المطلق بالقلب والإقرار باللّسان».[3]

فمهمّة القرآن الأساسيّة هي الدّعوة إلى الإيمان بالله، والاستدلال على وجوده، بدعوة العقل الإنسانيّ إلى التأمّل في السّماوات والأرض وما فيهما. قال تعالى:{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.[4]

---

[1]) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، شلتاغ شراد، ص 37.
[2]) **عن الإيمان بالله وشروطه، ينظر**: صحيح البخاري، باب الإيمان، ج1، ص 11 وما بعدها، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
[3]) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، ج2، ص 47، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1969م.
[4]) سورة النحل: الآيات 10- 11.

لهذا احتلّت مسألة الإيمان بالله- باعتبارها الخطوة الأولى في التّربية والإصلاح- مركزا ساميا من اهتمام الشّعراء الجزائريّين، رغبة منهم في تقويّة الجانب الرّوحي في النّفوس. وقد اهتدى بعضهم بنهج القرآن الكريم في تذكير الإنسان بخالقه وتقوية إيمانه به، حتّى تتوقّد جذوة الإيمان في النّفوس، ويزداد الإنسان يقينا بوجود الله. قال تعالى:{ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً}.[1]

فنجد الشّاعر إبراهيم التّازي(ت:866هـ)، يستلهم طائفة من المعاني القرآنية لتحفيز النّفوس على حبّ الله تعالى وذكره، والتّمسّك بدينه قائلا:

حسامي ومنهاجي القويم وشرعتي *** ومنجاي في الدارين من كلّ فتنة
محَـبّـة ربّ العالميـن وذكْـره *** على كلِّ أحياني بقلبـي ولهجتـي
وأفضلُ أعمَالِ الفتى ذِكْـرُ رَبِّـه *** فكُـن ذاكرا يذْكُـرك ربّ البرية[2]

ويقول كذلك في نفس المعنى:

جمال الله أكمل كل حسن *** فللّه الكمال لا مُمَـار
وذكر الله مرهم كلّ جرح *** وأنفع من زلال للأوار
ولا موجود إلا الله حقّـا *** فدع عنك التعلق بالشفار[3]

ولأنّ الشّاعر الجزائري يؤمن بأنّ الله قويّ عزيز، لا يَقْوى أيّ مخلوق على مغالبته، بل إنّ الوجوه لتعنوا له صاغرة، نجد ابن مرزوق الخطيب(ت:781هـ)، حين ضاقت به الأحوال لجأ إلى الله تعالى، يشكو إليه ما أصابه وألمَّ به من حسد الحاسدين قائلا:

رفعت أموري لباري النّسم *** ومُوجدنا بعد سَبْـق العـدمْ
مُمِيت الخلائق بعد الحيـاة *** ومنشي العظام ومحيي الرمم
أمولاي هب لي صبرا على *** هُمُـوم توالت وضُرٍّ وألـم
وأنت العليم بمَنْ كـادنـي *** بسوء ومنِّي اشْـتـفى وانتقم
وأنت القدير عليهم وأنـت *** تُجِيرُ الذي بحِمَـاك اعتَصَـم

---

[1]) سورة النساء: الآية 162.
[2]) البستان، ص 58.
[3]) المصدر نفسه، ص 60.

أيا مالك الملك يا عُــدّتـــي *** ويا كاشف ما حلّ بي من سقم
فيا أرحم الراحمين ويـــــا *** كريما تحِبّ السّـــخا والكَــرم[1]

2) **التّوحيد**:

أوّل ما يجب على الإنسان المسلم معرفته، هو أنّ الله واحد لا شريك له، وأنّه المعبود الحقّ خالق كلّ شيء. يقول الله تعالى:{ اللّهُ لاَ إِلـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ}.[2] ويقول تعالى واصفا نفسه بالوحدانيّة والعبوديّة{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي}.[3] لهذا نجد القرآن يدعو الإنسان المسلم إلى التّدبّر في ملكوت الله، وذكره بصفاته وأسمائه الحسنى. ففي أبيات الشّاعر ضيف الله المزمري(ت:1160هـــ) دعوة إلى توحيد الله، وتفويض الأمور إليه، حيث يقول:

الله ربِّـــي لا إلـــه سِـــــواه *** ما خاب مُضْطَرٌّ دعـــا مولاه
وإليه أَمْرِي في الحوادِثِ كلّها *** فوّضت جزما أنّنِي أكْـــفاه[4]

فتوحيد الله يستدعي التّسليم له بالقُدرة، فإن دعا العبد فليدعو الله، وإذا اشتكى فليشتكي لله، وإذا أخطأ فليستغفر الله، فمردّ كلّ أموره إلى الله.{ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}.[5]

لهذا نجد الشاعر الجزائري يفوّض أمروه كلّها لله، من ذلك قول الشاعر أحمد البرنسي (زروق)(ت:899هـــ) متوجّها إلى الله:

ووجّهتُ وجْهي للّذي فَطَرَ السّما *** وأعرضتُ عن أفلاكها المستنيرة
فسبحان من يهدي العباد بفضله *** ويَفْتَح أبواب القُـــلُـــوب بمِـــنّـــة
..وشغلي بذكر الله في كلّ لحظة *** وألْهج باسْم الله نومي ويقظـــتي[6]

ومن ذلك قول الشّاعر محمد الكَنْتي(ت:1226هـــ) يشكو إلى الله:

---

[1]) إرشاد الحائر، ج1، ص 280.
[2]) سورة البقرة، الآية 255.
[3]) سورة طـه، الآية 14.
[4]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 56.
[5]) سورة غافر، الآية 44.
[6]) البستان ، ص 45.

أشكو إلى الله لا أشْــكو إلى النّــاس *** فقري ودُلّي وتقصيري وإفلاسي
فالْطُف بنا في مجــاري ما تقْــدُرُه *** يا مَن مقاديره تجري بقِسْطـــــاس
واصحب بلطفك في الحالات يا صمد *** واجعل بذكرك ربي طيّبَ أنفاسي[1]

3) **القضاء والقدر**:

لا يكتمل إيمان الإنسان حتّى يُؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشرّه.[2] والإقرار باستسلامه لله، والاعتراف بعدالته.« فالقدر هو ما كُتِبَ على العبد وقُدِّرَ عليه في حياته، أمّا القضاء، فهو نفاذُ الأمر الذي قُدِّرَ عليه».[3] قال تعالى:{ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.[4] فعلى الإنسان أن يعمل ويسعى، فإذا جاء القدر بما لم يكُن يتمنّاه فعليه أن يرضى ويصبر، لأنّ لله في قضائه حِكَمًا لا نُدْرِكها.

وقد كان الشّاعر الجزائري مؤمن بقضاء الله وقدَرِه، مُذْعِنٌ له لا يتَبَرّم ممّا نزل به. وفي هذا المعنى يقول الشّاعر أحمد المناوي الورنيدي(ت:930هـــ):

رضِيتُ بقِسم الله ثُــمّ اختياره *** وجنّبت نفسي السّعي حول اغتياله
وفوّضت أمري للذي هو عالم *** بأسباب إصلاح الفتى واخْتِبَــاله
وأيْئست قلبي من رجا غير ربِّهِ *** لجَلْبِ مُنَاه أو لسَلْبِ اعْتِلالِــه[5]

وبما أنّ قضاء الله لا مفرّ منه ولا اعتراض عليه، يقول الشّاعر ابن خميس التّلمساني:

وما لامرئ عمّا قضى الله مهرب *** ولا لقضاء الله نقض ولا فسخ[6]

وقال الشّاعر ابن مبروك الجعفري في الرّضا بقضاء الله:

يقضي بحكم سويّ لا مردّ لِمَا *** قضاه يفعل ما يشاء إن يُرِد[7]

وفي نفس المعنى قال الشّاعر ابن ميمون السّنوسي:

فكان الذي قد شاء الله وقضى *** وأبرزه في اللوح عن قلمٍ سطرُ[1]

---

[1]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 61.
[2]) **من حديث رواه عمر بن الخطاب، ينظر**: صحيح مسلم، ج1، ص 129، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
[3]) القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، عبد الكريم الخطيب، ص 152، دار المعرفة، بيروت، دت.
[4]) سورة التوبة: الآية 51.
[5]) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم المديوني، ص8.
[6]) بغية الرواد، يحي بن خلدون، ج1، ص 110.
[7]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 95.

فحين نزول القضاء، ما على المسلم سوى الصّبر، قال تعالى:{ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ}.[2]

وفي هذا المعنى قال الشّاعر أبو عبد الله محمد ابن الكمّاد(ت:712هـ) يدعو إلى الصّبر:

عليك بالصبر وكُنْ راضيا *** بما قضاه الله تلقى النّجاح[3]

فالقارئ لهذه الأبيات، يستنتج أنّ الشّاعر الجزائري مهيّؤٌ دائما لقبول حُكْم الله بنفس راضية مُطمئنة، لأنّ المؤمن الحقّ يرضى بما قدّره الله عليه، سِيَما أنّ جزعه لا يردّ عنه هذا القضاء.[4]

فقد استعان هؤلاء الشّعراء في تقرير حقيقة القضاء والقدر من المعاني المتردّدة في القرآن الكريم، كالمعنى الذي أخذه ابن خميس، والجعفري من قوله تعالى:{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}.[5] والمعنى الذي أخذه ابن الكمّاد من قوله تعالى:{ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.[6] وغيرها من الآيات التي جاءت لتقرير هذه الحقيقة.

4) <u>الاستغفار</u>:

قد يقترف الإنسان المسلم ذنوبا، ليس عنادا وإصرارا، إنّما غفلةً وسهواً، فلمّا كان إيمانه قويّاً، وعقيدته راسخة، يعود إلى ربّه معترفا بتقصيره وذنوبه، يلوم نفسه الأمّارة بالسّوء تائبا مستغفرا. قال تعالى:{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.[7]

وقال تعالى:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.[8]

---

[1]) زهر البستان، ورقة 24 وجه.
[2]) سورة البقرة: الآيتان 155- 156.
[3]) الإحاطة، ابن الخطيب، ج3، ص 26- 28.
[4]) مجلة التراث الأدبي، مقالة للدكتور: عبد القادر هنّي، بعنوان "المعاني القرآنية في الشعر الجزائري الحديث"، عدد 49، دمشق، 2005م.
[5]) سورة الأحزاب: الآية 36.
[6]) سورة لقمان: الآية 17.
[7]) سورة آل عمران: الآية 135.
[8]) سورة الزمر: الآية 53.

وهكذا فعل الشّاعر الجزائري، إذْ أقْبَل على الله مُعْترفا بذنوبه وخطاياه، خائفا من عقابه، راجيا عفوه ومغفرته، من ذلك قول المولى أبي حمّو الثّاني(ت:791هـ):

يا ربّ ذنوبي قد عظُمت *** فامْنُــن بالعفْوِ لمُجْترِمِ
يا ربّ سألتك تغْفِــر لي *** بشفِيع الخَلْقِ مِن الأمم
أدعُــوك إلهي مُعْتَــذِرًا *** في ضوء الصّبح والظّلم[1]

ومن ذلك قوله أيضا:

يا من يجيب المضطر في الدّيج *** ويكشف الضرّ عن الضيق والفرج
ولطف رحمتِــه يأتي على قنط *** إذا القنوط دعا يا أزمة انْــفَــرجي
إنّي دعوتك جُنْحَ اللّيْل يــا أملي *** دُعَاء مُبْتَهــلٍ بالعَفْوِ مُنْــتَــهــج
واجعل لنا مخرجا في إثره فرج *** فكم تُعَامِــل بعد الضّيق بالفَــرج[2]

فهو يُشير في البيت الأوّل من هذه المقطوعة إلى قوله تعالى:{ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}.[3] ويُشير في البيت الرابع إلى قوله تعالى:{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً *وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.[4]

5) **<u>الحياة والموت</u>:**

قد تعَرَّض الشّاعر الجزائري لمعاني الحياة والموت، حيث استمدّ نظرته للدّنيا من توجيهات القرآن الكريم، فهي دار لهوٍ ولعبٍ، وهي دار الغرور.

قال تعالى:{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}.[5]

وقال تعالى:{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }.[6]

فالشّاعر إبراهيم التّازي حين أراد أن يذُمّ الدّنيا ويحذّر من غرورها، استلهم معنى هاتين الآيتين في قوله:

---

[1]) أبو حمو موسى، حاجيات، ص 338.
[2]) بغية الرواد، ج2، ص 152- 153.
[3]) سورة النمل: الآية 62.
[4]) سورة الطلاق: الآية 2- 3.
[5]) سورة الأنعام: الآية 32.
[6]) سورة الحديد: الآية 20.

لا تغتر بغرورها فمتاعها *** عَرَضٌ مُعدّ للزوال وللفنا

لَعِبٌ ولَهْوٌ وزِينَة وتَفَاخُرٌ *** لا تخدعنّك جنانها مُرّ الجنا[1]

فلا يجب اعتبار الدّنيا دار الخلود، بل هي معْبَرٌ إلى الدّار الآخرة، ولا يكون ذلك إلاّ بالموت، « فعندما خلق الله البشر، لم يَدَعْهُم يعيشون على الأرض عبثا، إنّما أَوْجَدَهُم ثمّ جعل الموت يعْتَرِض حياتهم، فهو نقطة فاصلة بين مرحلتين من الوجود».[2]

فالموت محْتُوم على كلّ نفسٍ، مِصْداقا لقوله تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}.[3]

لهذا نجد الشّاعر بركات العروسي القسنطيني(ت:897هـ) يحذّر المذنبين من الموت، قائلا:

يأيها العبد المسيء الجاني *** أَوَمَا علِمْت أنّ عُمْـرَك فـان

أتظنّ أنّك دائم ومُخَـلَّـدٌ *** والموت محتوم على كلّ إنسان[4]

ويتحدّث الشّاعر الجزائري عن الموت إذا فقَدَ عزيزاً عليه، فالموت نهاية حتميّة لكلّ البشر، فأخذ شعراؤنا هذه الفكرة وأعْطَوْها دلالة خاصّة ترتبط بما جاء في القرآن الكريم.

فابن خميس التّلمساني في قوله:

وأتى المَشِيبُ يزورني مُتَفَقّدا *** والشّيب أبْغَضُ زائِـرٍ يتَفَقّدُ

تآكلتْنِي ريْـثَـة لَـمْ أدْرِها *** في نهضتي ولكل شيء موعد[5]

نجده يستلهم المعنى الوارد في قول الله تعالى:{ لِكُلِّ أجَلٍ كِتَابٌ}.[6]

---

[1]) تعريف الخلف، ج1، ص 235.

[2]) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي، ص 151، دار الهدى، الجزائر، 1990م.

[3]) سورة آل عمران: الآية 185.

[4]) إرشاد الحائر، ج1، ص 347.

[5]) المنتخب النفيس في شعر ابن خميس، عبد الوهاب بن منصور، ص 107، مطبعة بن خلدون، الجزائر، 1365هـ.

[6]) سورة الرعد: الآية 38.

و نجد المولى أبي حمّو الثاني يستلهم معنى قول الله تعالى{ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا}.[1] في رثاءه لأبيه أبي يعقوب(ت:763هـ)، قائلا:

أين الذين بنوا من قبلنا ونأوا *** وشيّدوا أطما واستوطنوا الغرفا

الموت باب وكل الناس داخله *** والعبد يُجزى بما جنى واقترفا[2]

6) **عذاب الآخرة:**

بعدما يموت الإنسان يُبْعَث يوم القيامة، ثمّ يُحاسب على أعماله، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار. وقد كَثُرَ الحديث في القرآن عن اليوم الآخر، فتأثّر شعراؤنا بالمعاني التي جاءت لوصف ذلك، واستخدموها في أشعارهم، من ذلك –مثلا– وصف النّار وما فيها من عذاب للكافرين، حيث نلتقي بعبارات: الجحيم، ولظى، والحطمة، وغيرها.

من ذلك قول ابن ميمون السّنوسي يتحدّث عن يوم القيامة:

يوم حرٍّ مذهل يلتهب *** يوم لا ينفع فيه الكذب[3]

فقد استلهم الشّاعر قول الله تعالى:{ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.[4]

ومن ذلك قول الشاعر عبد المؤمن المديوني، في حديثه عن مصير من كفر برسالة محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم):

وقام يدعو الورى لله مُجْتهـــــدا *** من كان منهم على نأي ومن قرُبا

فمن أجابه نجى من حرّ نار لظى *** وقد كَفَاهُ الإله الأيْــنَ والنّــعَــبا

ومن عصاه فمَثْواهُ الجحِيم غــدًا *** يُسْقى حمِيما فما يُرْوَى إذا شَرِبا[5]

فقد استلهم الشاعر المعنى في صدر البيت الأخير من قول الله تعالى:{ فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}.[6] واسْتلْهَمَ معنى عَجُز البيت من قوله تعالى:{ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ}.[1]

---

[1]) سورة الروم: الآية 9.
[2]) زهر البستان، ورقة 84 وجه.
[3]) زهر البستان، ورقة 61 وجه.
[4]) سورة الشعراء: الآيتان 88- 89.
[5]) زهر البستان، ورقة 45 وجه.
[6]) سورة النازعات: الآيات 37- 38- 39.

7) **الجهاد في سبيل الله:**

لقد أدّى احتلال الإسبان للسّواحل الجزائريّة في القرن التاسع الهجري، إلى نهوض مجموعة من الشّعراء لحثّ الجزائريّين على الجهاد لطرد الإسبان من مُدُنهم وسواحلهم، وحضّ الحُكّام والوُلاة على تجهيز الجيوش في سبيل ذلك. فنجد الشّعراء يُذكّرُون النّاس بما كان للمسلمين الأوائل من انتصارات في حروبهم ضدّ المشركين، كانتصارهم في غزوة بدر. قال تعالى:{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.[2]

ففي ذلك قال الشاعر ابن سحنون الرّاشدي يحثّ الجزائريّين على الجهاد:

أيا أمّة غلبت عليها حُــلُومــها *** وأصبح داعي المشركين يسومها

ألا تذكروا أمر الجِــهــاد فإنّه *** به ملّة المختار صَــحّ سَقِيمُــها[3]

ونجد الشّاعر محمد بن المهدي الجزائري(ت:1116هـ) في حثّه على جهاد الإسبان، يُشبّه المقاتلين الجزائريّين في إحدى معاركهم بمقاتلي بدر الذين قال الله فيهم،{ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ }.[4] وذلك في قوله:

وتأهَّــبت فرســانــنا لقتالِــهم *** والخيل ترفل في السروج وتصهل

باعوا النّــفوس بجنّة من ربهم *** أكْــرِمْ به بيْعًا وربْحًا يحْــصُــل[5]

وفي البيت الثاني يستلهم الشّاعر معنى قوله تعالى:{ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.[6]

ثمّ نجد الشّاعر ابن سحنون يُذكّر الجزائريّين بما ينتظرهم من الثّواب عند الله إن هم انتصروا، و نَيْل الشّهادة إن هم قُتِلوا في سبيل الله، وذلك في قوله:

ألا تنفروا لله في طَــلَــبِ العِــــــدا *** عسى يُسَــمّى مُــباحــا حريمُها

ومن مات منكم في تلك المواطن منكم *** فجنّة عَــدْنٍ داره ونَعِيمُــــــها[7]

---

[1]) سورة محمد: الآية 15.
[2]) سورة آل عمران: الآية 123.
[3]) الثغر الجماني، ص 162.
[4]) سورة الأنفال: الآية 42.
[5]) التحفة المرضية، ص 285.
[6]) سورة التوبة: الآية 111.
[7]) الثغر الجماني، ص 162.

ففي البيت الأوّل إشارة إلى قوله تعالى:{ انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.[1] وفي البيت الثّاني إشارة إلى قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.[2]

ويتحدّث الأديب عبد الرحمن الجامعي عن الداي بكداش وجنوده الذين سخّروا أنفسهم للدّفاع عن الشّواطئ الجزائريّة قائلا:

جيوش بها الإسلام عَـــزَّ مَناله *** فأصْبَـــح ديــن الله مُبْتَسِم الثّغر
فما شَغَلَهُمْ إلاّ الجهاد جَـــزاهم *** إله الورى خيرا يفوق على الحصر
فمن مات فينا بالشّهادة فائـــزٌ *** ومن مات منهم كُبَّ في لهب الجمر[3]

ففي صدر البيت الثالث إشارة إلى قوله تعالى:{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.[4]

وفي عَجُزه إشارة إلى قوله تعالى يُخاطب الكافرين يوم القيامة:{ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ}.[5]

وقد لا يكتفي الشّاعر الجزائري باستلهام معنى الآية القرآنيّة، بل نجده أحيانا يقتبس الآية القرآنية كاملة،[6] دون التصرّف في ألفاظها. لأنّه يرى أنّها تخدُمُ المعنى الذي يُريده، ولأنّ مضمونها يُساعده على إخراج ما كَمَنَ في نفسه.

من ذلك قول الشاعر الثّغري يتحدّث عن معجزة الإسراء والمعراج، قائلا:

دنا فتدلّى قاب قوسين وجهة*** وليس دُنُـــوًّا بالمسافة فاعْــلمُ
فناجاه الله بأسْــرار غَيْــبيّة *** وعلمه ما لم يكن من قبل يعلم

---

[1]) سورة التوبة: الآية 41.
[2]) سورة الصف: الآيات 10- 11- 12.
[3]) التحفة المرضية، ص 282.
[4]) سورة آل عمران: الآية 169.
[5]) سورة المرسلات: الآية 30- 31.
[6]) **عن الآية القرآنية وخصائصها، ينظر**: (إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 42 وما بعدها). و(مجلة كلية الآداب، جامعة الأزهر، مقالة للدكتور محمد سعيد بعنوان:" نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني، ص 84، عدد 21، مصر، 1423هـ).

وأعظمها القرآن يزداد جِدّة *** بطول المدى تكراره ليس يُسأم[1]

فإنّنا نجده في البيت الأوّل قد اقتبس قوله تعالى:{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}.[2]

وفي عَجُزِ البيت الثاني اقتباس لقوله تعالى يُخاطب نبيّه محمد (ص):{ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}.[3]

أمّا الشاعر الشريف البونصي فقد هجا أعداء الدّاي بكداش، مشبّها لهم بأعداء رسول الله (ص) بقوله:

فقلنا لهم "موتوا – كما قال ربنا– *** بغيظكم فالفضل عنّا تبجّسا[4]

فإنّنا نلاحظ أنّه اقتبس قوله تعالى:{ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.[5]

وفي حثّ الشاعر القوجيلي للجزائريّين على قتال الإسبان في قوله:

إن تنصروا الله العظيم جلاله *** ينصركم وهو الأعزّ نصير[6]

نلاحظ اقتباسه لقوله تعالى يُبشّر المؤمنين بالنّصر:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.[7]

وللشّاعر محمد المهدي الجزائري(ت:1093هـ) في وصف معركة من معارك الدّاي بكداش مع الإسبان قوله:

إمَامٌ سقى الكُفّـــار كـــأسَ منيّـــةٍ *** لهُـــم شُبُه بالنّمل والسيف حاطم

..ومزّقهم في الأرض كلّ مُمَزّقٍ *** فَرَبْعُـــهُـــم بعد العمارة طاســـم[8]

فنجده في البيت الثاني قد اقتبس قوله تعالى:{ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}.[9] فهو يُشبّه انهزام الإسبان، بالعذاب الذي أرسله الله على قوم سبأ بعدما كانوا آمنين، ففرّقهم في البلاد شِيَعا.

وحين يتحدّث الشاعر الثّغري عن قبلة المسلمين "الكعبة" في قوله:

---

[1]) زهر البستان، ورقة 84 وجه.
[2]) سورة النجم: الآيتان 8- 9.
[3]) سورة النساء: الآية 113.
[4]) التحفة المرضية، ص 156.
[5]) سورة آل عمران: الآية 119.
[6]) التحفة المرضية، ص 204.
[7]) سورة محمد: الآية 7.
[8]) المصدر السابق، ص 290.
[9]) سورة سبأ: الآية 19.

طاف الأنـــام بكعبة الله التـــي *** لم يجعل البيت الحرام سواها

واختارها لنَبيّـــه في قولـــــه *** "لَـــنُوَلِّيَنَّـــك قِبْلَـــةً تَرْضَـــاها"[1]

نجده في عَجُز البيت الثاني قد اقتبس قوله تعالى مُخاطبا نبيّه (ص):{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}.[2]

وللأديب أحمد المقري التلمساني(ت:1041هـــ) قصيدة تحدّث فيها عن نعيم الجنّة الذي ينتظر من أحبّ صحابة الرسول (ص)، قال في أبيات منها:

فيَمِينَـــنَا إنّ مَـــنْ يهواهـــم *** ليَكُونَـــنّ مِنْ أصحاب اليمين

وسْطَ جنّـــاتٍ تُحَيّـــيه بـــها *** آنسات قاصرات الطرف عين

بقوارير لُـــجَـــيْن شُـــرْبُـــهُ *** وأبـــاريق وكأس مِن مَعِـــين[3]

فهو في البيت الثاني اقتبس قوله تعالى في وصف الجنّة:{ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}.[4]

وفي البيت الثالث اقتبس قوله تعالى:{ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ}.[5] فهو لم يكتفِ بمعاني الآيتين، بل اقتبسهما كاملتين ليؤدّي المعنى الذي في نفسه.

وللشّاعر المنداسي في الشّكوى من أهل زمانه، قوله يُشبّههم بالأنعام قائلا:

أيا أهل الزمان في السّمع وقر *** أم غدا الطرف بالرّدَى مكحولا

لا أرى الناس فيه إلا كالأنعام *** ولكنّهم أضَـــلّ سَـــبـــيـــــــلا[6]

مُقْتبسا هذا المعنى من قوله تعالى يتحدّث عن الكافرين:{ أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}.[7] وقوله وقوله تعالى:{ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً}.[8]

فبالنّسبة للمنداسي، هؤلاء الذين أضلّهم الله لم يظلمهم، بل جازاهم بما اقترفت أيديهم، فهو يُرْجئ أمرهم إلى الله يوم القيامة، وقد عبّر عن ذلك بقوله:

كم أضل الله قوما ولا يظلم *** في الحكم من أضلّ فتيلا

يوم تبلى النفوس والله يقضي *** وتكون السما كثيبا مهيلا[1]

---

[1]) تاريخ بني زيان، ص 188.
[2]) سورة البقرة: الآية 144.
[3]) نفح الطيب، ج1، ص 111.
[4]) سورة الصافات: الآية 48.
[5]) سورة الصافات: الآية 45.
[6]) ديوان المنداسي، ص 47.
[7]) سورة الأعراف: الآية 179.
[8]) سورة الفرقان: الآية 44.

فقد اقتبس معنى البيت الثّاني من قوله تعالى:{ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً}.[2]

فالمعاني القرآنية التي تتبّعناها في الشّعر الجزائري في هذا المبحث، لا تمثّل حجم الظاهرة، بل هي قليل من كثير، تمثّل فيها الشّعراء الجزائريّين المعاني القرآنية.

ولم نورد كل النّماذج لاجتناب تكرار ما جاء في مبحث أثر الألفاظ القرآنية في الشعر الجزائري.

---

[1]) ديوان المنداسي، ص 47.
[2]) سورة المزمل: الآية 14.

المبحث الثاني: أثر الأسلوب القرآني في الشّعر الجزائري

لقد حظِيَ الأسلوب عند العرب باهتمام بالغ، خصوصا حين وقفوا عاجزين أمام أسلوب القرآن الكريم، فذهبوا يبحثون عن سرّ هذا الإعجاز، وسبب انبهارهم بهذا الأسلوب، رغم أنّه جاء بلغتهم وتعابيرهم.

فالأسلوب عند الجرجاني، هو« ضرب من النّظم، وطريقة فيه».[1] وبتعبير أدقّ الأسلوب هو« الطّريقة الكلاميّة التي يسلكها المتكلّم في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، أو هو المذهب الكلاميّ الذي انفرد به المتكلّم في تأديّة معانيه ومقاصده من كلامه».[2] هذا عن أسلوب المتحدّث، أمّا أسلوب الأديب والمؤلّف، فهو« طريقة في الكتابة، ومذهب في التّعبير عن الأفكار والمشاعر، ووجهٌ من أوْجُهِ إفصاح الكاتب عن شخصيّته المتميّزة عمّا سِواه».[3] وليس ضروريّا أن يكون أسلوب الكاتب أو الأديب متكلّفا، يمتلئ بالغريب والصّنعة حتّى يكون جميلا، بل يكفي تجنّب السّوقيّ والوحشيّ، وعدم الاشتغال بتهذيب الألفاظ، والتّنقيب عن غرائب المعاني.[4]

هذا عن أسلوب البشر، أمّا أسلوب القرآن الكريم فهو« طريقته التي انْفَرَد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن أسلوب خاصٌّ».[5]
فالقرآن رغم نزوله بلغة العرب، إلاّ أنّهم عجِزوا عن الوصول إلى أسلوبه الفذّ، ومذهبه الكلاميّ المُعْجِز، ورغم أنّه جاء« كتاباً عربيّاً جارياً على مألوف العرب من هذه النّاحية...فمن حروفهم تألّفت كلماته، ومن كلماتهم تألّفت تراكيبه...».[6]

فأسلوب القرآن وجهٌ من وجوه إعجازه، ذلك أنّ له نظامٌ خاصّ في أداء المعاني، فالمُتأمّل لآيات القرآن يجده نسيج وحده في النّظم والتّأليف، متميّزًا بعدّة ميزات،[7] منها

---

[1]) دلائل الإعجاز، ج1، ص 338.
[2]) مناهل العرفان، الزرقاني، ج2، ص 218.
[3]) المعجم الأدبي، حبور عبد النور، ص 20، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
[4]) البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص 139.
[5]) مناهل العرفان، الزرقاني، ج2، ص 218.
[6]) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[7]) **لمزيد من التفصيل في خصائص الأسلوب القرآني، ينظر**: التعبير الفني في القرآن الكريم، ص 177 إلى ص 208.

إثارة العقل والعواطف، حيث يعمد أسلوب القرآن إلى إثارة وجدان القارئ أو المُستمع، وتحريك مشاعره، فهو« لا يعتمد على التّفكير وحده ليُقْنع، ولكنّه يتّكئ على الوجدان ليستميل».[1] كما نجد القرآن في أسلوبه، يُخاطب جميع المستويات البشريّة في آن واحد، مهما اختلفت أفهامهم، واختصاصاتهم، ومستوياتهم العلميّة.« فللآية القرآنية سطح يفهمه الإنسان العادي، وجذر يفهمه المثقف ثقافة عامة، وعمق يفهمه المتخصِّصُ الرّاسخ في العلم».[2]

و يتنوع أسلوب القرآن تبعا لتنوع المواضيع والأغراض، فالقرآن يوافق بين الموقف والأسلوب الذي يقتضيه على نحو من الدقة تبلغ حد الإعجاز. فهناك اختلاف بين الأسلوب في السور المكية، والأسلوب في السور المدنية؛ فالأسلوب المكي «هو أسلوب خطابي متّقد، شديد الوقع، قوي التأثير،...يتألف من فقرات وجمل قصيرة رنّانة يغلب عليها التّسجيع.قال تعالى:{ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ *فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}.[3] فالكثير من السور المكية على هذا النسق من الأسلوب، الذي تتابع فيه معاني الإنذار والوعيد. أما الأسلوب المدني، فهو أسلوب يعتمد الحجاج والجدال، ليخاطب العقول، فهو يتّسم بالهدوء».[4]

فهذه الخصائص التي امتاز بها الأسلوب القرآني، جعلت شعراءنا يفتتنون به، مُستِخدمين إيّاه في إضفاء جمال تعبيريّ على معانيهم، فترك ذلك أثراً واضحًا في أشعارهم. ومن ذلك، التّأثر بالأسلوب الخبري في القرآن الكريم.

1) **<u>الأسلوب الخبري</u>**: إنّ تأثير الأسلوب الخبري القرآني في الشّعر الجزائري كبير، فمن الأساليب الخبريّة في القرآن الكريم، حديثه عن أهوال يوم القيامة وما سيكون فيها، فممّا يُخبرنا به القرآن، أنّ الإنسان سينسى أباه وأمّه وأهله جميعا من هول ما يراه في ذلك اليوم. قال تعالى:{ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}.[5]

---

[1]) من بلاغة القرآن، ص 37.
[2]) تأملات قرآنية، موسى إبراهيم، ص 110.
[3]) سورة المدثر: الآيات 8- 9 – 10.
[4]) المعجزة القرآنية، ص 110.
[5]) سورة عبس: الآيات 34- 35- 36.

فالشّاعر عبد المنعم الغساني الجزائري (ت:670هـ) في حديثه عن يوم القيامة، استعمل نفس أسلوب القرآن في قوله:

لكُـلِّ نبِـيّ دعوة مُـسْـتجابـة *** وسَيّـدهـم طُـرًّا خَبَّـاها لأُمّـتـه

إلى يوم لا يغني عن المرء منطق *** فصيحٌ ولا يُـدلي البليـغ بحُـجّـته

ويوم يَـفِـرّ المرء مِن ولَـدٍ لـه *** حبيبٍ ولا يَـجْـزي أبٌ بأُبُـوّتِـه [1]

فالمُلاحظ في البيت الثاني أنّ الشّاعر استعمل أسلوب الإخبار مُحاكيا ما جاء في قوله تعالى:{ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}.[2] وفي قوله تعالى:{ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}.[3]

كما استمدّ أسلوبه في البيت الثالث، من قوله تعالى:{ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}.[4]

ووظّف الشّاعر المنداسي أسلوب الخبر في حديثه عن الحساب يوم القيامة، فقال:

كلّ ما قاله الإنسان بِلَـيْـلٍ *** كان عنه الفتى غدا مسؤولا

يوم تبلى النفوس والله يقضي *** وتكون السما كثيـبا مهيلا[5]

فالبيت الأوّل ينقلنا مباشر إلى قوله تعالى:{ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}.[6] أمّا الشّطر الأول من البيت الثاني فينقلنا إلى إخبار القرآن عن يوم الحساب، في في قوله تعالى:{ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}.[7] وفي الشّطر الثاني من البيت إلى قوله تعالى:{ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً}.[8]

2) **<u>الأسلوب الإنشائي</u>**: ينقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين: طلبي، كالأمر والاستفهام والنداء. وغير طلبي، كالتعجّب والقسم.

* <u>الأمر</u>:

---

[1]) عنوان الدراية، الغبريني، 124.
[2]) سورة غافر: الآية 52.
[3]) سورة الدخان: الآية 41.
[4]) سورة عبس: الآيات 34- 35- 36.
[5]) ديوان المنداسي، ص 47.
[6]) سورة الإسراء: الآية 36.
[7]) سورة الطارق: الآية 9.
[8]) سورة المزمل: الآية 14.

يُطالعنا أسلوب الأمر في الشّعر الجزائري خصوصا إذا كان الشّاعر في معرض النّصح والتّحذير. فالشّاعر عبد المؤمن المديوني في حديثه عن يوم القيامة يقول:

اقرأ كتابك وانظر ما جنيت به *** اليوم أجزي الورى كل بما كسبا[1]

فالقارئ لهذا البيت يتوجّه مباشرة إلى أسلوب الأمر في قوله تعالى:{ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}.[2] فالله سبحانه في الآية، يُخاطب عبده لقراءة كتاب أعماله، حتّى حتّى يُحاسب نفسه بنفسه، فاقتبس الشّاعر هذا الأسلوب ليُعبّر به عن نفس المعنى القرآني.

كما نجد أسلوب الأمر في قول الشّاعر ابن ميمون السّنوسي يحذّر من عذاب يوم القيامة:

يوم قول المرء ماذا أصنع *** وجهنم رمت بالشرر

أيّـــها العاقِـــل هذا اللعب *** لمتى قم فانتبه وازدجر[3]

ففي عَجُزِ البيت الثاني أسلوب إنشائي مستمدّ من قوله تعالى مُخاطبا نبيّه:{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ}.[4]

وللشّاعر عبد الله القلعي(ت:669هـــ) في التّحذير من الدّنيا قوله:

واعمل لأخرى ولا تبخل بمكرمة *** فكـــلّ شيء على حدٍّ إلى قدر

انظر لمن بَـــاد تنْظُـــر آية عجبا *** وعِبْرة لأولي الألباب والعِـــبر[5]

فأسلوب الأمر في البيت الأول يُحيلنا مباشرة إلى قوله تعالى:{ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.[6] أمّا البيت الثّاني فيحيلنا إلى قوله تعالى:{ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}.[7] وقوله تعالى:{ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}.[8]

وللشّاعر أحمد الزواوي(ت:884هـــ) في التّحذير من الدّنيا قوله:

---

[1]) زهر البستان، ورقة 45 وجه.
[2]) سورة الإسراء: الآية 14.
[3]) زهر البستان، ورقة 61 وجه.
[4]) سورة المدثر: الآيتان 1- 2.
[5]) عنوان الدراية، ص 98.
[6]) سورة التوبة: الآية 105.
[7]) سورة يوسف: الآية 109.
[8]) سورة النمل: الآية 69.

فَــدَعْ عنك دنْــيا لا تدُوم وإنّها *** وإن أظْهَرَت حُسْنا يروق ويخدعُ

وبادر لتقوى الله إن كُنت حازما *** هي العُروة الوثقى بها النار تُدفع[1]

فأسلوب الأمر في البيت الأول مُقْتبس من قوله تعالى:{ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً}.[2]

وللشاعر ابن عليّ الجزائري في التجلّد بالصّبر قوله:

قالوا تَجَلّــدْ لا يَضُرّ بــك الأسى *** إنّ التَجَــلّــد بالمرء أَلْــيَق

و تدَرّعْ الصّبر الجميل صيــانة *** فالصبر أحكم ما يكون وأوثق[3]

فقد استعمل الشاعر في البيت الثاني أسلوب الأمر الوارد في قوله تعالى يحثّ رسوله محمد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) على الصّبر:{ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً}.[4]

وقد استعمل الشّاعر محمد الودغادي[5] أسلوب الأمر في النّصح، قائلا:

بحَوْل الله فاستهل وادعُ واستــقم *** ولا تتّبع نهج الضّغام أوّل العوْق

فإنّ قرين السّــوء كالكير شِبْــهُهُ *** يُصيب الجليس بالدخان وبالحرق[6]

فالأمر في البيت الأول يُحيلنا إلى قوله تعالى:{ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ}.[7] هذا الأمر مُوجّه من الله تعالى إلى الرسول (ص)، فاقتبسه الشّاعر ليبلّغ رسالة نصح وإرشاد إلى عامّة المسلمين.

ويقول الشاعر القوجيلي مخاطبا أعداءه:

دَعْــهُــم وما هُمْ عليه لا تَلُــمْ أحدا *** مِــنْــهــم لغيّ وألقــاه في سقرا

متى نَصَحْتَ امرأ منهم يخَالُــك قــد *** حسدته فهو أعمى القلب ما شعرا[8]

مُستعينا بأسلوب الأمر الذي يُفيد النهي في قوله تعالى:{ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}.[9]

---

[1]) تعريف الخلف، ج1، ص 40.
[2]) سورة الأحزاب: الآية 48.
[3]) أشعار جزائرية، ص 68.
[4]) سورة المعارج: الآية 5.
[5]) هو الشاعر محمد بن أحمد الودغادي التواتي، من علماء توت في القرن 11 هـ.
[6]) الحركة الأدبية بمنطقة توات، ص 45.
[7]) سورة الشورى: الآية 15.
[8]) أشعار جزائرية، ص 129.
[9]) سورة المعارج: الآية 42.

أمّا ابن خميس التّلمساني فيستخدم أسلوب الأمر في آخر قصيدته يمدح شعره، قائلا:

وهنّ بُنيّات فكري وقد *** أتينك فاخفض لهن الجناحا[1]

فأسلوب الأمر في الشّطر الثاني من البيت (فاخفض لهنّ الجناحا)، مُقْتَبَسٌ من قوله تعالى يأمر العبد المؤمن بإطاعة والديه والقيام برعايتهما:{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}.[2]

فكأنّما يُشبّه الشّاعر أفكاره في قصيدته بالوالدين، ويطلب من الممدوح رعايتها، وذلك بإجزال العطاء له عن مدحه.

ويستخدم الشّاعر ابن سحنون الأمر في حثّه على الجهاد، قائلا:

لا يقوم له البناء وإن كان *** كَمِـثْـل أصحـاب عـاد

ويُدافع دائما عَـن أُنَـاس *** جاهدوا في رضاه حقّ جهاد[3]

فعجُز البيت الثاني يُحيلنا إلى قوله تعالى:{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}.[4] لكن الشّاعر اقتبس أسلوب الأمر، واستخدمه في أسلوب خبري مُحْتفظا بالمعنى فقط.

ومن أسلوب الأمر كذلك، الدّعاء الذي كَثُرَ في الشّعر الجزائري، وقد جاء بأوجه مُتعدّدة في موضوعات الشّكوى والاستغفار والتضرّع إلى الله.

من ذلك قول الأديب ابن مرزوق الخطيب(ت:781هـ) يتضرّع إلى الله:

أمولاي هَـبْ لي صبرا على *** هُمُـوم توالت وضُـرّ وألم

أيا مالِـك المُلْـك يـا عُدّتي *** ويا كاشف ما حلّ بي من سقم

فيـا أرْحَمَ الرّاحِمِيـن ويـا *** كريما تُحِـبّ السّخا والكَـرم[5]

فلفظة (هَبْ) استُعْمِلت كثيرا في القرآن في معرض الدّعاء، كقوله تعالى:{ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً}.[6] وقوله تعالى:{ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}.[7] وقوله تعالى:{ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ

---

[1]) الإحاطة، ج2، ص 240.
[2]) الإسراء: الآية 24.
[3]) الثغر الجماني، ص 262.
[4]) سورة الحج: الآية 78.
[5]) إرشاد الحائر، ج1، ص 280.
[6]) سورة الفرقان: الآية 74.
[7]) سورة الشعراء: الآية 83.

أنتَ الْوَهَّابُ}.[1] والدّعاء في البيت الثاني يُحيلنا إلى قوله تعالى:{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء}.[2]

ونجد الشّاعر في البيت الثالث يدعو الله بأسمائه الحُسْنى مُسْتفيدا من قوله تعالى:{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.[3]

وللمنداسي يدعو ربّه ويرجو رحمته، قوله:

ربّ إنّي ظلمت نفسي ونفسي *** ظَلَمْــتَنِي فصيّرتني ذليــلا[4]

وهو دعاء دعا به نبيّ الله موسى (عليه السلام)، وذلك في قوله تعالى:{ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.[5] ودعته ملكة سبأ في قوله تعالى:{ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.[6]

ومن الأساليب القرآنية التي استعملها الشّاعر الجزائري النّهي، والذي نجده كثيرا في القرآن، فكلّما ورد فيه أمر قابله نهي. فحين يأمر الله تعالى بغضّ الطّرف في قوله تعالى:{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}.[7] يُتْبع ذلك بنهي في قوله تعالى:{ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ}.[8]

فالشّاعر أبو العباس أحمد بن الغماز الأنصاري التلمساني(693هــ) في معرض نصحه وتحذيره من الموت، يقول:

هو الموت فحاذر أن يجيئك بغتة *** وأنت على سوء من الفعل عاكف
وبَــادِرْ بأعمال تسرّك أن تُــرى *** إذا نُشِرت يوم الحساب الصحائف
ولا تَيْــأسَنّ مِــن رحمة الله إنّــه *** لِرَبِّ العبــادِ بالعبــادِ لطائــف[9]

---

[1]) سورة ص: الآية 35.
[2]) سورة آل عمران: الآية 26.
[3]) سورة الأنبياء: الآية 83.
[4]) ديوان المنداسي، ص 47.
[5]) سورة القصص: الآية 26.
[6]) سورة النمل: الآية 44.
[7]) سورة النور: الآية 31.
[8]) سورة النور : الآية 31.
[9]) إرشاد الحائر، ج1، ص 228.

فنجده في البيت الثالث يستخدم أسلوب النّهي الوارد في قوله تعالى:{ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}.[1]

وينصح المنداسي المسلم بعدم اتّخاذ الكفّار أولياء في قوله:

ولا تركنوا والركن منكم سجية *** كأنّك لم تسمع من الله قرآنا[2]

فهو يُحيلنا إلى النّهي في قوله تعالى:{ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}.[3]

* الاستفهام:

يُعدّ الاستفهام من الأساليب القرآنية التي تأثّر بها الشّعراء الجزائريّون، فقد يُخاطب الله عباده بهذا الأسلوب، لا لأنّه ينتظر منهم جوابا– كما هو الأصل في وضع الاستفهام – بل ليَحْمِلَهُم على الإقرار بأمر من الأمور، والاعتراف به.

فنجد المولى أبي حمو الثّاني حين يفتخر بنفسه يقول:

ألم تر إذ جاء السبيع قاصدا *** إلى بابنا يبغي التماس المكارم[4]

فهو في هذا البيت استعمل أسلوبَ استفهامٍ ورد بكثرة في القرآن الكريم، حين يُريد الله جلب انتباه عباده ودعوته لهم إلى التأمّل في ملكوته، أو النّظر في عاقبة الذين ظلموا، وقد تكرّر هذا الاستفهام أكثر من ثلاثين مرّة في القرآن، من ذلك قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}.[5] وفي قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}.[6] وفي قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}.[7]

وللمنداسي في هجاء الأتراك قوله:

ألم تعلم أن الله بالتُّــرك قادر *** وأسرع بطشا منك لو كنت يقظانا[8]

---

[1]) سورة يوسف: الآية 87.
[2]) الثغر الجماني، ص 56.
[3]) سورة هود: الآية 113.
[4]) أبو حمو، حاجيات، ص 317.
[5]) سورة إبراهيم : الآية 19.
[6]) سورة الحج: الآية 63.
[7]) سورة الفيل: الآية 1.
[8]) الثغر الجماني، ص 57.

فهو بقوله (ألم تعلم) يُحيلنا إلى قول الله تعالى:{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[1] وقوله تعالى:{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.[2]

ويتساءل الشّيخ أبهلول المجّاجي في معرض دعائه واستغفاره قائلا:

أمّن يريد الهدى والرشد يطلبه *** ومن يريد النجاة ما بدت لجج[3]

ففي الشّطر الأول من البيت استعمل أسلوبا قرآنيا ورد في قوله تعالى:{ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}.[4] فالله حينا يسألنا لا يحتاج منّا الإجابة، بل هو أعلم منّا بذلك، إنّما يريد أن نُقِرّ بأنّه هو الذي يُجيب المضطرّ إذا دعاه، فنجيب عن سؤاله بأنفسنا وعن أنفسنا.

ويتساءل الشاعر الثّغري عن السّبيل الذي يوصله إلى البقاع المقدّسة قائلا:

أعلّـــل نفسي والتعلل لا يُـــجدي *** وإن كان أحيانا يسكّن من وُجدي

فهل من سبيل والأماني ضُلّـــة *** إلى معهد بالأنس طال بها عهدي[5]

فقوله (هل من سبيل) في البيت الثاني يُحيلنا إلى قوله تعالى:{ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ}.[6] وقوله تعالى:{ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}.[7]

وللمنداسي في معاتبة الإنسان قوله:

أولم تعْلَم أنّ أصلك من ماء *** مهين فكنت خصوما عذولا[8]

فقد وجّه الشّاعر عتابه عن طريق طرح تساؤل، هو في أصله مُسْتَمَدّ من قوله تعالى يُعاتب بني آدم:{ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ}.[9] وقوله تعالى { أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً}.[10]

* النداء:

---

[1]) سورة البقرة: الآية 106.
[2]) سورة الحج: الآية 70.
[3]) تعريف الخلف، ج2، ص 286.
[4]) سورة النمل: الآية 62.
[5]) تاريخ بني زيان، ص 198.
[6]) سورة الشورى: الآية 44.
[7]) سورة غافر: الآية 11.
[8]) ديوان المنداسي، ص 47.
[9]) سورة يس: الآية 77.
[10]) سورة مريم: الآية 67.

استخدم القرآن أداة النّداء (يا) مذكورة ومحذوفة، فهو يستعمل النّداء لجلب انتباه المُنَادَى إلى أمر ذي بال، وقد يَصْحب النّداء في القرآن أمر أو نهي، كقوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ}.[1] وكقوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى}.[2]

فمن أساليب النّداء القرآنيّة التي نهَلَ منها شعراؤنا (يا أيّها)، وذلك في قول الشّاعر عبد الرحمن الحوضي الجزائري يُرثي شيخه محمد السّنوسي(ت:895هـ):

يأيّـــها النّفـــس المقدسة التي *** لبقائها المحمود كان فناؤها

لكن مشيئة ربنا تجري كما *** سبق القضا فلا يُردّ قضاؤها[3]

فهو يستعمل أسلوب النّداء في مخاطبة نفوس المؤمنين حين يتوقّاهم، في قوله تعالى:{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً}.[4]

ومنه أيضا، قول الشاعر بركات العروسي القسنطيني(897هـ) في التحذير من الموت:

يأيها العبد المسيء الجاني *** أو ما علمت بأنّ عمرك فاني[5]

مُستلهما أسلوبه من قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ}.[6] ومن قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم}.[7] وقد تكرّر هذا النّداء أكثر من ثمانين مرّة في القرآن الكريم.

ومنه أيضا، قول الشّاعر عبد المؤمن المديوني يتحدّث عن يوم الحساب:

وقيل يأيها العاصي نسيت ولم *** ينس الرفيقان ما خطّا وما كتبا[8]

فقد استمدّه من قوله تعالى:{ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ}.[9]

ومن أساليب النّداء (يا)، والذي نجده في قول أبي حمو الثاني:

ويا أسفي يوم الحساب ويا أسى *** إذا كان سعيي عندكم غير مرضي[10]

وفي قوله أيضا يستغفر ربّه:

فوا أسفي من ذنوب مضت *** تَقَضّـــيْتُها في زمـــان الصّبا[1]

---

[1]) سورة المدثر: الآية 1- 2.
[2]) سورة البقرة: الآية 264.
[3]) تعريف الخلف، ج2، ص 238.
[4]) سورة الفجر: الآية 27- 28.
[5]) إرشاد الحائر، ج1، ص 384.
[6]) سورة النساء: الآية 1.
[7]) سورة يونس: الآية 23.
[8]) زهر البستان، ورقة 45 وجه.
[9]) سورة الحجر: الآية 6.
[10]) أبو حمو ، حاجيات، ص 345.

فالشّاعر هنا يتأسّف على نفسه مُسْتمدّا أسلوب النّداء الوارد في قوله تعالى:{ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ}.[2]

ونجد نفس الأسلوب في قول الشاعر عبد القادر بن سليمان الجزائري(ت:940هـ) في التصوف:

فيا أسفا لتارك حبْلِ عهْـدِنا *** عَمِـيَ وصَمّ وارتدّ بالقطيعـة

ويا حسرة الذين أتوا ببُعْـدنا *** لما فرطوا في أخذهم للطريقة[3]

فالشّاعر هنا يتأسّف على من ترك إتباع طريقته، مُسْتخدما أسلوب النّداء (يا أسفى). فهو يتأسّف على هؤلاء كتأسّف يعقوب (عليه السّلام) على ابنه يوسف (عليه السّلام).{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}.[4] فكلّ واحد ينادي على من يتأسّف عليه. كما نجد الشّاعر في البيت الثاني يتحسّر على مَنْ عادى طريقته مُسْتخدما أسلوب النّداء في قوله تعالى:{ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون}.[5]

وفي قوله تعالى:{ أن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}.[6]

كما نجد المنداسي يستخدم أسلوب الإنشاء (ويك) في قوله متغزّلا:

ويك قلبي، الشمسُ أضحى نورها *** صِلْ بليل ونهار ما انفصل[7]

ف(وي) كلمة تذكّر وتحسّر وتندّم وتعجّب، كقول: وي عبد الله، وقيل: ويك أصلها ويلك فحُذفت منها اللام.[8] « وقد اختلف النحاة في معنى قوله ه اهنا ويكأن، فقال بعضهم: معناه ويلك اعلم أن، ولكن خُفّفَ فقيل ويك ودَلّ فتح أنَّ على حذف اعلم، وهذا القول ضَعّفَه ابن جرير، والظاهر أنه قويّ ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة ويكأن، والكتابة أمر وضعي اصطلاحي، والمرجع إلى اللفظ العربي»،[9] وقد استعمل الشّاعر (ويك) هنا بمعنى (ويح)، وقد ورد هذا الأسلوب في قوله تعالى:{ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ

---

[1]) بغية الرواد، ج2، ص 137.
[2]) سورة يوسف: الآية 84.
[3]) الشعر الصوفي القديم، مختار حبار، ص 54- 55.
[4]) سورة يوسف: الآية 84.
[5]) سورة يس : الآية 30.
[6]) سورة الزمر: الآية 56.
[7]) ديوان المنداسي، ص 31.
[8]) مفردات في غريب القرآن، ج2، ص 760.
[9]) تفسير ابن كثير، ج6، ص 230.

بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.[1]

* القســـم:

أسلوب القسم عامّ في أسلوب البشر، يُستخدم من أجل تأكيد أمر، أو إثبات شيء. فالقسَم« من أساليب التأكيد التي يتخللها البرهان المفحم، والاستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما يجحد».[2] وللقسم في القرآن وجوه مُتعدّدة منها؛ استعمال لفظة (أقسم)، كقوله كقوله تعالى:{ وأقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أيْمَانِهِمْ}.[3] واستعمال لام التّوكيد، كقوله تعالى:{ لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أجْمَعِينَ}.[4]

ولمّا كَثُرَ القسم في الكلام، اخْتُصِرَ فصار لفظ (القسم) يُحْذف، فيُكتفى بالباء أو الواو، وربّما ورد القسم بالتّاء، كقوله تعالى:{ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ} .[5]

وتكمن فائدة القسم في نقل الجملة الخبريّة الابتدائيّة الخالية من التّوكيد إلى جملة طلبيّة، خصوصا حين يحتاج المتكلّم إلى تأكيد كلامه، إذا أحَسَّ شيئا من التردّد لدى السّامع.[6]

وقد أقسم الشاعر ابن علي الجزائري بالرّيحان في قوله يفتخر بنفسه:

قسما بريحان العقيق وبانه *** لقد انقضى غزلي على غزلانه[7]

وحتّى لا نقول أنّ الشاعر أقسم بغير الله، يمكن القول أنّه حذف المَقْسوم به وترك لفظ القسم للضّرورة الشّعريّة، فهو أراد أن يقول: قسما بربّ ريحان العقيق.

وقد أكثر الشّاعر الجزائري من استخدام أسلوب القسم بصيغة (تالله)، وذلك في قول المولى أبي حمو الثاني، وهو يُعبّر عن حبّه للنبيّ (ص):

وتالله مالي غيركم إنّ هجركم *** فهجركم يُردي ووصلكم يُحيي[8]

وفي قوله يتوسّل بالنبيّ (ص):

وما لي ذنب سوى حبكم *** وتالله عن حبكم لن أتوبا[1]

---

[1]) سورة القصص: الآية 82.
[2]) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 137، الدار السعودية للنشر، الرياض، دت.
[3]) سورة الأنعام: الآية 109.
[4]) سورة الأعراف: الآية 18.
[5]) سورة الأنبياء: الآية 57.
[6]) أثر القرآن في الشعر الأندلسي، ص 227.
[7]) أشعار جزائرية، ص 36.
[8]) أبو حمو، حاجيات، ص 345.

وفي قول الشاعر عفيف الدين التلمساني، متغزّلا:

تالله يا ليلي الطويل لقد *** قصّرْتَ نومي ولم تعد تَعِدِ[2]

فالقسم بصيغة (تالله) ورد 9 مرّات في القرآن أغلبها في سورة يوسف، منها في قوله تعالى:{ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ}.[3] وفي قوله تعالى:{ قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}.[4]

وقد يُقسم الشّاعر باستعمال (الباء) قبل لفظ الجلالة (الله)، كقول الشاعر عفيف الدين التلمساني متغزّلا:

بالله لا ترسل الجفون إلى *** قلبي فما للقلوب من عُددِ[5]

فقد استخدم الشاعر قسمه في معرض الرّجاء والتوسّل، حيث ورد هذا القسم في قوله تعالى:{ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ}.[6]

فقد رأينا في هذا المبحث كيف تعلّق الشّاعر الجزائري بأسلوب القرآن، وكيف تأثّر به من خلال استخدامه للأساليب الخبريّة القرآنية في معرض حديث الشاعر عن يوم القيامة وما سيكون فيها. وكذلك من خلال استخدامه للأساليب الإنشائية الواردة في القرآن الكريم، كالاستعانة بأسلوب الأمر، والاستفهام،والنداء، والقَسَم في مواضيعه المختلفة، ممّا أضْفَى دقّة على تعابيره، وبلاغة إلى أساليبه، وجمالا إلى معانيه.

---

[1]) المرجع نفسه، ص 369.
[2]) ديوان عفيف الدين التلمساني، ص 95.
[3]) سورة يوسف: الآية 73.
[4]) سورة يوسف: الآية 85.
[5]) ديوان عفيف الدين التلمساني، ص 95.
[6]) سورة النحل: الآية 38.

المبحث الثالث: أثر الصّورة القرآنية في الشّعر الجزائري.

لقد وجد الشاعر الجزائري نفسه إزاء رصيد هائل من الصّور في القرآن الكريم، صُورٌ ثريّة بإيحاءاتها. فلا نكاد نجد صورة في القرآن الكريم إلا وقد أخذها الشعراء واستفادوا منها في تصوير أفكارهم، ولكي نرى مدى تأثير الصّورة القرآنيّة في نِتاج شعرائنا الجزائريين لا بأس بالتطرق إلى مفهوم الصورة الشعرية باختصار، ثم الحديث عن الصّورة في القرآن الكريم وخصائصها.

الصّورة مفهومها وأهميّتها ووظيفتها:

لغة: الأصل في هذه المادة صار، بمعنى عاد إلى حاله ورجع، ثم أخذ منه الفعل الواوي صور لمجرد الميل، لأن الميل من مراحل المآل. والصورة بمعنى شكل الشيء وصفاته.[1]

وفي الاصطلاح: فقد انحصر مفهوم الصورة عند القدماء في قدرة الشاعر على وصف الأشياء ونقلها إلى المتلقي كما هي في الواقع، كما لو أنّه يراها ويعاينها عن طريق استعمال التشبيهات والاستعارات.[2]

أمّا الصّورة عند المحدثين، فهي« طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميّتها فيما تُحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير... والصورة لا تعني نقل العالم أو نسخه، إنّما تعني إعادة التشكيل، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتباعدة في وحدة ».[3]

و تكمُنُ أهميّة الصّورة في أنّها تفرضُ علينا نوعًا من الانتباه، بطريقة تجعلنا نتفاعل مع المعنى الذي نريد أن نُعبِّر عنه« فينتقل المتلقي من ظاهرة المجاز إلى حقيقته، ومن ظاهر الاستعارة إلى أصلها، ومن المشبه إلى المشبه به..فالصورة إحدى الوسائل التي يظهر بها الشاعر براعته الحرفية فيبهر بطرافة صوره المستمعين».[4]

---

[1]) لسان العرب، مادة (صور).
[2]) **عن الصورة ، ينظر**: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ت: محمد بن خوجة، ص 89، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.
[3]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، ص 373 و 392، دار الثقافة، القاهرة، 1974م.
[4]) المرجع نفسه، ص 403.

والهدف الأساس من الصّورة، هو جعل المتلقّي يقتنع بفكرة أو معنى، بالاعتماد على الشّرح والتّوضيح، عن طريق التّحسين أو التّقبيح، أو المبالغة.[1] لهذا قيل أنّ البلاغة « تحسين ما ليس بحَسَن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضرب من الاحتيال ».[2]

ونجد أنّ الصّورة الشّعرية لا تلتزم بوسيلة معيّنة في المخاطبة، إنّها تدمج بينما هو حسّي وما هو معنوي« فالتصوير في الأدب هو نتيجة لتعاون كل الحواس، وكل الملكات، والشاعر المصور حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية».[3]

فالصّورة وسيلة هامّة من وسائل الإقناع، يتوسّلها الشّاعر أو الأديب ليُبَلِّغَ فكرة من الأفكار، أو رأيًا من الآراء، أو يُعبِّرَ عن عاطفة أو شعور.« فالصورة هي الوسيط الأساسي الذي يكشف به الشاعر عن تجربته ويتفهمها كي يمنحها المعنى والنظام... والصورة وسيلة حتمية لإدراك نوع متميّز من الحقائق، تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله».[4]

الصّورة القرآنية و خصائصها:

التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن« فهو يعبر بالصورة الحسية المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور...ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة...».[5]

فالقرآن حين يريد التعبير عن معنى مجرد، أو صفة معينة، كوصف مشهد من مشاهد يوم القيامة فإنه يستخدم التصوير كأداة فعالة.« فللقرآن الكريم أسلوبه الخاص في انتقاء أدوات التصوير وتنويعها، ودقة استخدامها. فهو يُصوّر باللّون، وبالحركة، وبالإيقاع، وأحيانا بالوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونظم العبارات، وموسيقى السياق...».[6]

---

[1]) الصُّورَة الفَنِّيَّة في شِعر الطَّائِيَّيْن بين الانفعال والحسّ، د. وحيد صبحي كَبَّابَه، ص 06- 17، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.
[2]) الصناعتين، العسكري، ص 53.
[3]) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، ص8، دار الأندلس، ط3، بيروت، 1983م
[4]) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د.جابر عصفور، ص 464.
[5]) التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص 36، دار المعارف، القاهرة، 1945م.
[6]) الأدب في عصر النبوّة، ص 84 وما بعدها.

فالتصوير يعتبر الأداة المفضلة للتعبير القرآني« لأن القرآن لا يخاطب العقل وحده على نحو ما نعلم من طبيعة سائر أنواع الكلام، ولكنه يخاطب كلاً من العقل والخيال والشعور معا».[1]

لهذا نجد تأثيراً واضحا للصّورة القرآنية في الشّعر الجزائري، نتيجة لثقافة الشّاعر الجزائري، والبيئة التي أنْمَتَ الخيال البديع في ملكات هذا الشّاعر. وقد ظهر تأثّر الشّعر الجزائري بالصّورة القرآنية في الوجوه التالية:

صورة الجنّة: لقد كَثُرَ الحديث عن الجنّة في الشّعر الجزائري، حيث استفاد الشّاعر من التّصوير القرآني لنعيمها وظلالها، وتمثّلت هذه الصّورة – خصوصا– حين يتحدّث الشّاعر عن الموت، وما يتبعه من نعيم في جنّة الخلد، بالنّسبة لمن مات على الإسلام والإيمان، حينها تتمثّل صُورة من صُوَرِ الجنّة المذكورة في القرآن في ذهنه، فيقوم بإثباتها، من ذلك قول الشّاعر محمد الإدواعلي(ت:1198هـ) في الاستغفار وطلب الجنّة:

وارحم عبيدا جوارا منك مطلبه *** في جنّة سُـــورها درّ وعقيان

فيها من الحور أتراب كواعبها *** نجل العيون كأنّــهن غِـــزلان

قصورهنّ قصور فوقها غرف *** فيها من المسك والكافور والكثبان[2]

ففي البيت الثاني يستمدّ الشاعر صورته من قوله تعالى يصف الجنّة:{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً * جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً}.[3] وفي البيت الثالث نجد وصفا لغرف الجنّة مستمدّا من قوله تعالى:{ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}.[4]

صورة النّار: إنّ صُوَرَ النّار وعذابها الشّديد الموجودة في القرآن، ملكَتْ نفوس المسلمين وملأت مُخيّلاتهم، فراحوا يذكرونها في أشعارهم ليُذكّروا بها أنفسهم، ويُحذّروا بها غيرهم من ارتكاب المعاصي واجتراح السيّئات، فهي بمثابة تهديد ووعيد لمن تُسوّل له نفسه

---

[1]) من روائع القرآن، سعيد رمضان البوطي، ص 199، مكتبة الفارابي، ط5، دمشق، 1977م.
[2]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 79.
[3]) سورة النبأ: من الآية 31 إلى 36.
[4]) سورة الزمر: الآية 20.

السّوء والابتعاد عن أوامر الله ونواهيه.قال تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ}.[1]

ومن صور النّار في الشّعر الجزائري، قول الشّاعر عبد المؤمن المديوني يتحدّث عن أهوال القيامة:

يوما يقوم النّاس مِــن أجْداثــهم *** ذُهّل العقول إلى المقام الأوحدِ
والنّار جيء بها لتلفح من عصى *** والخلق في قلق وكرْبٍ مُجهد
والله ربّــي قد تجــلّى للقضـــا *** بين العباد فيا لــه مِنْ مشهد
ويودّ مُقْترف الجرائِــم في الدّنــا *** لو كان ينفع أنّــه لم يولَــد[2]

فالشّاعر هنا يُصوّر لنا مصير الإنسان العاصي بعد الموت، ابتداءً من خروجه من قبره، حتّى دخوله إلى النّار.مُسْتلهما البيت الأول من صورة القرآن في قوله تعالى:{ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}.[3] وقوله تعالى:{ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}.[4] أي يخرجون مُسْرعين لا شوقاً إلى لقاء ربّهم، بل استراحة ممّا عانوْه في قبورهم. أمّا في البيت الثاني فنُطالعنا الصّورة الواردة في قوله تعالى:{ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ}.[5] وقوله تعالى:{ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى}.[6]

فحين يرى الكافر جهنّم بارزة تتميّز من الغيظ، يتمنّى أنّه أمّه لم تلده، وهذا ما عبّر عنه الشّاعر في البيت الرابع، مُسْتفيدا من قوله تعالى:{ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً}.[7]

ومن صُوَر النّار قول الشّاعر التّلاليسي يصف يوم القيامة:

فهل من شفيع غيــره يُرْتَجَى *** إذا غدا الناس سُكَارى من عذاب وأهوال[8]

---

[1]) سورة العنكبوت: الآية 68.
[2]) زهر البستان، ورقة 33 ظهر.
[3]) سورة يـس : الآية 51.
[4]) سورة المعارج: الآية 43.
[5]) سورة الشعراء: الآية 91.
[6]) سورة النازعات: الآية 36.
[7]) سورة النبأ: الآية 40.
[8]) زهر البستان، ورقة 85 ظهر.

فالشّاعر اقتبس صورة الكفّار حين قيام السّاعة من قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}.[1] فشبّه حالهم بحال السكران من كثرة شربه للخمر، فلشدّة الأمر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم، فمن رآهم حسب أنهم سكارى.

ونجد نفس الصّورة تتكرّر في قول الشّاعر عبد المنعم الغساني الجزائري(ت:670هـ) في وصف يوم القيامة:

ويوم يَفِــرّ المرءُ مِــن ولدٍ لَــه *** حبيب ولا يُجزي أبٌ عَــن أبوته

ترى الناس فيه بين باك وصارخ *** وذاكر ما قد فات من فَــرط زلته

فكُــلّ بــه حيران يَنْــدُب شجوه *** وسكران لا من خمرة بل بغمرته[2]

فالشّاعر في البيت الأول اقتبس صورة قوله تعالى:{ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}.[3] فالآية هنا تصوّر لنا كيف أنّ المرء من هول الموقف يوم القيامة، يفرّ هربا من أبيه وأخيه، لشغل يشغله، وهمّ عظيم نزل به، فهو يفرّ منهم فرار الرّجل من الأسد، حتى لا يُطالبوه بحاجاتهم ومظالمهم.

فموقف القيامة فيه بكاء وصراخ واستغاثة كما قال الشّاعر في البيت الثّاني، وهذا ما عبّر عنه القرآن في قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}.[4]

فلفظة (يصطرخون) وحدها، تصوّر حالة الكفّار وهم في العذاب، يتصارخون و ويرفعون أصواتهم بالصّياح بجهد وشدّة، لعلّ الله يسمع استغاثتهم وأنينهم.

ثمّ عبّر الشّاعر في البيت الثالث عن حيرة النّاس من هول القيامة، وشبّه حال بحال السكران من تأثير الخمر كما في المثال السابق.

وحين توعّد الشّاعر سعيد قدّورة قاتل الشيخ آبهلول المجاجي بعذاب جهنّم، عبّر عن ذلك قائلا:

---

[1]) سورة الحج: الآيتان 1- 2 .
[2]) عنوان الدراية، ص 124.
[3]) سورة عبس: الآيات 33 إلى 36.
[4]) سورة فاطر: الآيتان 36- 37.

فما لك يَــوم العَرْض إلاّ جهنّـــــم *** تُــقاد إليها صاغرا بالسّلاســل

وإن عشت في الدنيا حقيرا ففي غد *** تُخَلّــد في النِّيران أسفَــل سافل[1]

فقد سمّى الشّاعر يوم القيامة بيوم العرض مُستفيدا من قوله تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ}.[2] ومن تصوير القرآن لأهل النار في قوله تعالى:{ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً}.[3] كما يُحيلنا الشّاعر في عَجُز البيت الأول إلى صورة الكافر الذي أمر الله زبانيّته بإلقائه في نار جهنّم، وذلك في قوله تعالى:{ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ *ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ}.[4]

ويُعطينا الشّاعر أبي الربيع سليمان في التحذير من الموت صورة من صُوَرِ يوم القيامة في قوله:

يا راقدا مِلْءَ عَيْنَيْــه يُهَــدّئُـــــه *** لِيــنُ الفراش وعَيْن الله ترصدهُ

..أغفى على غير وعد من منبّهه *** مع الصباح ويوم الحشر موعده

يوم النّدامــة لو تُغْنــي ندامتُــه *** مُبْيَضَّ الوجه فيــه أو مُسْــوَدّه[5]

فقد وصف لنا الشّاعر حالة الكافر حين يسوَدّ وجهه خوفا وفزعا ممّا يراه من العذاب، وحالة المسلم حين يبيَضّ وجهه فرحا واستبشاراً بلقاء الله ودخول الجنّة، استنادا إلى قوله تعالى:{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.[6] يقول القرطبي أنّ هذه هذه الآية فيها ثلاث مسائل؛ الأولى: قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوهُ المؤمنين مبيضّة ووجُوه الكافرين مسْوَدّة. ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتاب، إذا قرأ المؤمن كتابه فرأى في كتابه حسناته ٱستبشر وٱبيَضّ وجهُه، وإذا قرأ الكافر والمنافق كتابه فرأى فيه سيئاته ٱسودّ وجهه. ويقال: إن ذلك عند الميزان إذا رجحت حسناته ٱبيضّ وجهه، وإذا رجحت سيئاته ٱسودّ وجهه.[7]

---

[1]) تعريف الخلف، ج2، ص 283.
[2]) سورة هود: الآية 18.
[3]) سورة غافر: الآية 46.
[4]) سورة الحاقة: الآيات 30- 31- 32.
[5]) شعر الفقهاء في المغرب العربي، د.محمد مرتاض، ص 84.
[6]) سورة آل عمران: الآيتان 106- 107.
[7]) تفسير القرطبي، ج4، ص 166، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

وحين رثا الشّاعر التلاليسي أبا يعقوب والد المولى أبي حمو الثاني، شبّه يوم وفاته بيوم القيامة قائلا:

كادت تزول الراسيات لفقده *** والشمس تكسف والسماء تمور[1]

فاستخدم تصوير القرآن لما سيحدث يوم الحشر في قوله تعالى:{ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}.[2] والمور هو الجريان السريع.

وللشاعر محمد الجعفري(ت:1198هـ) في التّحذير من النّار قوله:

ولو لَمَحَتْ عينك الحطمـــة *** لزدت فرارا تلته شجون

ولو سمعت أذنك الزفرات *** لذاب الجسم كماء مهيـــن

ولو شمم الأنف نتن الحميم *** لصار دماغك منه عضين[3]

فالشاعر هنا استقى صورته من عدّة آيات، منها قوله تعالى:{ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}.[4] فالكفّار والعاصون مربوطة أعناقهم بالأغلال بأيدي زبانية جهنّم، يسحبونهم على وجوههم إلى الحميم المشتعل من شدّة الحرّ، فهذه الصّورة القرآنية تمثّل بشاعة المنظر وهوله، تخويفا من الله للعاصين حتّى يرتدعوا عن غيّهم وظلالهم. وقد ذكرت لفظ الحميم في عدّة آيات تصوّر نفس المشهد، من ذلك في قوله تعالى:{ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ *خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}.[5] وفي قوله تعالى:{ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}.[6] إلى غير ذلك من الآيات الدّالة على تنوّع العذاب عليهم وتكراره.[7]

صُوَر قرآنية أخرى:

---

[1]) إرشاد الحائر، ج1، ص 296.
[2]) سورة الطور: الآيات 9- 10- 11.
[3]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 92.
[4]) سورة غافر: الآيتان 71- 72.
[5]) سورة الدخان: الآيات 43 إلى 48.
[6]) سورة الواقعة: الآيات 41 إلى 44.
[7])) سورة الرحمن: 34 . / سورة ص: 55.

* صورة الشّيب: تردّدت صورة الشّيب على ألسنة الشّعراء الجزائريّين تعبيرا منهم عن الكِبَر والشّيخوخة، أو تعبيرا منهم عن حال النّاس يوم القيامة حين تشيب رؤوسهم من هول الموقف.

فظهور الشّيب عند الشاعر عبد المؤمن المديوني يذكّره بقُرْب أجله، ذلك في قوله:

جاءَتْ سُعَادُ بوَصْلٍ بَعْدَ ما ذَهَبا *** غَضُّ الشّبَابِ ولاحَ الشّيْبُ والنَّهَبَا[1]

فالشّاعر عبّر عن صورة الشّيب مقتبسا تصوير القرآن في قوله تعالى:{ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً}.[2]

أمّا المولى أبي حمو الثاني فقد اقتبس صورة الشّيب، لكن للتّعبير عن حال النّاس يوم القيامة، في قوله:

خشيت المعاصي بيـــوم القصاص *** إذا ما النّواصي تَشِـيب مشيبـا

مضى العمر يا حسرتي في الضلال *** واشْتَعل الرّأس منْـه مشيـــبا[3]

مستلهما صورته من قوله تعالى:{ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً}.[4] فجمال التّعبير القرآني عن الشّيب في الآيتين، يتمثّل في الحركة التّخيليّة التي يُصوّرها، فحركة الاشتعال تكون في لحظة، فالشّيب يسري في الرأس كما تسري النّار في الهشيم.« فقد نُقِلَ الاشتعال من النّار إلى الشّيب على سبيل الاستعارة، حتّى يُكْسِبَ المعنى فضل إبانة».[5]

* صورة الهلال: في معرض حديث الشّاعر عفيف الدين التلمساني عن التّشبيه، تحدّث عن تشبيه الله تعالى للهلال بالعرجون قائلا:

زعموا أنّ للسيوف جفونا *** أترى للجفون هم مانعونا

وقريبا إن شَبّهُـوه لـــه فا *** الله بالبدر شبّه العرجونا[6]

فالشّاعر هنا يريد أن يقول، إن كان الشّعراء قد شبّهوا جفون النّساء بالسّيوف لأنّها تقتل المحبّ بنظراتها، فإنّ الله قد شبّه الهلال بالعرجون القديم.فاستلهم الشّاعر هذه الصّورة من

---

[1]) زهر البستان، ورقة 45 وجه.
[2]) سورة مريم: الآية 4.
[3]) أبو حمو، حاجيات، ص 369.
[4]) سورة المزمل: الآية 17.
[5]) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ت: عبد المتعال الصعيدي، ص 108، مكتبة صبيح، القاهرة، 1969م.
[6]) ديوان عفيف الدين، ص 236.

قوله تعالى:{ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}.[1] فالعرجون القديم أقدَر على تصوير الهلال كما تراه العين، وكما تُحسّ به النّفس، فالقمر لا يزال يتنقّل في منازله حتّى يعود بعد الاستدارة المبهجة، دقيقا محيلاً مُحْدَوْدبا.[2]

* صورة السّجود: لقد جاءت هذه الصّورة عند أكثر من شاعر، وبأشكال مختلفة، فالشّاعر عبد المؤمن المديوني في معرض ذكره لمولد النبيّ (ص) وما رافقه من حوادث قال:

وتنكست أصنام قيصر كلها *** من حينها سقطت على الأذقان

فكأنّــما قُرِئت عليها آيــة *** وجب السجود لها مــن القرآن[3]

فقد شبّه سقوط الأصنام على أذقانها بعمليّة السّجود لله، فأصنام قيصر رغم أنّها جماد فقد سجدت لله خشوعا كأنّما قُرِئت عليها آية من القرآن. فقول الشّاعر يُحيلنا إلى الصّورة القرآنية التي جاءت في قوله تعالى:{ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً}.[4]

والشّاعر المنداسي حين وصف أهوال القيامة قال:

يوم تبلى النفوس والله يقضي *** وتكون السّما كثيبا مهيــلا

وتَخِرّ الجبــال للأرض هدّا *** إذ ترى الأمر يقضي التبديلا[5]

فالشّاعر شبّه سقوط الجبال يوم القيامة بعمليّة السّجود عند الإنسان حين يخرّ ساجداً لله على وجه تخشّعا ورهبة، مستلهما صورته من قوله تعالى:{ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً}.[6]

ويستعمل المولى أبي حمو الثاني نفس الصّورة في تعبيره عن سقوط أعمدة إيوان كسرى:

وكسرى تساقط إيوانـــــه *** وذاق من الرعب كاس الظبا

وخرّت قواعد إيوانـــــــه *** وصارت رميما كمثل الهبا[7]

فقد استلهم الشّاعر صورته من قوله تعالى:{ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ}.[1]

---

[1]) سورة يـس: الآية 39.
[2]) التعبير الفني في القرآن الكريم، ص 198.
[3]) زهر البستان، ورقة 18 وجه.
[4]) سورة مريم: الآية 58.
[5]) ديوان المنداسي، ص 50.
[6]) سورة مريم: الآية 90.
[7]) بغية الرواد، ج2، ص 138.

فالشّاعران عبّرا عن عمليّة السّقوط بالخرّ، والتي تعني السّقوط مع إصدار صوت الخرير، والذي في السّجود هو التّسبيح،[2] فشبّها عملية سقوط الجبال، وسقوط أعمدة إيوان كسرى حين مولد الرسول(ص) بعمليّة السّجود.

ومن صُور القرآن المُستمدّة في الشّعر الجزائري، الاستعارة في قول الشّاعر ابن خميس التلمساني يفتخر بأفكار شعره:

وهنّ بُنيّات فكري وقَــدْ *** أتَيْتَكَ فاخفض لهنّ الجناحا[3]

فخفض الجناح صورة قرآنية منقولة من قوله تعالى يوصي بإطاعة الوالدين:{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}.[4] فهذه استعارة، والمراد بها أَلِنْ كنفك لهما، فهو حثّ على تليين الجانب والانقياد. وتحتمل وجهان، « الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، و الثاني:إذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه، فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع. وأضيفت لفظة ذلّ إلى الجناح، ونحن نعلم أنّ الذلّ لا جناح له، لأنّ مدار الاستعارة على الخيالات فهاهنا تخيّل للذل جناحاً وأثبت لذلك الجناح ضعفاً تكميلاً لأمر هذه الاستعارة».[5]

ومن الصُّوَر القرآنِيّة المقتبسة في الشعر الجزائري، قول الشّاعر أحمد الزواوي (ت:884هـــ) يحثّ المسلمين على التّقوى:

وبادر لتقوى الله إنْ كنتَ حازماً *** هي العُروة الوُثقى بها النّار تُدْفع[6]

فقد شبّه الشّاعر تقوى الله بالعروة الوُثقى، أي الحبل المتين الذي لا ينقطع، وهذا من باب التّمثيل، فمثّل حال المتّقي بحال مَنْ احْتاط لنفسه من السّقوط في نار جهنّم، بأن اسْتَمْسَك بأوثق عروة ألا وهي حبل الله المتين، مصداقا لقوله تعالى:{ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ

---

[1]) سورة النحل: الآية 26.
[2]) مفردات في غريب القرآن، ج1، ص 144.
[3]) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص 240.
[4]) سورة الإسراء: الآية 24.
[5]) تفسير الرازي، ج20، ص 328.
[6]) تعريف الخلف، ج1، ص 40.

مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}.[1] وقوله تعالى:{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.[2]

ويقول الشّاعر عبد الرحمن الحوضي في رثاء شيخه محمد السّنوسي:

ما للمنـــازل أظْلَمَـــت أرجاؤهـــا *** والأرض رُجّت حين خاب رجاؤها

وأتى عليها النُّقْـــص مـــن أطرافها *** وتراكمَـــتْ وتعاطفت أرزاؤهـــا[3]

فاستعان في تعبيره عن المُصاب الجلل الذي حلّ به وبالمسلمين، على إثر وفاة عالم جليل، بصورة قرآنية وردت في قوله تعالى:{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.[4] ففي الآية كناية عن ما كان الله يُجْرِيه على أيدي المسلمين بغزوهم لأراضي الكفر بنقصها وحذفها من أملاكهم، وضمّها إلى أملاك المسلمين. لكن الشّاعر حين أخذ هذه الصّورة لم يقصد بها هذا المعنى، إنّما أراد القول بأنّ خبر موت العالم السّنوسي نزل عليه كما ينزل الزّلزال على الأرض فيدكّها وينقص منها. فهو اقتبس الصّورة لأنّه رآها ملائمة للتّعبير عن أحاسيسه وعواطفه.

وقد وصف الشاعر ابن خلّوف معاناته مع العشق، وانتظاره الدّائم لمحبوبته، وخوفه من أهلها أن يروه بقوله:

سلبتم فؤادي وأطحتم بقيتي *** وأسهرتم طرفي القريح ونمتمو

وأوْقَـــفْتُمُوني خائفـــا مترقبا *** أُسَامُ بتعذيبٍ كـــأنّي مُجـــرم[5]

فهو في البيت الثاني يُشبّه حاله وهو ينتظر حبيبته ويترقّب أهلها، بحال سيّدنا موسى(عليه السلام)، وقد خرج من مصر خائفا يترقّب، خشية أن يُدركه أحد من قوم فرعون، وذلك في قوله تعالى:{ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ}.[6]

وبما أنّ المثل القرآني يدخل ضمن موضوعات التّصوير القرآني، فقد أدخلنا المثل ضمن فصل الصّورة القرآنية وأثرها في الشّعر الجزائري.

---

[1]) سورة لقمان: الآية 22.
[2]) سورة البقرة: الآية 256.
[3]) تعريف الخلف، ج2، ص 238.
[4]) سورة الرعد: الآية 41.
[5]) ابن خلوف وديوانه، ص 81.
[6]) سورة القصص: الآية 21.

تعريف المثل و أهميّته:

لغة: المثل: الشّبه. ومثل الشّيء: صفته. ومَثَلَ بين يديه: انتصب قائما. والمَثُلَةُ: العقوبة. وامتثل أمره، أي احتذاه.[1]

اصطلاحا: المَثَلُ هو« قولٌ مَحْكيّ سائرٌ، يُقْصَد منه تشبيه حال الذي حُكِيَ فيه، بحال الذي قيل من أجله».[2] والمثل هو« وَشْيُ الكلام، وجوهر اللفظ، وحَلْيُ المعنى...فهي أنقى من الشعر، وأشرف من الخطابة».[3]

و تكْمُنُ أهميّة المَثَل في أنّه ضرب من التّصوير، يقول الزمخشري:« ولضرْبِ العرب الأمثالَ، واسْتحضار العلماء المَثَل والنّظائر، شأنٌ ليس بالخفيّ في إبراز المعنى، ورفع الأستار عن الحقائق، حتّى تُريك المُتَخَيَّل في صورة المُحَقَّق، والمُوهَم معرض المُتَيَقَّن، والغائب كأنّه مُشاهَد».[4]

وظيفة المَثَل القرآني:

أمّا وظيفة المثل في القرآن، فالله تعالى عَلِمَ أنّ البشر « يحتاجون إلى ضرب الأمثال لَمَّا خَفِيَتْ عليهم الأشياء، فضرب الله لهم مثلا من عند أنفسهم لا من عند نفسه، ليُدْرِكوا ما غاب عنهم...فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدي النفوس بما أدركت عيانا فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالما لقوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون».[5]

ويتجلّى أثر المثل القرآني في الشّعر الجزائري في ثلاثة وجوه:

1) المثل الكامن: وهو مَثَل ضربه القرآن دون التّصريح بأنّه يُمثّل حادثة معيّنة، وإنّما يُفهم معناه من مضمونه. من ذلك تعبير القرآن عن العبد المتذبذب في عبادة الله، حيث قال تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

---

[1]) مختار الصحاح، الرازي، ص 390، (مادة : م ث ل).
[2]) التعبير الفني في القرآن الكريم، ص 238.
[3]) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ت: محمد العريان، ج3، ص 2، دار الفكر، مصر، دت.
[4]) **نقلا عن**: أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، محمد كريم الكواز، ص 21، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، 1425هـ
[5]) الأمثال من الكتاب والسنة، الترمذي، ت: السيد الجميلي، ج1، ص 13- 14، دار ابن زيدون، بيروت، 1985م.

خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}.[1] فالحرف في اللغة، هو الطّرف. لكن أراد الله بقوله {عَلَىٰ حَرْفٍ }، أي على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه. وهذا مثل لكونه على قلق واضطراب في دينه، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأن، و إلاّ فرّ وطار على وجهه. فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد، ولو عبدهُ على الشكر للنعمة، والصبر للمصيبة، والرضَا بالقضاء لم يكن عبَدَه على حرف وهذا هو معنى الحرف.[2]

وقد استعمل الشّاعر ابن خلوف القسنطيني هذا المثل حين أراد التّعبير عن حالة اليأس التي هو فيها من كثرة ارتكابه للمعاصي، في قوله:

أنا المُسيء الذي اسودَّتْ صحائفه *** أنا الغرور الذي بالباطل احتزما

أنا السّقيـــم الذي أعْـــيَا أطِبَّتَـــه *** أنا المقيم على الحرف الذي انهدما[3]

فهو في البيت يُشبّه نفسه في كثرة ذنوبه، بحال الذي يقف على طرف جبل يكاد ينهار به في الحضيض، أي نار جهنّم، فعبّر عن ذلك بالحرف الوارد في المثل القرآني.

ومن الأمثال الكامنة في القرآن قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.[4] فشبّه القرآن أعمال الكفّار بالسّراب الذي ينخدع به الظّمآن ظنّا منه أنّه ماء،« فالكافر يحسب أنّه قد عمل عملا وأنّه قد حصّل شيئا، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، لم يَجِدْ له شيئا.[5] شيئا.[5]

وقد اقتُبِس هذا المثل القرآني ابن خميس التلمساني يُشبّه انخداعه بالدّنيا وزخرفها بانخداع الظّمآن ببريق السّراب ولمعانه، وذلك في قوله:

خُدِعت بهذا العيش قبل بلائه *** كما يُخدع الصادي بلمع السّراب[6]

---

[1]) سورة الحج : الآية 11.
[2]) تفسير الرازي، ج23، ص 212.
[3]) ابن خلوف وديوانه، ص 104.
[4]) سورة النور: الآية 39.
[5]) تفسير ابن كثير، ج6، ص 64.
[6]) بغية الرواد، ج1، ص 110.

ونجد هذا المثل أيضا في قول الشّاعر ابن علي الجزائري يهجو أعداءه، يُشبّههم بذاك الذي حسِبَ السّراب ماء:

أجلاف هذا العصر حقا لو رأوا *** حسان ما جنحوا إلى إحسانه

حسبوا السّــراب بقيعة ماء وقد *** ظمئوا فما وردوه من غدرانه[1]

2) المثل الصريح: وهو الذي وردت فيه لفظة (المثل) كقوله تعالى:{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.[2] وقوله تعالى:{ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ}.[3]

فالله تعالى حين أراد أن يُصوّر لنا ضُعف الإنسان رغم ادِّعاءه القوّة، شبّهه بذاك الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الذّباب، الذي هو أضعف المخلوقات، وقد عبّر عن ذلك في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}.[4]

وقد استلهم الشّاعر محمد المستغانمي(ت:1167هـــ) هذا المثل للتّعبير عن ضعف قائد الإسبان في قوله:

إن أُرْسِل الذباب لم يكد *** يدفعه عن نفسه ولم يكد[5]

فقائد الإسبان لشدّة ضعفه، كذاك الذي لا يستطيع رفع يديه ليدفع الذّباب عن وجهه، فكيف بحمل السّيف والقتال.

ومن الأمثلة الصّريحة في القرآن تشبيه أصحاب الرّسول (ص) في صبرهم وجَلَدِهِم، بالزّرع الذي يكون ليّنا سريع الانكسار في بدايته، ثمّ يُصبح غليظًا مُستويًا بعد ذلك، قال تعالى:{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

---

[1]) أشعار جزائرية، ص 39.
[2]) سورة العنكبوت: الآية 41.
[3]) سورة يس: الآية 13.
[4]) سورة الحج: الآية 73.
[5]) الثغر الجماني، ص 269.

شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}.[1]

وقد اقتبس الشّاعر عبد الرحمن بن أبي دلال هذا المثل في وصف كرم أحد الخلفاء، فشبّه كرمه بالغيث الذي ينزل على الزّرع فيشْتدّ ويستَوِي، وذلك في قوله:

مُسْدي السؤال ومُسْتدعي السجال سما *** فاستوطأ السِّــدرة السّــامية القُــدسا

سحّت سحائبُــه تسقي مغارســــــه *** فاستغلظت واستوت سوق السّنا غرسا[2]

3) المثل السائر: وهو آيات من القرآن الكريم، اتُّخِذت بعد انتشار الإسلام أمثالا وشاعت بين المسلمين، وهي كثيرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى:{ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}.[3] وقوله تعالى:{ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ}.[4] وقوله تعالى:{ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ}.[5]

ومن الأمثال القرآنية السائرة في الشّعر الجزائري، ما نجده في قول الشاعر سعيد قدّورة متوعّدا قاتل الشيخ آبهلول:

جنيتَ على الإسلام أي جناية *** وما الله عما قد فعلت بغافل[6]

فعَجُز البيت مُقْتبَس من قوله تعالى:{ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.[7]

وقوله تعالى:{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ}.[8]

وهذه الآيات أصبحت مضربا للأمثال، يُراد منها تحذير الظالم من عواقب ظلمه.

ومن الأمثال في الشّعر الجزائري، قول الشّاعر عبد الرحمن بن موسى(ت:1011هــ) في حديثه عن الفرج بعد الشدّة:

وقد وعد الرحمن جــلّ جلالــه *** مع العسر يُسْرٌ قد أتى ذلك في الكتب[9]

---

[1]) سورة الفتح: الآية 29.
[2]) عنوان الدراية، ص 206.
[3]) سورة يوسف: الآية 53.
[4]) سورة التوبة: الآية 51.
[5]) سورة الصافات: الآية 61.
[6]) تعريف الخلف، ج2، ص 284.
[7]) سورة البقرة: الآية 74. وقد تكررت هذه الآية عشر مرات في القرآن الكريم.
[8]) سورة إبراهيم: الآية 42.
[9]) البستان، ص 132.

فهو يُشير في عَجُز البيت إلى قوله تعالى:{ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً}.[1] وقوله تعالى:{ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً}.[2] فأصبحت الآية مثلا يُضْرب عند الحثّ على التحلّي بالصّبر عند الشّدائد، فبعد كلّ شدّة فرجا.

إذا، فقد توزّع شعراؤنا على أنواع الصّوَر التي ذكرناها، وهناك مَن نظم في جميع هذه الصّور. فالصّورة القرآنية التي تعلّقت بالدّنيا والآخرة وذكر أهوال القيامة، أثّرت في الصّورة الشّعريّة الجزائريّة، ممّا يدلّ على تفاعل الشّاعر الجزائري مع الصّورة القرآنية وإعجابه بها، وتعامله معها تعاملا ذكيّا مُتماشيا مع رؤيته الفنيّة وإبداعه الشّعري.

المبحث الرابع: أثر القصص القرآني في الشّعر الجزائري.

[1]) سورة الطلاق: الآية 7.
[2]) سورة الشرح: الآية 5- 6.

لقد استفاد الشّاعر الجزائري من الصُّوَر التي وردت في سياق القَصَص القُرآني، فأشار إليها في شعره لتأدية المعاني التي كان يُريدها، من بين هذه القصص؛ قصص الأنبياء، وقصص الأمم الغابرة، وسيرة الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم).

والهدف من دراسة أثر القَصَص القرآني في الشّعر الجزائري، هو معرفة السّبب الذي دفع بالشّاعر إلى الأخذ من قصّة قرآنيّة معيّنة دون غيرها. وما مدى العلاقة بيت القصّة والموضوع الذي اقتُبِسَت لأجله هذه القصّة.

تعريف القصّة:

لغة: من القَصُّ وهو تَتَبُّعُ الأثَر، يقالُ قَصَصْتُ أثَرَهُ. والقَصَصُ الأثرُ، قال تعالى:{ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً}،[1] والقَصَص الأخْبَارُ المُتَتَبِّعَةُ، قال تعالى:{ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الحَقُّ}.[2] وقصّ عليه الخبر(قصَصًا). والقِصَص جمع قصّة التي تُكْتَب.[3]

اصطلاحا: القصّة هي عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثّرت بها مخيّلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام، ليصل بها إلي أذهان القراء.[4]

القصص القرآني هدفه وخصائصه:

أمّا عن القصص القرآني فالأمر مختلف جدّا عن القصّة الفنيّة وعن مفهومها وعن الحدود التي رسمها النقاد، حيث « إنّ القصّة القرآنية ليست خاطرة...ولا تسجيلا لصورة...ولا بسطا لعاطفة...إنّما القصّة فيه وسيلة من الوسائل الكثيرة التي استخدمها لغرضه الأصيل، وهو التشريع وبناء الفرد والمجتمع».[5]

---

[1]) سورة الكهف: الآية 64.
[2]) سورة آل عمران: الآية 62.
[3]) مختار الصحاح، ص 342، مادة (ق ص ص).
[4]) فن القصص، محمود تيمور، ص 42، مجلة الشرق الجديد، القاهرة، 1945م.
[5]) التعبير الفني في القرآن الكريم، ص 225.

والهدف من القصص القرآني، تخفيف الضّغط العاطفي عن الرسول(ص) وعن المؤمنين، وتثبيت قلوبهم، وردّ الثّقة إليهم، قال الله تعالى{ وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}.[1]

و تأسّي الرسول(ص) وأصحابه بمن سلف من الأنبياء، فإذا سمعوا عن معاناة من سبقهم من الرُّسُل خفّف ذلك على قلوبهم.[2]

وتتمثّل خصائص القصص القرآني في عدّة وجوه، منها: الموعظة، حيث أنّ القصص القرآني بمختلف ألوانه وموضوعاته موجها للغاية الوعظية، أكثر مما هو موجه للغاية الفنية. وقد تكرّرت القصة الواحدة في عدّة مواضع، دون تكرار كل حلقاتها. وهذا التكرار اقتضاه الغرض الديني الذي يُملي إعادة القصة. كما نلاحظ أنّ القرآن لم يسلك طريقة واحدة في التعبير، بل نوّع في ذلك؛ فأحيانا كان يعتمد الألفاظ الفخمة ذات الرنين القويّ، وكان يعمد أحيانا إلى الجمل المسجوعة ليزيد من قوة الرنين. وكان يعتمد أحيانا أخرى على تتابع الأحداث تتابعا سريعا، لتؤثر في النفس. وكان أحيانا يعتمد على الألفاظ السهلة الليّنة، يخاطب فيها الله القوم بلغة عادية مألوفة. كما اعتمد القرآن في قصصه على عملية التصوير لتبيين الانفعالات والعواطف.[3]

لهذه الخصائص وغيرها، نجد الشاعر الجزائري يستعين بالقصص القرآني لتأدية المعاني التي يريدها، والعواطف التي يريد التعبير عنها، وقد تمثّل تأثر الشعر الجزائري بالقصص القرآني في الوجوه التالية:

* قصّة يوسف: احتلت قصّة النبيّ يوسف (عليه السّلام) مكانة هامّة في الشّعر الجزائري، بما تضمّنتْهُ من أحداث، فالشّاعر حين كان يُواجه محنة سببها حُسّاده ومُنافسوه، كان يعود إلى قصّة سيدنا يوسف ليستعين بما جاء فيها، للتّعبير عن عواطفه ومشاعره.

فإذا كان الشّاعر ذا حظوة عند أمير أو خليفة، حاول مُنافسوه إزاحته عن ذلك المكان الذي بلغه، بإتّباع أساليب شتّى، كالوشايات والكذب، واتّهامه بأمور لم يفعلها. فقد عبّر الشّاعر مختار الكنتي(ت:1226هـ) عن مثل هذه الحالة في قوله موجّها كلامه إلى حُسّاده:

---

[1]) سورة هود: الآية 120.

[2]) الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد خلف الله، ص 203، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، القاهرة، 1965م.

[3]) التصوير الفني في القرآن الكريم،سيد قطب، ص 128 وما بعدها. و(الفن القصص القرآني، ص 297).

تناصرت الأعداء من كل جانب *** عليّ فحسبي من له الخلق والأمر
وإنّي وإيّـــاكم كإخـــــوة يوسف *** أرادوا بـــه شرّا فحاق بهم شـــرّ
فتمَّتْ عليـــه نعمـــة الله بعدهُـــم *** فسيقوا إليه بعدما مُـــلِـــكت مصر
أقرُّوا لـــه بالفَضْلِ بعد ظُهـــوره *** عليهم فأغضى إنّـــه السيّـــد الحر
كذلك صُنْـــعُ الله في كُـــلّ ماجد *** تكون له العقبى وإن مسَّـــه الضرّ[1]

فقد شبّه الشّاعر نفسه في البيت الثاني بالنبيّ يوسف، وشبّه أعداءه بإخوة يوسف الذين كانوا يكيدون له حسداً من عند أنفسهم، وغيرة منهم. فقد استلهم هذا المعنى من قوله تعالى :{ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ *قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ }.[2] ثمّ يعود الشّاعر ليُخبرهم في البيت الثالث والرابع أنّه ورغم مَكْرِهِم به وإلقائه في الجبّ، فإنّ الله أخرجه منه، وأنعم عليه، ورفع من شأنه، بأن أصبح عزيزا لمصر. إشارة إلى قوله تعالى:{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ *قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}.[3] فالشّاعر يقول أنّ حسد أعداءه له وكيدهم، سيكون سببا في وصوله إلى أعلى المراتب، كما كان كيد إخوة يوسف سببا في وصوله إلى الحكم.

وفي الأخير يقول الشّاعر أنّه رغم حقدهم عليه سيسامحهم، كما سامح يوسف إخوته عندما جاءوه إلى مصر، حيث خاطبهم في قوله تعالى:{ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}.[4]

أمّا الشاعر القوجيلي فقد تناول جانبا آخر من قصّة يوسف، في قوله يمدح المفتي يوسف باشا:

---

[1]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 58.
[2]) سورة يوسف: الآيات 7- 8- 9 – 10.
[3]) سورة يوسف: الآيات 54- 55- 56.
[4]) سورة يوسف: الآية 92.

وأولاهم في العزم والحزم والوفا *** سميّ الذي في السّجن قد عبّر الرؤيا[1]

فيحين أراد الشاعر أن يرفع من شأن ممدوحه، شبّهه بالنّبيّ يوسف، حين قال أنّ المفتي هو سميّ الذي في السّجن قد عبّر الرؤيا، إشارة منه إلى قوله تعالى:{ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ *وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ *يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}.[2]

ونجد المولى أبي حمو الثّاني في التضرّع إلى ربّه والتوسّل بأنبيائه، يذكر ما جرى على هؤلاء الأنبياء من مِحَن، ومن بينها إلقاء يوسف في البئر، في قوله:

يا من وقى يوسف الصديق كلّ أذى *** لمّا رمَــوْه بِجُــبٍّ ضيّقٍ حرج

وأجاب يعقوب لمّــا أن بكى وشكى *** وجاءه منه بلُطْفٍ لَمْ يَخِلْهُ يَجِي

وعاد بَعْدُ بصيرًا حيـــن هــبّ له *** نسيم نشر القميص الطيّب الأرج[3]

فنجد الشّاعر في البيت الأول قد نعت يوسف بالصدّيق، مستلهما ذلك من قوله تعالى:{ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ}.[4] ثمّ يذكر الشّاعر قصّة إلقاء يوسف في البئر، مُستأنِسا بما ذكره الله في قوله تعالى:{ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}.[5] فلما ألقوه في البئر، أوحى الله إليه: أنه لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة التي أنت فيها، ولتُخْبِرَنَّ إخوتك بصنيعهم هذا في حال أنت فيها عزيز، وهم محتاجون إليك خائفون منك، وهم لا يشعرون بإيحاء الله إليه ذلك.[6]

وفي حزن يعقوب على يوسف مثال يُضْرب لشدّة الحزن والجزع، فقد صوّر الشاعر في البيت الثاني شدّة حزن يعقوب على ابنه وإصابته بالعمى لكثرة بكائه على فراقه،

---

[1]) أشعار جزائرية، ص 125.
[2]) سورة يوسف: الآيات 43 إلى 49.
[3]) بغية الرواد، ج2، ص 152- 153.
[4]) سورة يوسف: الآية 45.
[5]) سورة يوسف: الآية 15.
[6]) قصص الأنبياء، ابن كثير، ج1، ص 224، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت، دت.

مُقتبسا ذلك من قوله تعالى:{ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ *قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.[1]

وقد اتّخذ الشّاعر قصّة القميص الذي أرسله يوسف إلى أبيه ليرتدّ بصيرا، موضوعا لنهاية الآلام والمعاناة، فقد عبّر الشّاعر عن ذلك في البيت الثالث، مُستمدّا المعنى من قوله تعالى:{ اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.[2]

فقصّة النبيّ يوسف (عليه السلام) قد تناولها الشعراء الجزائريون من جوانب متعددة، من ذلك ما لاقاه من حسد إخوته وكيدهم له، وإلقائه في الجب، وتأويله للرؤيا، وعودة أبيه بصيرا. فقد كان لهذه القصة أثر واضح في الشعر الجزائري للتّعبير عن معاني ومواضيع متعدّدة.

* قصّة موسى: قصّة النبيّ موسى (عليه السلام) من أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم، فقد وردت في سُوَر عديدة، وجاءت مُفصّلةً في سورة القَصَص، ابتداءً من مولد النبيّ موسى، حتى خروجه من مصر، ثمّ فراره بقومه من فرعون وجنوده. وقد اتّخذ الشّاعر الجزائري هذه القصّة مادّة جاهزة يُثري بها معانيه وصُوَره في شعره.

فالمولى أبي حمو الثاني في مناجاته لربّه، سأله أن يرفع عنه الضرّ كما رفع عن أمّ موسى الحَزَن بردّه إليها، وذلك في قوله:

يا من تكفّل موسى وهو منتبذ *** باليمّ في جوف تابوت على لجج
وأمّه في أليـــم الشّوْق وَالِهَـــة *** فؤادها فـــارغ من شِدّة الوهـــج
يا مَـــنْ أعاد لها بعدما يئست *** موسى وقرّبه من المرسلين نجي[3]

فالبيت الأوّل يُحيلنا إلى قوله تعالى:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.[1] وقوله تعالى:{ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً

---

[1]) سورة يوسف: الآية 84- 85- 86.
[2]) سورة يوسف: الآيات 93 إلى 96.
[3]) بغية الرواد، ج2، ص 152- 153.

أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}.[2]

أمّا البيت الثاني فيُشير إلى قوله تعالى يُعبّر عن خوف أمّ موسى وقلقها على ابنها:{ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.[3]

ويُشير الشّاعر في البيت الثالث إلى أنّه رغم الصّعاب والمعاناة التي مرّت بها أمّ موسى، فإنّ الله ردّ إليها وليدها، وأعاد لها فرحتها، وذلك حسب تعبير القرآن في قوله تعالى:{ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}.[4] فالشّاعر يُعطينا العبرة من قصّة سيّدنا موسى (عليه السّلام)، حتّى لا يَيْأس المؤمن من رحمة الله، فهو كفيل بأن يُفرّج عن عبده الهمّ والغمّ، كما فرّجه عن موسى وأمّه.

أمّا الشّاعر ابن خلوف القسنطيني فقد تناول من قصّة موسى معجزة انفلاق البحر إلى قسمين، وذلك في معرض ذكره لمعجزات الرسول(ص) في قوله:

أو أنّ موسى رأى الطوفان منفلقا *** فإن أحْمَــد أبْــدَى البدر مُنْفلقــا[5]

فهو يُشير إلى قصّة هروب موسى ببني إسرائيل من بطش فرعون، ووحي الله له لضرب البحر بعصاه، مُشيرًا إلى قوله تعالى:{ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}.[6]

أمّا الشّاعر المنداسي فيروي لنا كيف طلب موسى من ربّه أن يراه، وذلك في قوله:

وكليم الله موسى المُجْــتَــبَى *** من له الحقّ تجلى في الجبل

صار دكًّــا خَشْيَــة من ربّه *** وابن عمران من الروع انجدل[7]

فقد استند الشّاعر في البيتين إلى تصوير القرآن لهذه الحادثة في قوله تعالى:{ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِــــــي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِـقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ

---

[1]) سورة القصص: الآية 7.
[2]) سورة طـه: الآيات 37- 38- 39.
[3]) سورة القصص: الآية 10.
[4]) سورة القصص: الآية 13.
[5]) ابن خلوف وديوانه، ص 106.
[6]) سورة الشّعراء: الآية 63.
[7]) ديوان المنداسي، ص 39.

وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}.[1] فقد ضرب الله لموسى مثالاً مما هو أقوىٰ من بِنْيته وأثبت. فقال له: إن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي.[2] ولمّا لم يستقرّ الجبل، وصار دكّا من خشية الله، أُثبِتَ لموسى أنّه لا يقدر على رؤيته في الدّنيا، فلمّا أفاق قال إنّي تبتُ إليك ليس استغفاراً من الذّنب، إنّما إنابة إلى الله وخشوعاً له عند ظهور آياته.

* قصّة سليمان: حظِيَتْ قصّة سليمان (عليه السّلام) باهتمام الشّعراء، فهو الذي سخّر الله له الرّيح تأخذه حيث يشاء، وسخّر له الشّياطين كلّ غوّاص وبنّاء، وعلّمه منطق الطّيْر. فالشّاعر الثّغري حين يتحدّث عن معجزة الإسراء والمعراج، يُقارن بين رسول (ص) الذي سخّر الله له البُراق، و سليمان (عليه السّلام) الذي سُخِّرَتْ له الرّيح، فقال:

وإن حملت قِــدْما سليمان ريحــه *** تروح به شهرا وتَغْــدُو بــه شهرا
ففي ليلة أسْــرى بك الله راكــبا *** بُراقا يفوق البرق في سرعة الإسرا
وإنْ الشياطين لسليمان سُخِّــرَتْ *** فلم تك في التّسخير تعصي له أمرا
فإنّ رسول الله قد سُخّــرت لــه *** ملائكة الرّحمن تنصُــره نَصْــرا[3]

ففي البيت الأول يُشير الشّاعر إلى قوله تعالى:{ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ}.[4] ثمّ يُقارن الشّاعر في البيتين الثالث والرابع بين تسخير الجنّ لسليمان، وتسخير الملائكة لرسول الله (ص) يُقاتلون معه في غزواته، مُستلهما ذلك من قوله تعالى:{ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}.[5] وقوله تعالى:{ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ}.[6]

ويقول الشّاعر ابن خلوف القسنطيني في نفس المعنى:

---

[1]) سورة الأعراف: الآية 143.
[2]) تفسير القرطبي، ج7، ص 278.
[3]) تاريخ بني زيان، ص 216.
[4]) سورة سبأ: الآية 12.
[5]) سورة سبأ: الآيتان 12- 13.
[6]) سورة ص: الآيات 36- 37- 38.

أو سُيِّــرَتْ لسليمان الرّيَاح فقــد *** سار البُرَاق بطَهَ من حِمَى لِحِمَى[1]

* قصّة إبراهيم: كانت حادثة إلقاء سيّدنا إبراهيم (عليه السلام) في النّار، من أكثر القصص القرآنية التي نالت اهتمام الشّعراء الجزائريّين، من ذلك قول الشّاعر المنداسي في معرض حديثه عن معجزات الرُّسُل:

وخليل الله إبراهيم مَــن *** بقميص العز في النّار رفل

حين ألقاه ابن كنعان بها *** جُعِلت بردا له منها الظلل[2]

فقد استقى الشّاعر صورته في البيتين من قوله تعالى:{ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}.[3] فقد ألبس الله إبراهيم لباس العزّ لحمايته من حرّ النار التي أُلقِيَ فيها، وذلك بعد أن استنفذ من قومه الحجّة.

وفي نفس المعنى قال المولى أبي حمو الثاني مناجيا ربّه الذي أنقذ إبراهيم من النّار:

يا من يُجِيب المُضْطَرّ في الدّيَج *** ويكشف الضُّرّ عن الضيق والهرج

أنْــجَى إبراهيم حيــن رُمِــي *** فيها وعادت سلاما دون ما وَهَــــج[4]

فالمولى أبي حمو في مناجاة لربّه، يرجوه أن ينقذه من نار جهنّم، كما أنقذ إبراهيم من نار قومه، حين ناجى ربّه قائلا: لا إلٰـه إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.[5]

* سيرة الرسول ((صلّى الله عليه وآله وسلّم)): لقد لاقت سيرة الرسول (ص) اهتمامًا واسعًا من قِبَل الشّعراء الجزائريّين، فقد كَثُرَ مدح الرسول (ص) في أشعارهم، وكان عليهم أن يعودوا إلى القرآن وكتب السّيرة يستقون منهما ما جاء في سيرة الرسول (ص) وذكر معجزاته. ومن بين معجزات الرسول الكثيرة، ركّز الشّعراء الجزائريّون على قصّة الإسراء والمعراج، حيث نجد ذكرها عند أكثر من شاعر، من ذلك قول الشّاعر التّلاليسي يمدح الرسول (ص):

---

[1]) ابن خلوف وديوانه، ص 106.
[2]) ديوان المنداسي، ص 39.
[3]) سورة الأنبياء: الآيات 68- 69- 70.
[4]) بغية الرواد، ج2، ص 152.
[5]) تفسير القرطبي، ج11، ص 303.

نبـــيّ كريـــمٌ شَـــرَّفَ الله قَـــدره *** وفَضّلَهُ في القَبْـــلِ والبَعْـــدِ والحَـــــال

سَـــمَا لإله العرش واللّيْلُ ألْـــيَـــلٌ *** من المسجد الأقصى إلى المرتقى العالي[1]

وقول الشّاعر عبد المؤمن المديوني يذكر معجزة الإسراء والمعراج :

أسرى به الله في الليل البهيم إلى *** السبع الطباق فحاز الفخر واقتربا

أدْنَـــاه الله مِـــن غيـــر واسِطَـــة *** ثم اجْتَبَـــاه وأعطاه الذي طَلَـــبا[2]

وقول الشّاعر محمد ابن مبروك الجعفري في نفس المعنى:

وجاءه جبريل مَكْرُمَـــــة *** فسَدَّ عند نُزُولِـــه الأفُـــقا

تراه من حَرَمٍ إلـــى حَرَمٍ *** أسرى به في لُوَيْلَـــةٍ ورقا

إلى علا المنتهى وسِدْرَتِه *** فكلّما مَرّ من حجابٍ انخرقا[3]

وقول الشاعر المنداسي كذلك:

فامْتَـــطى من جوادٍ للعُـــلا *** خافقٌ كالبرق للوصل رَفَـــلْ

أمَّ رسُلَ الله لَيْـــلا وارْتَـــقى *** للمنى يطوي من الرّاح الكلل[4]

فالأحداث التي وردت في كلّ هذه الأبيات تُحيلنا إلى قصّة الإسراء والمعراج، في عدّة آيات من القرآن منها قوله تعالى:{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.[5] وقوله تعالى:{ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى *أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.[6]

---

[1]) إرشاد الحائر، ج1، ص 292.
[2]) زهر البستان، ورقة 45 وجه.
[3]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 97.
[4]) ديوان المنداسي، ص 39.
[5]) سورة الإسراء: الآية 1.
[6]) سورة النجم: الآيات 1 إلى 18.

* قصص قرآنية أخرى: إلى جانب هذه القصص، وردت قصّة أيّوب، والتي يعود إليها الشّعراء عادة، حين يريدون الحديث عن الصّبر على البلاء، وكشف الضرّ، من ذلك قول المولى أبي حمو يدعو الله أن يكشف ما به من ضُرّ:

يا من يُجِيـــب المُضْطَـــرّ في الدّيَج *** ويكشف الضُرّ عن الضَيِّق والهَـــــرَج

يا كاشف الضرّ عن أيّوب حين دعا *** قد مسّني الضرّ فاكْشِفْ كُرْبَ كلّ شَجِيّ[1]

فالشّاعر هنا يستلهم معانيه من قصّة سيدنا أيّوب (عليه السّلام) المذكورة في القرآن في قوله تعالى:{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}.[2] وقوله تعالى أيضا:{ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ برِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ *وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}.[3]

ولقصّة النبيّ نوح (عليه السلام) مكانة في الشّعر الجزائري، حيث أشار إليها الشّاعر المنداسي في قوله:

صفوة الرّحمن نُـــوحٌ المُنْتَـــقى *** مَنْ بوحي الله في الفُلْـــك انتقل

إن طغى الماء على الفلك استوى *** بقليل القوت والأهل اعْتَـــزَل[4]

فحين أراد الله أن يُهلك قوم نوح بالطّوفان، أمره أن يصنع سفينة في الصّحراء، فسَخِرَ منه قومه، لعدم علمهم بما ينتظرهم من عذاب الله، وقد ذُكِرَت هذه القصّة في قوله تعالى:{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ *وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ *تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}.[5] و ذُكِرَت بشيء من التّفصيل في قوله تعالى:{ وَأُوحِيَ إِلى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ *فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن

---

[1]) بغية الرواد، ج1، ص 154.
[2]) سورة الأنبياء: الآيتان 83- 84.
[3]) سورة ص: الآيات 41 إلى 44.
[4]) ديوان المنداسي، ص 39.
[5]) سورة النجم: الآيات 9 إلى 15.

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ}.[1]

ومن القصص القرآني الذي استولى على اهتمام الشّعراء الجزائريّين قصّة يأجوج ومأجوج، حيث نجد الشّاعر المنداسي يستعين بهذه القصّة في هجاء الأتراك، قائلا:

أمِنْ قادرٍ بالله يَحْمِـــي تِلِمْســـــانا *** فإنّ بها من قوم يأجوج إخوانا

بنى السدّ ذو القرنين بالناس رحمة *** فيا ليته من شوكة الترك هنّانا[2]

فالشّاعر هنا يُشبّه إفساد الأتراك في تلمسان بإفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، فهو يدعو الله أن يُريح مدينة تلمسان منهم، وأن يبعث لهم من يقوم بذلك، كما بعث الله ذو القرنين ليُخلّص النّاس من إفساد يأجوج ومأجوج، بأن بنى عليهم السدّ، وقد استلهم هذا المعنى من القصة الواردة في سورة الكهف في قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً*آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً}.[3]

---

[1]) سورة هود: الآيات 36 إلى 49.
[2]) الثغر الجماني، ص 56.
[3]) سورة الكهف: الآيات 93 إلى 96 .

فقد كان الشعراء الجزائريون متأثرين بما جاء في القرآن الكريم من قَصَصٍ، حيث كانوا يوردون كلّ قصّة في الحالة المناسبة التي يريدون التّعبير عنها، دون أن يخوضوا في تفاصيل القصّة القرآنية، لعلمهم أنّ المتلقّي عارفٌ بكلّ تفاصيلها، لهذا نجدهم يشيرون إلى القصة فقط.

فالشّاعر الجزائري إذا أراد الحديث عن الصّبر، أشار إلى قصّة أيّوب (عليه السلام)، وإذا أراد الحديث عن الحسد، أشار إلى قصّة يوسف (عليه السلام)، وإذا أراد الحديث عن مُعجزات الله التي أعطاها لعباده الصّالحين حتّى تُنجيهم من أعدائهم، أشار إلى قصّة إبراهيم ونوح وموسى (عليهم السلام)، وإذا أراد الحديث عن أعظم المعجزات وعن سيّد الخلق أشار إلى سيرة نبيّنا محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه الجولة بين رياض القرآن الكريم، ورحاب الشعر الجزائري، وفحص بعض جوانب الموضوع، وقفنا على النتائج الآتية:

1) إنّ كلّ قارئ للشّعر الجزائري في الفترة الممتدّة ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين، يلاحظ التأثّر القويّ للشّعراء الجزائريين بالقرآن الكريم من وجوه متعدّدة ومناح مختلفة.

2) بما أنّ ثقافة الشّاعر الجزائري كانت دينيّة محضة، وعربيّة خالصة، كان على احتكاك دائم بالقرآن الكريم، حيث اتّخذ منه مصدرا هامّا يغترف منه ألفاظه التي يستخدمها في التّعبير عن أفكاره، وآرائه، وعواطفه.

3) كان الباعث الديني هو الدّافع الأساس لنظم الشّعر عند الشّاعر الجزائري، فجلّ أغراضه كانت في المديح النبويّ، والزّهد، والتصوّف. لذا كان هذا الشاعر في كلّ الأغراض التي يطرقها يستنير بهدي القرآن الكريم، مُستعيرا ألفاظه، ومعانيه، وصُوره. وبما أنّ القرآن الكريم يُعتبر الذّروة البلاغيّة، أعجب به الشاعر الجزائري، فكان لذلك أثر كبير في إغناء لغته وتعابيره.

4) إنّ اللافت للانتباه في الشّعر الجزائري، هو الحضور القويّ للمعاني القرآنية فيه، حيث كان الشاعر الجزائري يلجأ إلى القرآن يستلهم معانيه للتّعبير عن أفكاره، ومن بين هذه المعاني القرآنية التي استأثرت باهتمامه: الإيمان بالله، والتّوحيد، والقضاء والقدر، والحياة

والموت، والبعث والنّشور. وهي معاني تقوّي الصّلة بين العبد وربّه، وتزيد من إيمانه بخالقه، لذا استأثرت باهتمامه فاستلهمها في أشعاره، بل حتى في حياته اليومية العادية.

5) لقد استخدم الشّاعر الجزائريّ أساليب القرآن الكريم، خصوصا الأساليب الإنشائية، فاستعان بأسلوب النّداء، والقسم، والاستفهام، ممّا زاد أسلوبه روعة، ومعانيه جمالا.

6) لقد استعان الشاعر الجزائري بالصُّوَر الواردة في القرآن الكريم، للتّعبير عن حالات نفسيّة وعاطفيّة، فتفاعل مع هذه الصّور وأعْجِب بها، ووظّفها في أشعاره، حتى يُضفي على تعابيره مزيدا من الرّونق والجمال.

7) المُلاحظ أنّ الشّاعر الجزائري لم يُغْفِل القَصص القرآني، فإذا أراد التّعبير عن حالة ما، فإنّه يُشير إلى ما يُماثلها في القرآن الكريم، فهو يشير إلى القصّة القرآنيّة دون الخوْض في تفاصيلها. فإذا أراد الحديث عن الحسد، أشار إلى قصّة يوسف (عليه السلام)، وإذا أراد الحديث الصّبر، أشار إلى قصّة أيّوب (عليه السلام)، وإذا أراد الحديث عن الصّدق والأمانة أشار إلى سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهكذا مع كلّ حالة يريد التّعبير عنها.

إذا فكتاب الله هذه مكانته من البلاغة، ومنزلته من القلوب، لا بدّ أن يَأسر شعراءنا، ويتأثّروا به في أشعارهم، فقد كان للقرآن الكريم دور أساس في تحديد الذوق الأدبي لشعرائنا، لأنّ اهتمامهم به كان كبيرا، ومنذ نعومة أظافرهم، فظهر تأثّرهم به في كلّ مناحي حياتهم، وانعكس ذلك على أدبهم وشعرهم.

أخيرا، نرجو أن نكون قد ألممن ببعض جوانب الموضوع، حيث حاولنا تحديد طبيعة الأثر القرآني في الشعر الجزائري في الفترة المذكورة، وذلك لكشف حجم هذا التّأثير وأشكاله، وقد لاحظنا قوّة هذا التّأثير واتّساعه، ما يدلّ على أهميّة القرآن الكريم وقيمته بالنّسبة للشّاعر الجزائري، بل بالنسبة لأيّ جزائري غيور على دينه، وقرآنه، ولغته.

فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وما التّوفيق إلاّ بالله عليه توكّلنا وعليه فليتوكّل المتوكّلون.

تمّ بعون الله وحفظه: يوم الخميس 08 أوت 2008م.

تلمســــــان.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع:

❖ ابن خلوف وديوانه جنى الجنتين (ديوان الإسلام)، العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م.

❖ أبو حمو موسى الزياني، عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982م.

❖ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج1، دار الندوة، بيروت، 1951م.

❖ أثر القرآن في الأدب العربي، ابتسام مرهون الصفار، دار الرسالة، بغداد، 1974م.

❖ أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام، مكتبة الشباب، مصر، 1982م.

❖ أثر القرآن في الشعر الأندلسي، محمد العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م.

❖ أثر القرآن الكريم في اللغة العربيّة، أحمد الباقوري، دار المعارف، مصر، دت.

❖ الاحاطة في أخبار غرناطة،لسان الدين بن الخطيب ، ج2، مطبعة الموسوعات، القاهرة، 1319هـ.

❖ الأدب في عصر النبوّة، صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، 1987م.

❖ إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد شاوش رمضان، ج3، الجزائر، 2001م.

❖ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أحمد المقّري، ت: مصطفى السقا، ج1، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1943م.

❖ أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، 1425هـ.
❖ أشعار جزائرية، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
❖ أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن بالجزائر، أحمد بو سماحة، مطبعة هومة، الجزائر، 2002م.
❖ إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، دار المعارف، مصر، 1954م.
❖ الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني، ج21، دار الثقافة، ط3، 1973م.
❖ الاقتباس من القرآن الكريم، أبو منصور الثعالبي، ت: ابتسام الصفار– مجاهد مصطفى،سلسلة الذخائر، مصر، دت.
❖ إقليم توات خلال القرنين 18–19م، فرج محمد فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.
❖ الأمثال من الكتاب والسنة، الترمذي، ت: السيد الجميلي، ج1، دار ابن زيدون، بيروت، 1985م.
❖ أنس الفقير وعز الحقير، ابن قنفذ القسنطيني، ت: أحمد الفاسي و أدولف فور،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1963م.
❖ الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ج1، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1998م.
❖ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
❖ البداية والنهاية، ابن كثير، ج13، مكتبة المعارف، بيروت.
❖ البرهان في علوم القرآن،بدر الدين الزركشي،ت:محمد إبراهيم، ج1، دار المعرفة، بيروت، دت.
❖ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم المديوني، مراجعة:ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
❖ بغية الروّاد في ذكر ملوك بني عبد الواد، يحي ابن خلدون، ت: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.
❖ بيان إعجاز القرآن، الخطابي، (ضمن ثلاث رسائل)، ت: محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1968م.
❖ البيان في علوم القرآن، محمد الصالح الصدّيق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
❖ البيان والتبيين، الجاحظ، ت:فوزي عطوي، ج1، ، دار صعب للطباعة، بيروت، 1968م.
❖ تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمّار، ج1، الجزائر، 1969م.
❖ تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1935م.

❖ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج1، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1984م.
❖ تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ق(16- 20م)، يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2001م.
❖ تاريخ الأمم والملوك،محمد بن جرير الطبري، ج2، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1336هـ.
❖ تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، محمد التّنسي، ت: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
❖ التاريخ الثقافي لإقليم توات، الصديق الحاج أحمد، الجزائر، 2003م.
❖ تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
❖ تأملات قرآنية، موسى إبراهيم، شركة الشهاب، الجزائر، 1988م.
❖ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ت: أحمد صقر، ج 4، مطبعة الحلبي، مصر، دت.
❖ التّبيان في علوم القرآن، محمد علي الصّابوني، دار الإرشاد، بيروت، 1970م.
❖ التجديد الموسيقي في الشعر العربي، رجاء عيد، منشأة المعارف، مصر، 1982م.
❖ تحفة الزائر، محمد بن عبد القادر، ت: ممدوح حقّي، ج1، دار اليقظة العربية، بيروت، 1964م.
❖ التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة، محمد بن ميمون الجزائري ،ت: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
❖ تراجم إسلامية شرقية وأندلسيّة، عبد الله عنان، دار المعارف، القاهرة، 1947م.
❖ تربيّتنا الروحيّة، سعيد حوّى، دار الكتب العربيّة، بيروت،دت.
❖ التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار المعارف، القاهرة، 1945م.
❖ التّعبير الفنّي في القرآن الكريم، بكري أمين، دار العلم للملايين، ط6، لبنان، 2001م.
❖ التّعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م.
❖ تعريف الخلف برجال السلف، محمد الحفناوي، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 1991م.
❖ التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
❖ تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
❖ تفسير القرآن الكريم، أبو السعود العمادي، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
❖ تفسير الكافي، ثقة الإسلام الكُلَيْني، ج2، دار الكتب الإسلامية، إيران، 1365هـ.
❖ تفسير الكشاف، جار الله الزمخشري، ج3، دار الفكر، بيروت، دت.
❖ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج1، ط4، مصر، 1982م.
❖ تلمسان في العهد الزياني، عبد العزيز فيلالي، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002م.

❖ التّمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ج2، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1421هـ.
❖ الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، أحمد بن سحنون الراشدي، ت:المهدي بو عبدلي، منشورات التعليم الأصلي، الجزائر.
❖ الجزائر من خلال رحلات المغاربة، مولاي بالحميسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.
❖ جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، ت: رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، ط2، بيروت، 1986م.
❖ الحيوان، الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، ج3، القاهرة، 1938م.
❖ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، ج1، مطبعة بولاق، 1299هـ.
❖ الخصائص، ابن جني، ت: علي النجار، ج1، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1999م.
❖ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبّي ، ج1، دار صادر ، بيروت.
❖ درة الحجال في معرفة أسماء الرّجال،أحمد بن القاضي،ت:محمد أبو النور، ج1، دار التراث، القاهرة، 1970م.
❖ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ج5، مصر، 1966م.
❖ دلائل الإعجاز، ت: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978م.
❖ دوحة النّاشر في ذكر علماء المغرب بالقرن العاشر، محمد بن عسكر الحسني، فاس، 1309هـ.
❖ دور المسلمين في تقدّم الجغرافيا الوصفيّة، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1994م.
❖ ديوان عفيف الدين التلمساني، ت: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
❖ ديوان الفرزدق، ج2، ، دار صادر، بيروت، 1960م.
❖ ديوان المنداسي، ت: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976م.
❖ رحلة ابن حمادوش، ت: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
❖ رحلة ابن عمار الجزائري(نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب)، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1905م.
❖ الرّحلة العليّة إلى منطقة توات، محمد بلعالم، ج2، دار هومة، الجزائر، 2005م.
❖ الرحلة المغربية، محمد العبدري، ت:محمد الفاسي، الرباط، 1968م.
❖ رحلة الورتلاني، ت: ابن أبي شنب، مطبعة فونتانا، الجزائر.

❖ رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، 1964م.
❖ الزبدة في شرح البردة، محمد الغزّي، ت: عمر باشا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.
❖ زهر الأكم في الأمثال والحكم، حسن اليوسي ،ت: محمد حجّي، ج1، الدار البيضاء، 1981م.
❖ زهر البستان في دولة بني زيان، مؤلف مجهول، السفر الثاني، مخطوط خاص.
❖ زوايا العلم والقرآن بالجزائر، محمد نسيب، دار الفكر، الجزائر.
❖ سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ت: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة صبيح، القاهرة، 1969م.
❖ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، علي ابن معصوم، مصر، 1324هـ.
❖ سلسلة النواة في إبراز شخصيّات من علماء وصالحي إقليم توات، مولاي التهامي، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2005م.
❖ سنن الترمذي، ج8، دار الكتب العلمية، لبنان، 1994م.
❖ سيرة ابن هشام، ج2، دار المعرفة، مصر، دت.
❖ السيرة النبوية، ابن كثير، ت: مصطفى عبد الواحد، ج2، دار المعرفة، بيروت، 1976م.
❖ شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1949م.
❖ شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب، عبد الحي العِماد الحنبلي، ج6، مصر ، 1949م.
❖ شرح الكافية البديعية، صفي الدين الحلي، ت: نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.
❖ شرح المعلقات السبع، الزوزني، دار الآفاق، الجزائر، دت.
❖ الشعر الديني الجزائري الحديث، عبد الله الركيبي، الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م.
❖ الشعر الصوفي القديم في الجزائر، مختار حبار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997م.
❖ الشّعر المغربي، العربي دحّو، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1994م.
❖ صبح الأعشى في صناعة الإنشا،علي القلقشندي، ت:يوسف طويل ،ج2، دار الفكر، دمشق، 1987م.
❖ صحيح البخاري، باب الإيمان، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
❖ صحيح مسلم، ج6، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م.

❖ صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، نور الدين عبد القادر، مطبعة البعث، الجزائر، 1965م.
❖ الصّناعتين،أبو هلال العسكري، ت: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1989م.
❖ الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، ط3، بيروت، 1983م.
❖ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، دار الثقافة، القاهرة، 1974م.
❖ الصُّورَة الفَنِّيَّة في شِعر الطَّائِيَّيْن بين الانفعال والحسّ، د. وحيد صبحي كبَّابَه، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.
❖ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، عبد الرحمن السخاوي، ج4، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
❖ العِبر، عبد الرحمن بن خلدون، ج7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1957م.
❖ عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، محمد أبو راس الجزائري، ج1، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1633.
❖ العفيف التلمساني، د.عمر موسى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982م.
❖ العقد الفريد، ابن عبد ربه، ت: محمد العريان، ج3، دار الفكر، مصر، دت.
❖ العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلاميّة ما بين القرنين (3- 14هـ)، عمار هلال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
❖ علم الدلالة العربي، د. فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.
❖ العلوم الفاخرة في النظر في علوم الآخرة، عبد الرحمن الثعالبي، ج1، المطبعة الحاميديّة، القاهرة، 1317هـ.
❖ العمدة،.ابن رشيق القيرواني، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1988م.
❖ عنوان الدراية، أحمد الغبريني،ت:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
❖ عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، ت: طه الحاجري- محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية، القاهرة، 1965م.
❖ الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1986م.
❖ الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، 1982م.
❖ فتح الإله ومنّته، أبو راس الجزائري،ت: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
❖ فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط6، دت.
❖ فقه اللغة و خصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، ط6، بيروت، 1975م.
❖ فن القصص، محمود تيمور، مجلة الشرق الجديد، القاهرة، 1945م.

❖ الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد خلف الله، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، القاهرة، 1965م.
❖ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د.شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط6، د ت.
❖ فهرس الفهارس، عبد الحي الكتّاني، ت: إحسان عباس، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.
❖ فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، ت: إحسان عباس، ج2، مطبعة الحياة، بيروت، 1972م.
❖ القرآن الكريم والدراسات الأدبية، نور الدين عتر، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، سوريا، 1989م.
❖ قصص الأنبياء، ابن كثير، ج1، دار ابن زيدون للطباعة والنشر، بيروت، دت.
❖ القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، دت.
❖ قطف الزّهرات من أخبار علماء توات، عبد العزيز سيدي عمر، دار هومة، ط2، الجزائر، 2002م.
❖ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1968م.
❖ ماء الموائد، عبد الله العياشي، ج1، المطبعة الحجريّة، فاس.
❖ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار الشهاب، ط5، الجزائر، 1987م.
❖ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، الدار السعودية للنشر، الرياض، دت.
❖ المثل السائر، ابن الأثير، ت: محمد محيي الدين، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.
❖ محاضرات في علم النفس اللغوي، حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
❖ المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي، دار الهدى، الجزائر، 1990م.
❖ المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد، ت: محمد حسن آل ياسين، بيروت، 1994م.
❖ مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ت: مصطفى البغا، ط4، دار الهدى، الجزائر، 1990م.
❖ مختصر المعاني، سعد الدين التفتزاني ، مطبعة عبد الله أفندي، القاهرة، 1307هـ.
❖ مرآة الإسلام، طه حسين، دار المعارف، مصر، 1959م.
❖ مرآة الجنان،عبد الله اليافعي، ج4، ص 216، الهند، 1339هـ.
❖ المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله طيب، ج1، دار الفكر، ط2، بيروت، 1970م.

❖ المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، محمد بن مرزوق التلمساني، ت: محمد بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
❖ مصباح الأرواح في أصول الفلاح، للإمام عبد الكريم المغيلي، ت: رابح بونار، الشركة الجزائرية للنشر، الجزائر، 1968م.
❖ المعجزة القرآنية، بغدادي بلقاسم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائري، 1992م.
❖ المعجم الأدبي، حبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
❖ معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للنشر، بيروت، ط3، 1983م.
❖ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1969م.
❖ معجم مشاهير المغاربة، أبو عمران الشيخ، جامعة الجزائر، 1995م.
❖ المعجم المفصّل في الأدب، محمد التونجي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
❖ معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، ج1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، دت.
❖ المعيار المعرب، أحمد الونشريسي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
❖ مفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج2، البابي الحلبي، مصر، دت.
❖ المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.
❖ مناهل العرفان، محمد الزرقاني، ج1، مطبعة شبر، القاهرة، 1359هـ.
❖ من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر، ط3، 1950م.
❖ المنتخب النفيس في شعر ابن خميس، عبد الوهاب بن منصور، مطبعة ابن خلدون، الجزائر، 1365هـ.
❖ من روائع القرآن، سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، ط5، دمشق، 1977م.
❖ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ت: محمد بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.
❖ موسوعة طبقات الفقهاء، جعفر السبحاني، ج1، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، 1314هـ.
❖ موسوعة الشعر الجزائري، الربعي بن سلامة، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2002م.
❖ الموسوعة المغربية للأعلام البشرية و الحضارية، عبد العزيز بن عبد الله، ص 62، المغرب، 1976م.
❖ موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط3، 1965م.
❖ النبذة في تاريخ توات وأعلامها، عبد الحميد بكري، دار الهدى، الجزائر، 2005م.
❖ النثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه، عبد الحكيم بلبع، القاهرة، دت.
❖ نشر أزاهير البستان، ابن زاكور الفاسي، مطبعة فونتانا، الجزائر، 1902م.

❖ نضرة الإغريض في نصرة القريض،المظفر العلوي ت: نهى الحسن، مطبعة طربين، دمشق، 1976م.
❖ نظم الدرّ والعقيان في شرف بني زيان، الحافظ التنسي، ت: بوطالب محيي الدين، منشورات دحلب ، الجزائر.
❖ نفح الطيب، أحمد المقّري، ت: إحسان عباس،ج2، دار صادر، بيروت، 1968م.
❖ النقد الأدبي القديم في المغرب العربي: نشأته وتطوره، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
❖ نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ت: كمال مصطفى، مطبعة الخانجي، ط3، القاهرة، 1979م.
❖ النكت في إعجاز القرآن، عيسى الرمّاني،(ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، ت: محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط2، مصر، 1968م.
❖ نهاية الأندلس والعرب، عبد الله عنان، القاهرة، 1949م.
❖ نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التنبكتي، مطبعة الصادي، مصر، 1329هـ.
❖ هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، ج2، اسطنبول، 1951م.
❖ واسطة السلوك في سياسة الملوك، أبو حمو الثاني، تونس، 1279هـ.
❖ الوفيات، ابن قنفذ القسنطيني، ت: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، 1971م.

الرسائل الجامعية:

دكتوراه:

❖ شعر الفقهاء في المغرب العربي ، رسالة دكتوراه دولة،إعداد: الأستاذ، محمد مرتاض، جامعة تلمسان، 1994م.
❖ أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، رسالة دكتوراه من إعداد: أ.شلتاغ عبود شراد، جامعة الجزائر.
❖ الحركة الأدبية في منطقة توات،رسالة دكتوراه من إعداد الطالب: أحمد جعفري، جامعة تلمسان ،2007م.

ماجستير:

❖ أدب الرحالة الجزائريين ،رسالة ماجستير،إعداد: الطالب عزوزي ، جامعة تلمسان، 2004م.
❖ الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 6 و 7هـ، رسالة ماجستير، بونابي طاهر ، جامعة الجزائر، 2000م.

المجلات والدوريات:

❖ مجلة البيان، مقالة للدكتور: عبد العزيز آل عبد اللطيف بعنوان: مسائل في التكفير، العدد 56، أكتوبر، 1992م.
❖ مجلة التراث الأدبي، مقالة للدكتور: عبد القادر هنّي، بعنوان "المعاني القرآنية في الشعر الجزائري الحديث"، عدد 49، دمشق، 2005م.
❖ مجلة التراث العربي، مقالة بعنوان: بذور الدراسة الدلالية لألفاظ القرآن الكريم، د. سعد الكردي، العدد 66 – السنة 17 ، يناير 1997م.
❖ مجلة كلية الآداب، جامعة الأزهر، مقالة للدكتور محمد سعيد بعنوان:" نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني، عدد 21، مصر، 1423هـ

فهرس الموضوعات

إهداء..... 2
شكـــــر وثناء..... 3
مقدمة..... ...6

مدخل: الحياة العلمية والأدبية في الجزائر ما بين القرنين 7-12هـ.....10

الفصل الأول: الشعر الجزائري، أغراضه وخصائصه..... 28
المبحث الأول: أغراض الشعر
الجزائري..... .28
المبحث الثاني: خصائص الشعر
الجزائري..... 55

الفصل الثاني: أثر القرآن في البنية الشكلية للشعر الجزائري.....70
المبحث الأول: القرآن الكريم، مفهومه ووجوه
إعجازه..... 71
المبحث الثاني: الاقتباس من القرآن في الشعر، حُكمه
وأسبابه..... 82

المبحث الثالث: أثر الألفاظ القرآنية في الشعر
الجزائري..... 87
المبحث الرابع: أثر الفاصلة القرآنية في الشعر
الجزائري..... 111

الفصل الثالث: أثر القرآن في البنية المعنوية للشعر الجزائري.....125
المبحث الأول: أثر المعاني القرآنية في الشعر
الجزائري..... 125
المبحث الثاني: أثر الأسلوب القرآني في الشعر
الجزائري..... 139
المبحث الثالث: أثر الصورة القرآنية في الشعر
الجزائري..... 153
المبحث الرابع: أثر القصص القرآني في الشعر
الجزائري..... 170

خاتمة..... 184
قائمة المصادر والمراجع..... 186
فهرس الموضوعات..... 195